فرائد اللآلي
من رسائل الغزالي

مجموعة تشتمل على معراج السالكين
ومنهاج العارفين
وروضة الطالبين

وهى من أنفس ما كتبه الغزالى * وقد تفضل الأمام الوحيد والأستاذ الفريد (الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصريه سابقا) بتصحيحها * ورغبة فى تعميم نفعها قد قرء جزأ منها فى رمضان سنة (٤٣) ووعد باتمامها فى رمضان سنة (٤٤ هـ)

قال فى كشف الظنون (معراج السالكين) للامام أبى حامد محمد الغزالى المتوفى سنة (٥٠٥) أوله اللهم إنا نحمدك ونشكرك الخ

فرج الله زكى
الكردى

فرائد اللآلي

من رسائل الغزالي

مجموعة تشتمل على معراج السالكين

وعلى منهاج العارفين

وعلى روضة الطالبين

وهي من أنفس ما كتبه الغزالي * وقد تفضل الإمام الوحيد والأستاذ الفريد (الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية سابقا) بتصحيحها * ورغبة في تعميم نفعها قد قرر جزءاً منها في رمضان سنة (٣٤٣) ووعد بإتمامها في رمضان سنة (٣٤٤ هـ)

قال في كشف الظنون (معراج السالكين) للإمام أبي حامد محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ أوله اللهم إنا نحمدك ونشكرك الخ

فرج الله زكي الكردي

صفحة ﴿ فهرست معراج السالكين ﴾

صفحة ﴿ فهرست منهاج العارفين ﴾

صفحة ﴿ فهرست روضة الطالبين ﴾

(تم الفهرست)

معراج السالكين

﴿ للامام حجة الاسلام ابى حامد الغزالى ﴾

قال فى كشف الظنون (معراج السالكين) للامام
أبى حامد محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ * أوله
اللهم إنا نحمدك ونشكرك معتقدين فيك الخ
وهو مختصر على سبيل المواعظ والتذكير

﴿ ويليه منهاج العارفين ثم روضة الطالبين وعمدة
السالكين كلاهما له أيضا ﴾

﴿ وقد اعتنى بتصحيحهم علامة عصره * وفريد دهره ﴾
(الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصريه سابقا)

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ﴾

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك ونشكرك معتقدين فيك إنك لا ترتاح الى الشكر إرتياح ذوى الحاجات لكن النفوس المؤيّدة تأبى الاّ الشكر لمنعمها * سبحانك ايّها الرّب الرحيم حلمت مع نفوذ علمك وأمهلت مع شدة بطشك ولم تمنع الرزق مَنْ جَاهَرَ بعصيانك * تعاليت أنت القريب الظاهر الاول الآخر لا تستفزك سطوة العبيد وأنت أقرب اليهم من حبل الوريد *

ونسئلك اللهم صلوة زكية مباركة على نبي الرحمة ومنقذ هذه الامة محمد عبدك الدّال عليك والهادى اليك *

إخوانى نصحت لكم فهل تحبون الناصحين وتحريت رشدكم فهل علىّ الاّ البلاغ المبين وما تغنى النّصيحة * وقد عم الداء ومرض الاطباء * واستشفى بغير الشفاء واعتيض من البصر بالعمى * وخبثت القلوب ورين عليها * وعطلت البصائر ونسب التقصير اليها * واتّخذت آيات الله هزواً ولعباً * وصُيّرت أغراض الآجلة الى العاجلة سبباً فلا موقظ من غفلة ولا زاجر عن زلة *

مرضى عن الخيرات فى بحر الردى غرقى فلا داع لنهج أقوم
شغفوا بكل رذيلة مذمومة صُرفت وجوههم لوجه الدرهم
ناموا عن المقصود لم يستيقظوا ستكون يقظتهم لخطب أعظم

فنعوذ بالله أن نكون ممن رغب عن طريق هو لها سالك وقال هلك النَّاس وهو فى جملتهم هالك *

اعلم أيها الاخ أن الباعث على إسعافك فى مطلوبك غرضان مهمان * ولما اقتصرتُ فى طلبك على موافقتهما ودارتْ رغبتك على تحصيل حقيقة مقصودهما * واقتصرتَ همتك من بين العلوم على العلوم الإلهية وزعمت أن مقصودك طلب الخلاص من شر الاعتقادات الفاسدة * والهرب من الآراء المجانبة للحق المعاندة رأيت تقديم التنبيه على الغرضين المذكورين لتستوجب العذر فيما انتدبنا اليه * وليكون ذلك المهم الاكبر الذى نبهنا عليه

﴿الغرض الاول﴾ : أيها الاخ ما شاهدناه من فساد الزمان وأخذه فى الازدياد وكثرة الآراء وفساد الاعتقاد * وعدم ذاب يبذل فيها الاجتهاد * ويعرها على كف الانتقاد * ولولا سياسة الملوك لعمت الخافقين ظلمها * ولرسخ فى كل الاقطار قدمها ليقضى الله أمراً كان مفعولا * ويبقى ربما كان ابقاؤه عليه وعداً مسؤلا * ولكن تعاقب الزمان وطرو الحوادث وكثرة الصوارف وفتور الهمم داعية الى الفساد والداء يزداد كل يوم

أغذية السوء كالذنوب فرأيت ابراز هذه النُبَذ لتكون مُغْنية للسائلين ومُعينة للسالكين ومنفعة باقية فى الآخرين *

والاهم من هذا الغرض التنبيه على غوائل الآراء البشعة التى أستهوت عقولَ أكثر الناس وهم فى ازدياد من هذا الفن وهو سبب فتور الشرائع وهم عَنَدَة الانبياء على مر الايام والنفوس مولعة بكل غريب لم تألفه وغامض لم تعهده فلا يسلم الغمر الجاهل من الوقوع فيه * والفطن المتباطى عن الاغترار عما يظهر من مباديه *

وقد كثرت ترّهات هذه الطائفة لعلتين ﴿ احداهما ﴾ الزهد فى الردّ عليهم ﴿ والثانية ﴾ بدار الجهال بمجادلة الرد على ماقرر لديهم كمقابلتهم بانكار علوم التعاليم الاربعة من الهندسة والحساب والمنطق ومعرفة الكواكب ونبوتها * وهى مقدمات علومهم وعنوان كلامهم وعنصر براهينهم ولم يحكموا فيما حاولوا شيئاً كأحكامهم لها * والمنطق على مر الايام وكر الدهور ينقحونه ويهذبونه الى زمان افلاطون فزاده ترتيباً وميز فيه السفسطة من الجدل * وحذا حذوه تلميذه أرسطو فرتب صناعة البرهان * وهذب الكتب الثمانية * وكذلك علم الهيئة والهندسة استخرجوهما من السند هند (١) كتاب أيضا تعاقبته الايام

(١) السند هند اسم كتاب الفهارسطاطاليس فى علوم الفلسفة

وهو الذى يحصل منه الهندسة والهيئة فلا معنى لمنا كرتهم فى كليات هـذه التعاليم فليطالبوا بتصحيح مسائلها الجزئية واستعمالها وتصحيح الاشكال والمقدمات فى العلم الإلهى فانهم تساهلوا فيها ولم يستعملوها البتة فهناك موضع المضايقـة وأما انـكار كون الارض كرية وأخذها المكان الاوسط من الفلك وأرتفاع الاقاليم وانخفاضها وتحقيق الجهات والآفاق والكسوفات فلا معنى لانكار ذلك ومناظرتهم فى ابطاله فهذا أحد الغرضين وتحته تنبيه على المواضع التى نتكلم على اختلافهم فيها ونورد ذلك متفرقا فى الـكتاب إن شاء الله تعالى *

﴿ الغرض الثانى ﴾ : ان الحق لا يعرف قدره وحده مالم يعرف نقيضه وضده فبضدها تتميز الاشياء ومقصدنا التنبيه على الطريق الاسلم * والصراط الاقوم * ولا بد من ذكر الطريق المنحطة عنه لينصف فى ذلك الناظر فى هذا الـكتاب فيعلم انا لم ننتدب لضئيل ولا أضربنا عن سيرة الاوائل فى سكوتهم إلا لخطب جليل * ولنضيف ذلك الى الغرض الثانى فيتضح لديه العذر وليعرف مقـدار النعمة فيطلبها بالشكر فنقول الناطقون بكلمة الشهادة سبع فرق

﴿ الفرقة الاولى ﴾ طائفـة نطقوا بالشهادتين من غـير التفات الى ماتنطوى عليـه من المعنى ولا إحتفال بالوظائف

كاجلاف الاعراب والاعاجم لكنهم كالانعام بل هم أضل سبيلا * فلهم حكم المشيئة وهم المرادون بقوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والسيف عند هؤلاء اصدق انباء من الكتب وهو احد مايساسون به

﴿ الفرقة الثانية ﴾ طائفة نطقت بكلمتى الشهادة تقليدا مأخوذا من الآباء والامهات والمعلمين لكنهم مقبلون على وظائف الشرع فهؤلاء هم المسلمون على الحقيقة * ولهم تقدمة على الفرقة الاولى وهم المرادون بقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات (الآية) وبقوله سبحانه ومن يسلم وجهه الى الله الآية

﴿ الفرقة الثالثة ﴾ قوم اعتقدوا الشريعة وصدّقوا ولم يقتصروا على درجة المسلمين بل استعملوا النظر والاستدلال وذبوا عن حرم الدين وهؤلاء أكثر المتكلمين من أهل السنة واصحاب الحديث وهم المؤمنون المسلمون فهم أخص اذ الاسلام أعم * وقد فصل صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان فى حديث السائل وقال تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) وقال تعالى (أولئك هم المؤمنون حقا)

﴿ الفرقة الرابعة ﴾ فرقة ترقوا عن هذه الطريقة الى درجة اليقين والثلج فان التصديق منقسم الى التام والناقص فمن صدق بالشيء واستعمل ضربا من الاقناع سمى مصدقا ولكن

التام هو الذى يصدق بالشئ عن برهان ومع قيام البرهان على أن ذلك البرهان لايجوز أن يكون بخلاف ماتقرر عليه ولافى حين ما لا بالذات ولابالعرض * ولايجوز أن يبعث نبى صادق بضده أصلا ولو بعث بنقيضه لاعتقد تكذيبه * فان قيل فهذا تصريح بتفاضل المؤمنين فى ايمانهم قلت فهو الصحيح وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة * وقال صلى الله عليه وسلم (يخرج من النار من فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان) والايمان فى اللفظ اللغوى هو التصديق وقد قدمنا أن التصديق ينقسم الى التام والناقص * فان قيل بل التصديق لايتفاضل والايمان يكون بمعنى العمل قلنا أمّا أنّ الايمان التصديق فهو مشهور فى اللغة وهو الاصل وهو فى الاعمال منقول والاستمساك بحقيقة اللغة اولى حتى يدل الدليل وقد دل دليل الشرع على تفاضل الايمان بماذكرنا * فان قيل هب انا سلمنا أن الايمان هو التصديق فما الدليل على انقسام التصديق فى نفسه قلنا التصديق عبارة عن الاعتقاد والاعتقاد لفظ عام وحقيقته ركون النفس الى متخيل اما فى نفسه أو فى اثباته ثم المعتقدات ان كانت فى النفس كما هى عليه من خارج فهو اعتقاد للشئ وتصوّر له وعلم به على ما هو عليه ومتى كان من خارج على خلاف ماهو فى النفس فهو تصديق وتصور ناقص

اذمن اعتقد زيداً أبيض فوجده اسود نقص اعتقاده

﴿ الفرقة الخامسة ﴾ اقوام اعتقدوا الاسلام وصحته لكن اعتقدوا فى الاله تعالى وصفاته ما نسبوا به الى البدعة والفسق

﴿ الفرقة السادسة ﴾ اقوام اضافوا الى ذلك ما نسبوا به الى الكفر كمن صدق بالنبوة من الفلاسفة واعتقد ان ذلك يرجع الى ملك قائم ثم اقتضى له مولده أن يكون حسن السياسية فاضلا متبوعا فهؤلاء كفرة وهذا تصور لا ينفع *

﴿ الفرقة السابعة ﴾ اقوام مظهرون للاسلام مبطنون للتعطيل المحض فهولاء شرار الفرق خالدون فى الدرك الاسفل من النار * والامم كلها على خلاف هذه الطائفة وهى يسمع بها وقلّ ما ترى الا آحادا يحملهم الاستخفاف على ذلك والامم مطبقة على وجود الصانع وان استعمل بعضهم معه الشركاء على اختلاف القول بالشرك من المعبودات من الاحجار والاحياء والكواكب * وقد سميت هذا الكتاب بمعراج السالكين والله سبحانه يحملنا على الرأى الحق بعزته *

﴿ المعراج الاول ﴾

ليعلم أولا أن ابتداءنا بهذا المعراج وتقديمنا له على امثاله له ثلثة اغراض ﴿ احدها ﴾ استعمال الطوائف المذكورة له

واقتصارهم عليه فنرقيهم عنه الى سواه ﴿الثانى﴾ انه مقدمة لما نذكره من معرفة النفس وقواها وبيان العوالم وانها على مضاهاتها ﴿الثالث﴾ ان نبين فيه الفاظا واصطلاحات تغنى عن تكرار بيانها وتمييز عالم الغيب عن عالم الشهادة * والحد المميز لهما وما العالم الذى وقع الخلاف فى حدوثه وقدمه * وكمية هذه المعارج سبعة اعلم أن حقيقة العروج الصعود علواً تقول عرجْتُ فى السلم اعرج * والالفاظ لها وجهان من الدلالة فوجه فى الدلالة على الاشياء الجسمانية كمفهوم السُّلم والعروج * والوجه الثانى الدلالة على معانى الجسمانيات وارواحها إمَّا بطريق وضع اللغة واما بالمجاز والاستعارة * ولما كان السالك الباحث الى معرفة باريه تعالى طالباً للترقى عن ظلمات الجهل واسفل السافلين من حضيض البهائم والجهلة وكانت البراهين والادلة الموصلة الى درجة العلو مِ شِبْهُ السُّلم الجسمانى الموصل الى العلو الجسمانى وكانت مفردات البراهين ومقدمات القياس واجزاؤه مادّة له منها يتألف حاكت اضلاع السلم فاذا التسمية لامشاحة فيها اذهى مفيدة قال الله تعالى (ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والرّوح اليه) * ومن قام عنده البرهان على استحالة جهة للبارى تعالى يعرج اليه فيها طلب معنى عقلياً ليحمل اللفظ عليه وقد ذم الله تعالى فرعون فى اعتقاد كون الاسباب والمعارج جسمانية فى

قوله تعالى (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلّى ابلغ الاسباب) وقال الله تعالى (وكذلك زينّ لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل)فالادلة سلالم الخلق الى ربهم والذهول عنها هو المعبّر عنه بالحُجُبِ *وقد ذكر الله تعالى ذلك فى نعت الكافر فقال عز من قائل (أو كظلمات فى بحرٍ لجّى الآية) فعبر عن الاعتقادات الفاسدة بالظلمات وعن ترادف الشكوك بترادف الموج وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابامن نور وظلْمةٍ لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره) وليس المراد بالحجب الا الطرق الموّصلة اليه * فلو كانت براهين فهى حجب نور ولو كانت شُبَهاً فهى حجب ظلمة * (والدليل على ذلك قوله لاحرقت سبحات وجهه) فانها لو كانت جسمانية لاحترق وجهه باولاها أوبآحادها ولم يُشترط فى الاحراق الا مجموعها * والبرهان الحق على أن البارى سبحانه لا يصح ان يكون محجوبا لعلتين (احداهما) ان الحجاب ليس الا الاجسام والبارى تعالى ليس بجسم (والثانية) أن المحجوب يجب أن يكون فى جهة والبارى سبحانه لاجهة له بوجه * وانما أراد صلى الله عليه وسلم ان هذا السالك الباحث لو انكشف اليه هذه الموانع المانعة من تحقيق معرفة معبوده لاحرقت الاشياء التى استدل بها ما انتهى اليه بصره فعبر بالاحتراق عن الاضمحلال فهذا تحقيق

هـذه العبارات . ومضمون هذه الاشارات * والعالم هو السلم الى معرفة البارى سبحانه * فهو الخط الالهى المكتوب المودع المعانى الإلهية والعقلاء على اختلاف طبقاتهم يقرؤنه ومعنى قراءتهم له فهمهم للحكمة التى وضع دالا عليها قال تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) وقال سبحانه (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم) وقال تعالى (افى الله شك فاطر السموات والارض)

ولما كان الانسان محجوبا مركبا من مواد مختلفة متضادة وكان محجوبا عن عالم الغيب ونعنى بعالم الغيب كل غائب عن ادراك الحس ولم يتوصل الى معرفته الابجد وتيقظ وقوة مفكرة خصته الحكمة الالهية بأن جعلته دفتراً جامعاً مُدبّجاً فيكون فى ذلك فائدتان (احداهما) الانعام عليه بالزام امور عجيبة تكون له مفاتيح لما غاب عنه كما قال تعالى (وفى انفسكم افلا تبصرون) فهو يستدل بما شاهد فى نفسه على مالم يشاهد

ولما كانت الادلة والحجج منقسمة الى الاتم والانقص وكان طريق البرهان وتأليفه على الشرائط الصحيحة وكانت الادلة متعذرة على العوام وكان الاقناع وقياس التمثيل والاستقراء أقرب الى أكثر الاذهان خصت الحكمة الالهية الصوَر الانسانية بضروب من عجائب العوالم وغرائبها لتستدل بها فيكون ضرباً من التمثيل والاستقراء الذى يقاس به الشاهد على الغائب وأكثر

ماعاملت الانبياء عليهم السلام الخلق بهذا النوع من اصناف الحجة لان مقابلتهم بغير هذا الطريق صعب قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ولذلك جعلنا هذا المعراج أولا واحلنا العوام على الاقتصار على تعلمه وذكرنا انقسامهم الى طبقتين فيما تقدم فهذه احدى فوائده وحكمه (الحكمة الثانية) ولها فائدتان احداهما يستحق بها العقوبة وبالثانية المثوبة (فالاولى) استعماله لما يثق به وهو محسوس عنده مشاهد فشرطه ان لا يتعداه ولا يحمل أكثر مما يحتمل فمن البر ما يكون عقوقا والشئ متى جاوز حده انعكس الى ضده (والثانية) أن لا يستعمل الاستدلال به فى ما لا يصح ويقضى على الغائب بما لا يقطع به على الشاهد ويزعم القطع به (والفرق) بينه وبين ما أمرنا استعماله انه أمر باستعماله على جهة الحكمة وهو أن يكون له مذكراً أو زاجراً من غير قاطع وهذا المستدل يزعم انه يقطع بما أخذ عنه من القياس كمن يزعم أن للبارى سبحانه صورة كصورة الانسان وان علمه كعلمنا أو قدرته كاقتدارنا * وينتهى الى ضرب من ضروب التجسيم قال الله تعالى (ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) وانما نستعمل من ذلك ما احسسنا أو شهدت التجربة به مما يزعمه المتمنون بالتشريح على طول الدهر فهذا مما لا يمتنع *

واذا فهمت هذا القدر وساعدت عليه وأنست لقوله عليه السلام (ان الله خلق آدم على صورته) وفهمت أنّ معنى ذلك خلقه خلقة على شبه العالم فاعلم ان الانسان عبارة عن حيوان ناطق مايت منتصب القامة ضحاك فهذا حد يتناول نفسه وجسمه لضرورة الفصل بينه وبين الاشخاص الحيّة والا فقولنا حيوان ناطق يتناول نفسه فقط * ثم هذا الحيوان الناطق اعني الانسان تنقسم جملته في التقسيم الكلي الى ثلاثة أشياء نفس وروح وجسم فالجسم هو المؤتلف من المواد والعناصر الحاملة لروحه ونفسه وهو الشكل المنتصب ذو الوجه واليدين والرّجلين الضاحك (واما الرّوح) فهو الجاري في العروق الضوارب والشرايين (وأما النفس) فهو الجوهر القائم بنفسه الذي ليس هو في موضع ولا يحل شيئاً وسنشبع الكلام عليه مقدار مايحتمله الموضع فنتكلم على الجسم بمقدار مايرشد الى الغرض * ويكون معينا لما عسى أن نذكره من أمر النفس فنقول قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية) وقال تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من من روحي) فاخبر تبارك وتعالى عن ثلاثة أمور جسمه وروحه ونفسه * وحقيقة الروح الحرارة الغريزية المنبعثة في الاعصاب والعضلات وهي موجودة للبهيمة وبها حياتها والفصل بين الادمي والبهيمة هي النفس التي اضافها الله تعالى اليه في قوله تعالى ونفخت

فيه من روحى فلو كانت للادمى هذه النفس دون الروح المخلوقة للبهيمة لقصر عن افعال البهيمة فى الاكل والجماع والتصرف ولو ان البهيمة اعطيت النفس التى اعطيها الانسان لكانت عاقلة مكلفة نخرج من الجملة أن للانسان روحاً ونفساً وجسما وللبهيمة جسما وروحًا لاغير * فامّا آدم عليه السلام فمخلوق من التراب والماء والهواء والنار وقد قال تعالى ذلك فى قوله سبحانه (مِنْ سلاَلةٍ مِنْ طِينْ) وفى قوله (سبحانه وجَعَلْنَا مِنْ الماء كلْ شيء حيْ) وأما النار فقوله تعالى (منْ صَلصال كالفخَار) فأول الدرجات التراب * فاذا مسه الماء قيل له طين فاذا مرت عليه دهور بكرور الشمس وأكتسب منها يبساً وجفافا قيل له صلصال كالفخار لنشوفته * ومعلوم ببرهان العقل ان مؤدى حر الشمس اليه هو الهواء فصحّ بالبرهان الشرعى والعقلى كون آدم عليه السلام على الصورة التى تقدمت ليجعل الله تعالى تدريج بنيه من نطفة خرجت منه يتلقفها الاناث الى انقطاعها وتمام القوى وذلك حين الساعة وتمام الخلق * فأول الانسان نطفة * ثم علقة * ثم مضغة * ثم تنبت فيه العظام * وتكسا لحماً * فالنطفة الخارجة من الانسان مسلولةٌ كقشر الحبة من الحبة لكنها مياعة وكالنواة فان النخلة السحوق فيها ولكن مدمجة ولكن من شاهد عقد الثمار تيقن هذا فان الرمانة مثلا

تخرج فى أصغر مايمكن غير انك ترى الشكل مصوراً ثم تقويها الطبائع من خارج بما يجانسها فتصرف تلك الاشكال الكاملة الى انتهائها ومافيها * ومن أرسل النطفة وأبصر السقط تحقق ذلك فانك ترى اشكاله كخطوط مكتوبة * وحدقتاه كحبات شونيز ووضوح ذلك لايحوج الى مزيد تأمل فالنطفة مسلولة مايعة بالطبع لما انسلت عنه بذوبان فطرى جبلى لاحيلة فيه ولذلك يشبه المولد أباه فى خلقه وخلقه فان قيل الاغذية تستحيل دماً فى الكبد * ثم تستحيل منياً وكانت قبل ذلك نباتات انفعلت عن الطبائع الاربع فلزم أن يكون غير الأب إذ انفعلت عن غيره قلنا الامر كذلك ولكن الاعتبار بحين انفصالها عن الاب * فحين انفصالها تنبعث من عروقه وعصبه وكبده بحركة ما * فتكتسب حينئذ طبعه * وهذا الامر متسلسل الى آدم عليه السلام (وعنده) يقف الامر فان جسمه ونفسه ليسا مأخوذين عن آدم آخر فان ذلك محال * وفيه اثبات أشخاص لا أول لها (وهو محال) * فان الشخص بالضرورة ذو أولية وهو تحت النوع * واذا ثبت هذا فاعلم ان الصورة الانسانية تنقسم الى أربعة ارباع * الاوّل الرأس والثانى اليدان * والثالث البدن * والرابع الرجلان * (ثم عظامه) منقسمة الى مائتى عظم وثمانية وأربعين عظماً (ففى الرأس)

أثنان وأربعون عظماً (وفى الربع الثانى) أثنان وثمانون عظماً (وفى الثالث) أربعون عظمًا (وفى الرابع) أربع وثمانون عظما (ثم خلق الله) سبحانه لهذه العظام رباطات تمسكها (فعدة) عروق شكل الانسان ثلثمائة وستون عرقا * وبهذه العروق تكون الحركة والقبض والبسط * فرأس هذه العروق فى الفؤاد (وهو العرق) المسمى بالنياط والابهر ومنزلته مع القلب بمنزلة الحاجب للملك يتلقف امره ثم يخرجه الى الخدمة ثم هذه العروق متصلة بالمعدة تمتص منها قوة الطعام والشراب الذى يدخلها ثم تقسمه بين الكبد * والمرارة * والطحال * والرئة * (وخلق) الابهر مستبطن الصُلْبِ (وهو) آخذ من مجمع الكاهل * الى مجمع الوركين * الى مجمع الحالبين * الى مجمع الصدر بين الترقوتين وهو نهر الجسد الاعظم وهو مقسوم لاربعة عروق لأجزاء الجسد الاربعة لكل جزء منها عرق فللرأس منها عرق يتفرق الى ستين عرقا ولليدين والرجلين عرق يتفرق الى مائتى عرق *والجزء الاول من النهر الاول (وهى) أربعة أنهار يتفرق منه عرقان من مجمع الكاهل يسقيان العنق ويتفرق من مجمع الصدر بين الترقوتين (عرقان) يصعدان الى العنق وهما الوريدان ثم (يتفرق) من كل واحد عرقان (ثم جميع) هذه العروق ينبعث فيها الغذاء الى كل عضو (من الرأس)

من الشفتين وغيرهما (وأما) عروق البدن من الربع الثانى وهو أحد الانهار الاربعة من النهر الاعظم يتفرق منه عرقان لكل يد عرق من مجمع الصدرين الترقوتين الى ما بين المنكبين وهما الاكحلان* ثم ينشعب من كل واحد منهما أربعة عروق سواهما فتسقى العضدين وأجزاءهما فذلك عشرة عروق لكل يد خمس عروق ثم يتفرق من كل واحد من العشرة أربعة تسقى الساعدين (فذلك) خمسون عرقا لكل ساعد منها خمسة وعشرون (ثم يتفرق) من كل واحد من الخمسين عرقا عروق آخر فتسقى الكفين والاصابع (وأما الجزء الثالث) فالبطن يفترق منه (عرقان) من مجمع الحالبين الى اليدين* يفترق من كل واحد منهما (تسعة وعشرون عرقا) سواهما يدفع الى كل جزء حصته من الغذاء (للاضلاع أربعة وثلاثون) ولسائر أجزاء البطن ستة وعشرون للمصمص (عرقان) (وأربعة) للمذاكير (واثنان) للكليتين (واثنان) المثانة (واثنان) يسقيان المعدة (واثنان) للكبد (واثنان) للطحال (واثنان) للفؤاد (واثنان) للمرارة (واثنان) للرئة (واثنان) للثديين (وثلاثون) للاضلاع لكل ضلع عرقان (واما) الجزء الرابع وهما الرجلان (ففيهما) الوتين عرق يفترق منه عرقان (وهما) النسيان (وهما) للفخذين لكل فخذ عرق من مجمع الوركين

يسقيان الفخذين واجزاءهما ويفترق من كل واحد منها أربعة عروق ثم يفترق من الاربعة خمسون عرقا تنتكس فى الساقين لكل ساق خمسة وعشرون عرقا فقد صار جملة الانسان جملة مناسبة للعوالم وجزءياتها * فهو مشبه للعالم الاعلى بنفسه ومشبه للعناصر بما فيه من ماء وهواء ونار وتراب * ويضاهى الجواهر الارضيّة * امّا الحيوانية فبروحه الحيوانى * وامّا النباتية النامية فبما ذكرناه من عروقه ونموّه وتغذيه * وأما الجمادية فبعظامه فهذه المشابهة الكلية * ثم تعرض اجزاءه على كل جزء من العالم فتجده يضاهيه * وشرح ذلك مما يطول ولو استوفينا فيه الاعمار الطويلة وآباد السنين لما نفد * وعليك ان تمتحن ذلك بكل ماتشاهده * وتبحث فتجد فى عالم جسمك مثل ذلك بل فيه مايضاهى قوى الحيوان كجراءة الاسد * وخبث الثعلب وطيش القرد وصلابة الخنزير وهكذا * ثم الغذاء اذا استقر فى المعدة طبخته الكبد * وهى حارة رطبة لاصقة فى المعدة من الجانب الايمن * يمتص منها من صفو الغذاء وكل حار رطب لمشاكلتها له فتصفيه بجوهرها * وفيها أنابيب كالمصفى فتجذبه العروق وتنقله ويسير فيها على حسب ماقدمناه * وأما المرارة فهى معدة الخلط الذى يقال له المرارة الصفراء وهى حارة يابسة لاصقة بالمعدة من الجانب الايمن مما يلى الكبد * يمتص منها

من صفو الغذاء كل حار يابس المشاكلة فتصفيه بجوهرها * ثم تحتلبه العروق كما ذكرناه * والخلط الثالث المرة السوداء ومعدته الطحال * وهو بارد يابس لاصق بالمعدة من الجانب الايسر فيمص من الغذاء كل مشاكل له * والرابع البلغم وهو بارد رطب وله الرئة تمتص من الغذاء مايشاكلها * والحلقوم رأس الرئة على طبيعة الطحال وهو معد للنفس والحنجرة * ورأس الحلقوم مغطاة بطبق واللهيات مدلاة عليه والقلب فى الجانب الايسر تحت الثدى الايسر * والرحم فى الجانب الايمن لاصق بعروق الفؤاد * وهو معدن الشهوة والمعدة معتدلة المزاج وهى كالقدر وتلك الاوعية كلها لها كالاثافى * ولها فمان مدخل وهو مسلك المرى الى الفم * والفم الثانى يخرج منه الاثقال وتخدم المعدة * وللصرة أربع قوى * إحداها جاذبة والثانية ممسكة والثالثة هاضمة والرابعة دافعة * فالجاذبة حارة رطبة تقوى الدم وتجر الطعام والشراب من الفم الى المعدة * وكل ماشاكلها تصيره دما وهى منحدرة من أسفل المعدة الى أسفل البطن فتخرج غير متغيرة الشم تشاكل ريح الجنوب *

وأما الممسكة فباردة يابسة تقوى المرة السوداء وتمسك الطعام والشراب فى المعدة ولاسبيل للمعدة ان تمسك شيئاً دونها وتخرج متغيرة الشم تضاهى ريح الشمال وهما على مضادة

الجاذبة فبذلك يعتدلان * وأما الهاضمة فتقوى المرّة الصفراء وتهضم الطعام بالحر ويعينها الكبد فيصعد من المعدة الى الفم غير متغير الشم وهى حارة يابسة كريح الدبور * وأما الدافعة فباردة رطبة تقوى البلغم *وقد توقع الطعام والشراب من المعدة الى الامعاء الى الاعفاج (١) الى الارض بذلك وكلت وهى باردة رطبة معادلة للريح الهاضمة * وصلاح الامزجة وفسادها تابع لهذه الامور * والعلم الطبيعى معد لاصلاحها هو فائدته وغرضه والنفس تكتسب بالمجاورة من هذه الطبائع ملكة عند غلبتها كالطيش والحدة عند غلبة الصفراء والهم والغم وقلة النشاط عند غلبة السوداء الى غير ذلك كما يكتسبه الرفيق من رفيقه * ومتى كانت هذه الطبائع جارية على اعتدال كانت النفس أجرى الى السلامة * وجميع هذا كله بتقدير الله تعالى وتدبيره لا إله إلا هو* فتى تأمل هذا النضد المحكم والترتيب المنظم ومعادلة بعض القوى لبعض وكيف خلقت اليد للبطاش واللسان للكلام والحدقة للرؤية وكيف خلقت على شكل ملايم للنور فجعلت جامداً فى أغشية لطيفة مكفنة بالاشفار وجعل للاشفار أهداب تقيها الغبرات والنور الكثيف أن يغشيها علم أن ذلك دال على أن لهذا الصنع العجيب والامر الغريب

---

(١) جمع عفج ماينتقل اليه الطعام بعد المعده

مدبراً دبّرهُ وعليماً أتقنه * وهذا لا يخفى على ذى بصيرة فانا قد وجدنا هذا الشكل الانسانى على أتم الحكمة التى تقتضيها العقول فلا تخلو هذه الصنعة العجيبة إما أن يكون صنعت نفسها أو صنعها جماد أو صنعها مخلوق حى أو صنعها باريها وهو الله تعالى * وبطل ان تصنع نفسها لان وجود الفاعل يجب ان يتقدم على المفعول * وبطل ان يكون الشىء مفعولا من حيث هو فاعل أو فاعلا من حيث هو مفعول * وبطل أن يصدر عن جماد فان الجماد لا يوصف بالفاعل * وبطل ان يصدر عن مخلوق حى طبيعة أو غيرها فانا نقول الطبيعة ما معناها فلا تخلو ان تكون جمادا أو حيا * فان كان جمادا كان القول فيه ما تقدم وان كان حيا قلنا هذا الحى لا يخلو ان يكون له فاعل أو لا فاعل له * فان قيل له فاعل آخر فالطبيعة كآدم فى افتقارها الى محدث * وان كانت الطبيعة حية لا فاعل لها ولا علة فهى الاله فاسقطوا لفظ الطبيعة وقولوا الله * فهو الذى نريد بيانه فان حوادث لا أولية لها محال الا إذا قلنا فعلت الطبيعة طبيعة فذلك منتف فلا بد من استناد الحوادث الى مبدأ لا علة له وليس بمعلول أصلا * وهذا يبطل اعتقاد من يقول آدم من آدم آخر قلنا نتبعه فيلزمه التسلسل وهو محال فصح أن الشكل الإنسانى تنتهض منه الدلالة على باريه ومصوره مع ما فيه من

العجائب الدالة على العالم فليس فى العالم أمر غريب مشكل الا وفيه مفتاح علمه * فالله تبارك وتعالى (خلقه على مضاهاة العالم) فهو نسخة مختصرة منه * ومن تأمل أحوال الانبياء ومعجزاتهم وكرامات الاولياء وما جعل الله سبحانه فى قوى النفس بل مايشاهده كل أحد من نفسه فى المنامات التى تعلم بغيبات الامور وعاقبتها ومايبصره الانسان فى النوم من السماء والارض والبحار وسعتها * وهو لايتسع بمقدار مايبصره كما أنه يبصر السماء على سعتها بعين وهى فى دور الدرهم * وهذا من الامر العجيب علم ان لهذه العجائب مدبّراً دبّرها وصانعا أتقنها وعجايب الانسان لاتحصى بل فيه من الخواص عجائب مما يستعمله الاطباء منـه * فسبحان الفاطر العليم *

« المعراج الثانى »

ولما فرغنا فى المعراج الاول من معاملة أصحابه بالسهل من الحكمة والقريب الظاهر من الدلالة التى لايخفى نورها ولايتلعثم فيها إلا من جعل له الرأى المعكوس والمثل المنكوس ومن يضلل الله فما له من هاد *

﴿ فلنرتق الى المعراج الثانى ﴾ : وهذا المعراج لطبقتين المحققين الاذكياء والمتحذقين الاتقياء * وهو لتقرير النفس وهل هى باقية أم لا * وهذا المعراج كالقطب لسائر العلوم وله يجتهد المجتهدون ويعمل العاملون ولا فائدة أعظم منه فان نبوة الانبياء والثواب والعقاب والجنة والنار وسائر أنباء الدنيا والآخرة المأخوذة عن الرسل لا تثبت متى أبطلت هذه المسئلة فان النفس إذا لم يكن لها بقاء فجميع ما أخبرنا به وأطمعنا فيه فباطل وبحسب ما نثق به من هـذه المسئلة نجتهد * وبحسب ما يغيب عنا ننظر وبهذه المسئلة كفرت الزنادقة فانهم اعتقدوا ان حقيقة الانسان مزاج معتدل كالنبات متى اعتدلت قواه بقى ومتى غلب عليه حر أو برد فسد ودثر * ثم لا ترتجى بعد ذلك موتاً ولا حيوة ولا نشورا فاستخفوا لذلك بالخالق واستهانوا بالانبياء كقول امية بن خلف لاحد الصحابة لأوتين مالاً وولداً * وذلك لانه استخف وقال أنتم تزعمون انكم أصحاب أموال فى الآخرة وسيكون لى هناك مال وسأقضيك منه * وعلى هذا المعراج يدور الناس فهو أس العلوم واذا اضمحل فلا ثابت ولذلك لم تبينه الرسل والله أعلم لان كلام غيرهم بين أن يقبل أو يرد أو يصدّق أو يكذب وكلام الرسل عليهم السلام ليس كذلك فان المسئلة فى نهاية الغموض والاذهان اكثرها

ضعيفة فربما لم تفهم مقاصدهم فتعترض من قولهم على قولهم فلم يوردوا فيها إلا إشارات ورموزا * وفي القرآن العزيز (ويسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربي) وقال تعالى في عيسى عليه السلام (وكلمة القيها الى مريم وروح منه) وقال النبي عليه السلام أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر * وهذه كلها ظاهرة عند العلماء مكشوفة وعند غيرهم غير معقولة وقد أختلف الناس فيها على مر السنين والايام فزعم أفلاطون ان النفس والروح واحدة وهي النفس الكلية وانها مع الابدان كالشمس مع الارض تنثر شعاعها على المواضع فيأخذ كل موضع نصيبه على قدره وزعم انها تألف الجسم بضرب من المناسبة بالطبع فاذا حصلت فيه الفته وشغفت به ولا تزال فيه وليس هي عنده حالة في الاجسام وانما هي كالمغناطيس مع الحديد في الملازمة والانفعال ومناسبة الطبيعة * وليس احدهما حالا في الثاني لكن ينفعل له بضرب من واسطة خفية هي الطبع ولا تزال فيه الى ان يفسد البدن كما ان الحديد يخلق مع طول المدة فلا يقبل تجاذب المغناطيس * وزعم آخرون ان النفس عرض وان حقيقة الحياة معنى يكون عند اعتدال المزاج فاذا مات الانسان فنيت روحه وهؤلاء ذاهبون الى ان النفس محدثة وزعم أفلاطون انها قديمة وذهبت فرقة ثالثة الى انها محدثة عند حدوث البدن

وهي مع ذلك لا تفنى * ومن حقق من الفلاسفة على هذا المذهب والاكثر على مذهب أفلاطون * وسنكشف ان شاء الله تعالى غائلة مذهبهم في المعراج الثالث في حدوث العالم الاعلى فلنرسم ههنا ثلاثة فصول (الفصل الاول) في قوى النفس وعلة تحرك البدن بها (الفصل الثاني) في كون النفس جوهرا غير متحيز قائما بنفسه مستغنيا عن المحل (الفصل الثالث) في أن النفس لا تعدم وانها باقية (الفصل الاول) ربما اعتقد من لا تحقيق لديه أن الشرع يزجر عن التعرض لهذا القدر في تصحيح أو ابطال وليس في الشرع دليل يدل على ذلك وقوله سبحانه (قل الروح من أمر ربي) جواب مقنع اذا فهم الامر بما هو عليه ولو أراد تعالى الزجر لذكر الحكم عليه * وقد كشفنا عن القوى الجسمانية وهذا الجسم يجري من النفس مجرى الثوب من الجسم فان الجسم يحرك الثوب بواسطة أعضائه والنفس تحرك البدن بواسطة قوى خفية ومناسبة * وقوى النفس تظهر في مواضع من البدن وربما بلغت عشرا نذكرها والنفس في ذاتها واحدة وانما ترجع التسمية الى الآلة كقولنا سمع وبصر وشم وذوق ولمس * والنفس هي الذائقة الشامة المدركة فهذه خمس قوى ظاهرة والدليل على أن النفس هي المدركة دون هذه الاعضاء أن العروق متى حدث بها سدد تمنع اتصال النفس بها بطلت

كالخدر والموت وهذا مشاهد لا يفتقر الى دليل * والقوى تنقسم الى قسمين الى محركة والى مدركة والمدركة قسمان ظاهرة وباطنة فالظاهرة ماذكرناه والباطنة ثلاث (احدبها) الخيالية والوهمية والفكرية فالخيالية فى مقدم الدماغ وراء القوة المبصرة خاصيتها بقاء صور الأشياء المرئية فيها بعد تغميض العين وانقطاع مايدركه الحواس ويسمى الحس المشترك * الثانية الوهمية وهى التى تدرك المعانى فالاولى مختصة بقوى المعانى وصورها وموادها * وهذه تحفظ المعانى دون صورها وموادها اذ تدرك الشاة عداوة الذئب مجردة فتنفر عنه * والسخلة تدرك حنان الام فتالفها ومحلها التجويف الاخير من الدماغ * والثالثة القوة المفكرة وشأنها أن تركب الصور بعضها مع بعض * وهى فى التجويف الاوسط بين حافظ الصور وحافظ المعانى فهى حايكة * وهى المرادة برمز القائل ، رجلان خياط وآخر حائك ، متقابلان على السماك الاعزل ، مازال ينسج ذاك خرقة مدبر ، ويخيط صاحبه ثياب المقبل ، ومواضع هذه القوى مبرهنة بصناعة الطب فان الآفات متى نزلت بهذه المواضع عدمت هذه المدركات وزعموا أن القوة التى تنطبع فيها صور المحسوسات تحفظ تلك الصور فتبقى فيها بعد قبولها بحسب الحواس الخمس اذا تكرر ذلك عليها والشئ يحفظ الشئ بغير القوة التى بها يقبل اذ الماء يقبل

الانطباع ولايحفظ بخلاف الشمع فانه يقبل بالرطوبة ويحفظ باليبس والحافظة تصون المتخيلة كما ان القوى الذاكرة تصون الحافظة * والقوى المحركة اما باعثة على الحركة * واما مباشرة للحركة فالباعثة هي القوة النزوعية الشوقية ومتى رأت امرا يترغب فيه أو يترهب منه بعثت القوة المحركة المباشرة على الفعل فتنبعث في الاعصاب والعضلات والرباطات من القلب * إما يبسط عن جهة المبدء واما يقبض اليه اذهي اذا فرحت نشرت الدماء في العروق فكان الفرح * واذا حزنت انجذبت فانجذب الروح الحيواني الى القلب فاغتم وحزن * ثم من شأن النفس ادراك المعلومات المغيبة * ولها قوتان اماعملية واما علمية فالعملية قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الصناعات الانسانية * وأما العلميه فهي المدركة لحقايق العلوم مجردة عن المادة والصورة * وهي القضايا الكلية المجردة وهي العقل وبهذه القوة تتلقف عن الملائكة العلوم * وبالقوة الثانية تصلح ماوكلت به من الامور الجسمانية * وهذه الامور كلها محسوسة يستند برهانها الى الحس فلانطول بتمهيده كما أن ماذكرناه من الجسمانية أكثرها محسوس * وماغاب فقلدنا فيه المعتنين بالتشريح على انها أكثر مايوصف * واذا فهمت الجسم والقوى الحيوانية * وان النفس هي المحركة الباعثة وان قواها

باعتبار الاضافة الى المواضع كان كالثوب الواحد يسمى موضع منه كما وموضع منه طوقا وموضع منه جيبا* وقد قدمنا ان لها قوتين عملية وعلمية* وان العلمية مستعدة لقبول العلوم الى مالا يتناهى بالقوة وان الجسم منفعل للقوى المحركة والمحركة العملية تحت هذه العلمية الشوقية النزوعية* ومنها مبدا الفعل الى أن يبرز ويظهر * فان قيل فلم لاترى النفس فان فى رؤيتها مايدل على صحة وجودها * وهللا تخيلناها قلنا فهاتان مسئلتان أحدهما لم لاترى والثانية لم لاتتخيل * فالجواب عن احدهما وهى لم لاترى بثلاثة أجوبة * أحداها ان كل موجود ليس من شرطه ان يرى اذ صحة وجود الموجود لاتستدعى ان يكون مرئيا فان الاحوال اللازمة للشيء اما أن تكون ذاتية واما ان تكون عرضية والموجود من الاحوال اللازمة ذاتي وكونه مرئيا عرضى له اذ يثبت وجود الموجود مع عدم من يراه ومع ذلك يثبت الموجود ولا يبطل وجود عدم الرائى له * والدليل على ذلك وجود البارى سبحانه وتعالى فى الازل لاالى نهاية ولم يرحتى الان وذلك لايبطل وجوده * نعم يستدعى الوجود أن يثبت له مايصحح وجوده والشىء قد يستدل عليه اما بقضايا عقلية واما باثر يثبت للحس فيقضى عليه وقد شاهدنا آثار النفس ووجود انفسنا بالضرورة وعلمنا أن فى اجسامنا

معنى يزيد عليها بالضرورة اذ يبقى الجسم ولا روح له ويكون الجنين تاماً فى الشهر الرابع ولا روح له * الجواب الثانى ان المرئى يجب أن يكون من الرائى فى جهة وعلى مسافة ويكون قابلا للالوان اذ هى العلة فى أظهار المبصرات * وانما قلنا أن النفس لاتقبل الالوان اذ اللون مركب من أمور تجتمع * الجواب الثالث ان المرئى لابدان يكون فى حيز وسنقيم الدليل على أن القوة العقلية لاحيز لها *

(الفصل الثانى) النفس جوهر قائم بنفسه ولا بد من كشف هذه العبارة فنقول النفس تطلق على جهات فيقال للقوة الغاذية نفس وكذلك المنمية وكذلك النباتية * وهذه انفس وليست المراد فى هذا الغرض * فاول النفوس النباتية ثم الغاذية ثم النامية ثم الحيوانية * وهذه اول مراتب خروج فعل النفس من القوة الى الفعل فالنفوس الحيوانية هى كمال جسم طبيعى بها يحس ويتحرك والبهيمة والانسان يشتركان فى هذه النفس وهذه النفس هى حرارة مودعة فى النطفة ودم الطمث المجتمع فى الرحم لها كالقالب فاذا اسقط المنى على بقية دم يجتمع فى الرحم انتشر عليه كالنتق فى اللبن وعقده بحره فسخن وامده بالحر من خارج وتزيدت الحرارة الغريزية * فاول ما يتكون القلب ثم تنتشر من العروق والعصب وينتقش ذلك الجزء فيه الى أن تكمل

اعضا الجنين ومن يوم تسقط النطفة فى الرحم الى يوم خروجها مقدار ما تقطع الشمس ثلاثة ارباع الفلك * والنطفة تستمد الحر من جهة الام والام من الاغذية فاذا دخلت فى الشهر التاسع صارت كالمفتول الخشن المشرب بالزيت الصافى فى شدة الملائمة والتأتى للاشتعال * وهذا مثل بل الامر أغمض وأدق * فالنفس الحيوانية لباب الغذاء والنباتات والعناصر فاذا بلغت هذه الرتبة استحقت من الجود الالهى نفسا * فحينئذ يوجد الربّ تعالى قوة من عالم الأمر كما قال تعالى (قل الروح من أمر ربى) وقال تعالى (روحا من أمرنا) وقال تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى)، والعالم من محدب الفلك التاسع من الصفحة التى تلى جهة فوق والتى تلى أقدامنا الينا مملوءة جنوداً وملائكة وما يعلم جنود ربك الا هو وقد تبرهن فى العلم الطبيعى انه لا يجوز ان يكون عالم خارج الكرة التاسعة وان لا خلاء البتة وأن كل موجود للبارى تعالى فهو داخل فى جوف هذه الكرة * فأما الاجسام فهى تستحيل عن العناصر الاربعة فكل ما تحت مقعر فلك القمر مستحيل متغير والعناصر يستحيل بعضها الى بعض وما عدا ذلك فهو جواهر من حوادث آخر والنفس من جنس تلك الجواهر لا من العناصر فهى روحانية محضة وهى نفس صغيرة موازية لنفس العالم الكبير * وقد تكرر

منا أن الانسان موجود على مضاهاة العالم فالنفس جوهر روحانى لطيف ولايجب ان ينكر المنكر ذلك وهو يشاهد شعاع الشمس وروحانيته وبساطته حتى ان قرصها يكون بالمغرب وشعاعها بالمشرق فما هو الا ان تغيب خلف جبل فينقطع الشعاع الذى بالمشرق بلا زمان * ولو كان جسما لما انقطع ذلك فى آحاد السنين وكذلك اذا اخذت مرآة وعكست بها الشعاع انعكس ذلك الى حيث شئت ثم تقطعه عن موضع عكسته اليه لافى زمان وجوهر الشعاع بالاضافة الى جوهر النفس كثيف فليس فى العالم موضع بيت ولازاوية إلا وهو معمور بما لا يعلمه الا الله تعالى * ولذلك أمر النبى عليه السلام بالستر فى الخلوة وهو ان يجامع الرجل امرأته عريانين وقد قال (تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقال تعالى فى الانسان (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) فالارواح مشحون بها العالم * وانما نبهنا على ذلك تنبيها ان للنفس شبه عنصر تكون منه يناسب لطافتها فاذا تأتت الروح الحيوانية اوجد الله تعالى نفسا جوهرا لطيفا روحانيا عالمًا بالقوة فى طبايعه ان يعلم الامور ويعقل باريه فيتشبث بهذا الجسم ويشتغل به وينشا معه حتى لا يعرف سواه ويشتد ألفه وحرصه عليه حكمة من الله تعالى فى الاجسام * وذلك كمثل الحديد فانه يكون جمادا لا يتـ[illegible] فاذا

انضاف اليه امر يقوى طبيعته وخاصيته قوى الأثر فيه وتأتى المحل لفعل النفس الكلية فحركت الحديد فجرى ودار وتراه كالحى فلا يزال على تلك الحال حتى ينخرم ذلك الفطام وتزول تلك الملائكة فلا تزال هذه النفس مع هذا الجسم وتمدها الملائكة من خارج بنطق على انه لا يعرفه الا العلماء وقد أخبر الشارع عليه السلام ان الخير من الملائكة والشر من الشيطان فلابد من اثر يحصل على الملائكة *ولما كانت النفس روحانية قبلت عن الروحانى وتأثرت عنه * فلولا العقول المعبر عنها بالملائكة الممدة للنفوس من خارج لما عقلت معقولا البتة فان النفس عالمة بالقوة فقط والملائكة تخرج مافى القوة الى الفعل حتى تصيرها عالمة بالفعل فاعلى طبقة فى الاستمداد الانبياء صلى الله عليهم وسلم ثم من يليهم وذلك بحسب تهذيب النفس والعكوف على هذه الجنبة وهذا هو المعنى بقوله تعالى (إذ أيدتك بروح القدس) وقال تعالى فى الاولياء (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) ويتفاوت الناس الاخذ من الملك تفاوتا لانهاية له ومن الناس من لاياخذ شيئا ادون بقوله تعالى (ان هم الا كالانعام بل هم اضل أولئك [illegible]ن) وانما اوجد الله سبحانه النفس لامتحان الآدمى

ولو أوجدها مبرّاة من المادة لم يكن منها عصيان فجعلها فى مادة كما قال تعالى (لننظر كيف تعملون) وذلك ان الملائكة عرفت أن الموجود فى مادة يعصى فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فالنفس تكتسب فى بدنها الكمال لكى تلحق بالملائكة أو بالشياطين اما بالاعلى أو بالاخس * ثم هى من بعد ذلك حية لان كونها موجودة مع البدن لا يدل على عدمها بعدم البدن فان عنصريهما مختلفان * والدليل على ذلك ان نفوس الملائكة وذوات الافلاك لا تتغير الا أن يريد باريها والافلاك تقبله بجواهرها ولان الفناء هو انحلال التركيب والنفس بسيطة لا مركبة والدليل عليه علمها بالامور العقلية والمغيبة كالنبوة والكهانة ولا يصح البتة ان يعقل الجسم باتفاق العلماء والعقلاء والمزاج عبارة عن اعتدال الاخلاط فى الجسم والاخلاط جسم فيستحيل أن تكون مدركة عاقلة * وانما العاقل المدرك جوهر يناسب جوهر الملائكة وكل جنس فلا يلايم الا جنسه * ولما كان الجسم كثيفا صرف فى الخدمة والحركات والامور الجسمانية ولما كانت النفس لطيفة اعدت للارادات والقدر والعلوم حالة فى النفس والعلم لا ينقسم فمحله لا ينقسم ولان الجسم لو كانت حركته منه للزم فى الفلك أن تكون حركته منه وقد تبرهن أن حركته من نفس محركة وكل متحرك فلا يكون محركا نفسه أصلا

ويبطل أن يحركه جسم اخر اذلوحركه جسم لاستبدهو بالفعل فيبقى أن يحركه غير جسم وغير الجسم لاتركيب فيهومايفسد فانما يفسد لاجتماعه من متنافرات فينحل * وقدتقدم أن النفس لامركبة فالنفس لاتنحل * ومالاينحل يبقى فالنفس تبقى * ثم نقول جميع ماهو جوهرفهو اما قائم بنفسه * واما على مايعتقده المتكلمون فان الجواهرعندهم متماثلة ولافرق بين جوهر النفس وجوهر الجسم * وانما تختلف الجواهر عندهم بالاعراض ويستحيل أن يكون الجوهر عندهم يحل فى الجوهر اويقوم به فلوكان الجسم جوهرا والنفس جوهرا لم يصح أن تكون النفس صفة للجسم ولا اولى منه لتماثلهما فى الجوهرية * واذا بطل أن تكون جوهرا أوعرضا لم يبق الا أن تكون جوهرا قائما بنفسه ليست بعرض ولابجوهر * فان قيل لايعقل فى العقل الاجوهر أو عرض * وأما جوهر ثالث فلا يدرى قلنا هذا الان سخف بل ليس فى العقل حصر يدل على ذلك وانما اوجب تلك القسمة المشاهدة من حيث لم تشاهد الاعرضا وجوهرا وهذا قياس التمثيل وهوقياس باطل وسنمهد كتابا لتقرير البراهين ان ساعدت الاقدار بحول الله تعالى * واذا ثبت وجود معنى ثالث بالبرهان * قلنا هذا المعنى لايخلو ان يجب له المحل اويجوز عليه أو يستحيل * وبطل أن يجب له فان الواجب العقلى

لا يفتقر الى مخصص وذلك يلزم ان تكون النفس ابدا غير خالية من محل ونحن نشاهد تركها للبدن فلا بد من مدة تمر عليها لا تكون فيها فى محل * هذا لو قلنا انها تنتقل من هذا الجسم الى جسم فنقول ما بين الانتقالين لا تكون فى جسم والحكم الواجب لا ينتقض فى زمان مّا * ثم نقول من زعم انها تنتقل الى محل فعليه الدليل * وهذا لا يقوم عليه دليل البتة واذا بطل ان يكون المحل واجبا لها بقى ان يقال جائز عليها وما جاز على الشئ افتقر الى مخصص والمخصص لا يؤثر فى محل الا أن يكون المحل قابلا للتأثير وقد قدمنا أن النفس يستحيل انطباعها فى الجسم فصح وثبت انها يستحيل عليها المحل

(الفصل الثالث) وقد قدمنا اختلاف الفرق فى ماهية النفس وتقدم مذهب كل فريق والذى نخص به الآن هذه المسئلة ان نقول تنحصر المذاهب فى مذهبين اما أن يقال ان النفس قديمة على مذهب افلاطون فان البارى تعالى عنده علة وجودها والمعلول عنده لا ينعدم الا بانعدام علته والبارى تعالى لا ينعدم فالنفس لا تنعدم هذا مذهبه *

وذهبت طائفة من محققيهم الى أن النفس حادثة وهو مذهب ابن سينا ولكن اتفق الكل على انها لا تنعدم وبذلك اخبرت الانبياء عليهم السلام وقال تعالى (خالدين فيها ابدا رضى

الله عنهم) * وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) وقال سبحانه فى نفس الكافر (لا يموت فيها ولا يحى) وقال تعالى فى أهل الجنة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) فاذا هما طرفان احدهما عدمها واتفق الموالف والمخالف على انها لا تنعدم حاشا طائفة من الدهرية لا التفات اليهم (الطرف الثانى) وهو ابتداؤها * فذهب الاسلاميون والقائلون بالشرائع الى انها محدثة لها ابتداء لكنها جوهر لا يقبل العدم * وذهبت طائفة من الفلاسفة الى انها محدثة ولكن مذهبهم يعود الى مذهب افلاطون * وذلك أن معنى الحدوث عندهم انتقال ماهية الجوهر كالماء اذا اشتعل تحته النار ففنى فلم يفن عندهم تحقيقا لكن الماء عندهم استحال هواءً وكذلك الهواء اذا استحال نارا فالحدوث عندهم عبارة عن تغيير حال الجوهر * واذا فهمت هذا من مذهبهم فحدوث النفس عندهم عبارة عن انتقال جوهرها من حالة الى حالة كانتقال الماء الى الهواء والذى يرجع اليه مذهبهم والله اعلم ان العناصر الحاصلة فى مقعر فلك القمر المنفعلة عن الافلاك تولد النفس منها * وحاصل ذلك راجع الى أشعة الكواكب ولكن عندهم بين النفوس والاجسام مناسبة وعلاقة لا بد منها * وذلك يكون فى ابتداء الجسم الكائن من الاغذية بان تكون تلك

الافـذية تنقسم مابين البروج فاذا انفصل الجسم وخرج الى صفحة العالم من طالع مخصوص انجرت تلك الاشعة التى للكواكب الى الجسم بمناسبة مختصة من جهة مختصة بالطبع وعلى هذا بنو اراء الطلسمات فان ابن ادم عندهم طلسم فيحتالون بالبخرة وعقاقير وجواهر مختصة من جواهر الارض تلائم طبيعة الكواكب والحب والمنافرة عندهم على قدر تناسب الطبيعة ولهم فى هذا كلام طويل * والذى يقوم عليه البرهان أن النفس حادثة اذ البارى تعالى موصوف بالاقتدار على خلق جواهر لاتعدم * وسنورد ان شاء الله تعالى أصل مذاهبهم فى المعراج الثالث فى حدوث العالم العلوى فلا معنى لايراد ذلك فى هذه المسئلة فلنتكلم على أنها لاتعدم * فنقول الشىء لايوصف بالعدم مالم يقل انه قابل للعدم * واذا كانت النفس قابلة للعدم فلا تخلو أن يكون ذلك فى طبعها ويكون العدم ذاتيا له * واما أن تعدم لاختلال شرط فى وجودها * واما أن تعدم لارادة باريها أن تنعدم * وبطل أن يكون العدم من صفات ذاتها اذ ذلك يؤدى الى أن لاتبقى زمانين وهو محال وبطل أن يقال هى باقية بشرط اذ قدمنا ان القائم بنفسه لايفتقر الى شرط * وبطل أن يقال تعدم لارادة باريها فان ارادة باريها لايعلم الا من جهة الرسل عليهم السلام * وقد اخبرت الرسل صلى الله عليهم وسلم انها لاتعدم والله ولى الهداية *

﴿ المعراج الثالث ﴾

لم يختلف أحد من ذوى العقول ان الصور الجسمانية الحادثة فى عالم الكون والفساد حادثة مفتقرة الى علة فى وجودها اما بارى واما طبيعة على ماقدمنا وعالم الحس والشهادة والكون والفساد كل ماحواه فلك القمر وحصل فى مقعره * واختلف فى العوالم العلوية وهى نفوس الافلاك وعقولها ومافيها من الكواكب وغيرها * فاطبقت الفلاسفة على قدم ذلك بلا خلاف فى الاعتقاد * واختلفت عباراتهم فى التعبير عن حصولها عن البارى تعالى وهو المبدأ عندهم ومُجْرى المبدا الثانى الذى هو علة لما تحته من البارى سبحانه فجرى النور من الشمس ونور الشمس ضرورى الوجود معها فلاينعدم * والبارى سبحانه عندهم علة وهو معه كالمعنى الطبيعى وغير متقدم عليه التقدم الطبيعى بل معنى تقدمه عليه بالمرتبة كتقدم الملك على الوزير والوزير على الحاجب ثم سموه بعد ذلك حدوثا وفعلا وفيضا وكل ذلك على سبيل المجاز لا على الحقيقة * والعالم عندهم ينقسم الى قسمين قائم بنفسه وغير قائم بنفسه * فما ليس قائما بنفسه هى الاعراض وحدوثها عندهم عن دوران الفلك والانتقالات فتسرى الادوار من شىء الى شىء وتكتسب الجواهر بذلك أحوالا

وماهو قائم بنفسه منقسم الى ثلاثة أقسام * اجسام وهى اخس الجواهر وعقول اشرف الموجودات ونفوس وهى واسطة بين الاجسام والعقول وهى فى حكم الرابطة بين العقول والاجسام كالحرف الرابط بين الاسم والفعل والكلمة وهى غير مؤثرات فى الاجسام * ثم الاجسام عشرة تسع سموات والعاشر العناصر التى هى حشو فلك القمر * ثم السموات التسع حية عندهم ناطقة ولها ترتيب ودرجات وهو أن البارى تعالى عن قولهم فاض عنه على الطريق التى ذكرناها العقل الاوّل وهو العلم والكلمة عند أكثرهم وهو جوهر قائم بنفسه ليس بجسم ولا هو منطبع فى جسم يعرف نفسه ويعرف باريه وهو ملك * وربما زعموا انه هو القلم * ثم لزم عن وجوده ثلاثة أشياء عقل ونفس والفلك الاقصى وهو التاسع وهو السما وجرمها ثم لزم من العقل الثانى عقل ثالث ونفس وفلك الكواكب الثابتة وجرمه ولزم عن العقل الثالث عقل رابع ونفس فلك زحل وجرمه ولزم عن العقل الرابع عقل خامس ونفس وفلك المشترى وجرمه هكذا الى فلك القمر ثم ما فى حشو فلك القمر ثم المواد التى تسير فى سبب حركات الكواكب امتزاجات مختلفة تنفعل منها المعادن والحيوانات والنباتات فالعقول عشرة والافلاك تسعة ومجموع ذلك تسعة عشر * وزعم بعضهم ان ذلك هو المراد بقوله تعالى عليها

تسعة عشر * وزعم بعضهم ان ذلك الاثنى عشر برجا والسبع الدارى والى هـذا يرجع حقيقة مذهبهم وعليـه مدار سائر مذاهبهم فى كل فن واتفقوا على أن الله تعالى واحد وحدانية لاتقبل الانقسام لابالحس ولا بالعقل ولا غـير ذلك وانه لامعنى له يزيد على ذاته من علم اوقدرة أو غير ذلك* هذاهو مذهب المحققين منهـم الذى اتفقوا عليـه * وما يظهر من الاختـلاف فى اقوالهم فى العالم كتحيرجا لينوس حيث قال لااعلم قديما اوحادثا فقد قال الفارابى من محققيهم ان معنى ذلك ان العالم يتعارض عليه فهو ضربان لانقسامه فى نفسه الى القديم والحادث * فاذا انفرد الـكلام ارتفع الغلط * فمعنى قولهم العالم محدث له معنيان * احدهما حقيقة والاخر مجاز فاما ماهو حقيقة فهو تركيب الصور فى عالم الكون والفساد من المادة * واما المجاز فتسميتهم العلة الاولى حـدوثا وفيضا وذلك راجع الى تسمية مجردة فانه لايصح عندهم ان يصدر حادث من قديم البتة*ولنرسم فصلين احدهما يقتضى الدلالة على أن العالم محدث ويتضمن الثانى الكشف عن أدلتهم فى أن السماء حية (الفصل الاول) لهم على مذهبهم ادلة نوردها وننفصل عنها قالوا يستحيل ان يصدر حادث عن قـديم حدوثا لا واسطة له لان الاله اذا فرضنا وجوده فى الازل لاموجود معه البتة والموجودات لم

تصدر منه لان ايجادها لم يظهر به بل كان عنده فى حيز الامكان المجرد ثم أنه احدث العالم فاحداثه لا يخلو من حالين اما أن يكون بقى على حالته الاولى واما أن يكون حدثت له صفة تقتضى الاحداث * وذلك يلزم السؤال بلم فيقال لم خصص هذا الوقت بالفعل دون الوقت السابق أو يحال الامر على فقد آلة ووجودها ويبطل أن يكون لارادة حادثة فان الحادث لا يحل القديم ويبطل ان يخلقها فى محل ثم يريد بها وكل هذا باطل * واما قولهم انه لم يفعل ثم فعل فذلك يوجب تغيير حال * قلنا ذلك باطل فانه تعالى لم يزل عالما ولا يزال ومقتضى علمه ايجاد الخلق فى المبدأ الذى اوجدهم فيه وقصد الى خلقهم حين ابتدا خلقهم وذلك راجع الى اظهار الفعل وليس من شرط العالم اذا كان قادرا ان يلازم المعلوم والمقدور * والبارى تعالى لا يقال له لم فيسقط ما مَوَّهوا به فان قالوا البارى تعالى لا علم له * قلنا بل هو عالم لا يتغير عما علم فى وقت ما لا فى الماضى ولا فى المستقبل كما يدل عليه ومن الدليل على حدوث هذا العالم ان فى القول بقدمه اثبات حوادث لا نهاية لها فلك الشمس يدور فى سنة وفلك زحل فى ثلاثين سنة فتقع أدوار الشمس فى أدوار زحل فى ثلث العشر وتقع ادوار الشمس فى أدوار المشترى فى نصف السدس فانه يقع مدة اثنى عشرة سنة فاذا كانت دورات زحل لا نهاية لها ولا اعداد وكذلك الشمس

وكذلك المشترى فذلك يبطل ان تقع الشمس لاحدهما فى التكسير على ماوصفناه بل فلك الكواكب الذى يدور عندهم فى ستة وثلاثين الف سنة مرة * ثم نقول اعداد هذه الدورات لاتنفك ان تكون شفعا او وترا او شفعا ووترا أولا شفع ولا وتر وبطل ان يقال لاشفع ولا وتر فان العدد اما شفع واما وتر وقد صححتم هذه المقدمة فى المنطق وكذلك ان قلتم شفعا ووترا فان قلتم شفعا فما لانهاية له لايعوزه واحد يصير العدد وترا ومحال أن يعوزه وان قيل وترا ثبتت النهاية * فان قيل مالايتناهى لايقبل الاتصاف بالشفع والوتر قلنا هذا محال اذ جملته قامت من سدس وعشر تقبل ذلك بالضرورة وغاية كلامهم مطالبة البارى سبحانه بلم خص وقت المبدأ من غيره وهذا الاعتراض لايعقل له مناسبة ولايلزم بحال فكل مايهذون به يحمل على العلم والارادة على انانقول ربما الاصلح بهم خلقهم فى الوقت الذى وجدوا فيه *

(الفصل الثانى) وهذا الفصل ينقسم الى ثلثة أقسام * القسم الاول فى ذهابهم الى ان السماء حية * والثانى قولهم ان السماء عالمة بجزئيات العالم * والثالث فى ترتيب الحركات قالوا السماء حية ولها نفس * نسبة نفسها الى جسمها كنسبة انفسنا الى اجسامنا * وكما تنقسم حركاتنا الى الطبيعية والارادية كذلك حركة هذه ارادتها

وطبيعيها قصدها عبادة رب العزة والتقرب منه اذ كل تحرك ارادى لغرض اذ بذلك يفارق العاقل سائر الحيوان * ثم قصد التقرب الغرض به عندهم التشبه بالبارى تعالى فى الصفات لا فى الذات فان الكمال الاعظم والبهاء الاتم والجود الافخم لله رب العالمين * وكل وجود بالاضافة الى وجوده ناقص والملك أقرب اليه ونعنى بصفات البارى تعالى العلم والحلم والجود والرحمة والنزاهة عن الظلم الى غير ذلك * والانسان متى استعمل هذه الصفات قرب من الملك فهو قرب مناسبة فى الخلق والصفات لا فى المكان وكذلك الملائكة مع باريهم * قالوا ومنتهى طبقة الادميين التشبه بالملائكة * والملائكة عندهم عبارة عن النفوس المحركة للسموات قالوا وكمالاتها تنقسم الى ما بالقوة والى ما بالفعل فما هو بالفعل كونها على شكل كرى وذلك بالفعل حاضر ابداً وما لها بالقوة الهيئة فى الوضع والاين فكل وضع ممكن لها وما لم يمكنها فلعدم ثباتها تحركت تبغيها فلا تزال تطلب وضعا بعد وضع وانما قصده التشبه بباريه فى صفات الكمال فهو يتحرك لافاضة الجود على ما تحته من العوالم اذ ليست تختلف فى التثليث والتربيع والمقابلة واختلاف الطوالع * وهذا الكلام لا يقوم عليه برهان فان الحركة المشرقية هلا كانت مغربية وهلا كانت المغربية مشرقية * فاما عنوان ادلتهم فى انها حية فزعموا أن السماء

متحركة * قالوا وهذا معلوم بالحس والضرورة وكل جسم متحرك فله محرك ولا بد * وهذه مقدمة أخرى اذ لو تحرك الجسم بمجرد كونه جسما لكانت الاجسام كلها متحركة والمحرك لها اما ان يكون طبيعة لها كهوى الحجر الى أسفل * واما أن يكون المحرك لها خارجا عنها كرمى الحجر الى فوق فيكون قاسرا له على ذلك * واما ان تتحرك بارادتها ويبطل أن تكون حركتها قسرية لان محركها اما جسم فيلزم فيه مالزم فى هذا واما أن نقول يحركها الله تعالى بغير واسطة قالوا وذلك محال لانه لو حركه من حيث أنه خالقه لازم ان يحرك كل جسم فلا بد من اختصاص الحركة بمزية ولا يمكن ان يقال تحركها بالارادة لان ارادته تناسب الاجسام نسبة واحدة فلم خصت هذه بالتحرك دون غيرها والحركة الطبيعية فيها محال لان الطبيعة تلزم ضربا واحدا * ثم الحركة الدورية لا يصح ذلك فيها فان كلا مضروب عنه فلا يلزم عودها اليه فتتساوى الاماكن ونحن نسلم جميع ماذكروا حاشا قولهم يبطل ان تتحرك لارادة الله اذ يلزم ذلك فى شكل السماء وتحركها على نقطتين ولم اختصت بهذه الصورة * القسم الثانى قالوا اذا صح أن السماء متحركة بالارادة فهى عالمة مطلعة على جزئيات العالم قالوا والمراد باللوح المحفوظ نفوس السموات * وان انتقاش جزئيات المعلومات

ومافيها كانتقاش المعلومات فى القوة العاقلة فى الانسان * قالوا والملائكة السمويات نفوس السماوات والكروبيون المقربون العقول المجردة التى هى جواهر قائمة لاتتحيز ولاتتصرف فى الاجسام واستدلوا على أن السماء عالمة بالجزئيات بان قالو الحركة الدورية ارادية والارادة تتبع المراد * والمراد الكلى لايتوجه اليه الارادة الكلية والارادة الكلية لايصدر منها شىء فان كل ماخرج الى الفعل موجود وجزئى ونسبة الارادة الكلية الى الجزئيات على وتيرة واحدة فلايصدر عنها شىء جزئى بل الابد من ارادة جزئية للحركة المعينة وذلك يلزم تصوره لتلك الحركات الجزئية بقوة جسمانية اذ من ضرورة كل ارادة تصور مرادها واذا ثبت تصورها الجزئيات علمت مايلزم منها من اختلاف النسب من الارض مع اختلاف اجزائه فى الطلوع والغروب والاستواء فاذا الحركات السببية المسببات سلاسل تنتهى الى الحركة السموية الارادية والانسان انما لايعلم مايقع فى المستقبل بجهله بالاسباب وهذا كله باطل فى حق السماء فانه موجود الى تتابع حوادث لانهاية لها وهذا محال * نعم يصح هذا فى حق البارى تعالى من حيث ان المعلومات عنده على وتيرة واحدة تابعة لارادته وعلمه وذلك لايلزمه على شكل يوجب له ذلك او دوران وما لزم عن شكل ودور افتقر الى مريد موجد لذات الشكل والدور

فريده بالعلم أولا ويبطل تساوى الخالق والمخلوق فى العلم فانه اذا علم الفلك لوازم الحركات الى مالا نهاية له وعلم البارى سبحانه لوازمها الى مالا نهاية له فلا يخلو علمهما لها اما ان يتطابقا او يتضادا ومتى تطابقا او تضادا فهو نقصان لمن يستحق الكمال الاتم وقد اتفقوا على ان البارى تعالى منفرد بذلك *

(القسم الثالث) ماذكرناه فى القسمين السابقين ينقسم الى مالا يصح ولا يقوم عليه برهان والى مايقوم عليه برهان كعلمنا أن السموات متحركة وان الحركات مختلفة فى التغريب والتشريق واختلاف المطالع والمغارب وتعلق الحوادث بذلك لكنا نزعم أن ذلك تابع لارادة البارى سبحانه وعلمه فى كل دقيقة من الزمان وهم يزعمون ان السماء ونفوس الافلاك مستقلة بذلك من جهة ارادتها وعلمها فنجعل هذا القسم ثلاثة فصول * الفصل الاول فى أن الله سبحانه عالم بالمعلومات * الفصل الثانى انه مريد للكائنات * الفصل الثالث فى غرض القسم فى ترتيب الحركات

فصل اتفق المثبتون للصانع على أن الله تعالى عالم واختلفوا فيما هو به عالم وهل علمه زائد عليه ام لا * وهذا الاتفاق فى اثبات العلم كاف ونزيده بيانا أن نقول لا يخلو العالم ان يكون له محدث أو لا محدث له * فان لم يكن له محدث بطل بما قدمناه *

وان كان له محدث لم يخلو ان يحدثه وهو عالم به أو غير عالم به فان قيل احدثه ولا علم له به فهو اما مقهور او ذاهل وهذا باطل اذ ذاك محال وقد تقدم ماينفيه فلم يبق الا أنه عالم فان قيل هو عالم ولكن بالكليات واما بالجزئيات فذلك يوجب تجدد علمه بتجدد الوارد وذلك باطل والذى يلزم فى حدوث جزء منه فان الحدوث لايختلف فلو صح أن تحدث خردلة دون علمه لجاز ان تحدث السماء دون علمه * فان قيل سلمنا ان محدثنا لايحدث وهو لا يعلم به بل للملائكة المؤكلين بذلك فى علمهم بالمعلومات استقلال وهذا منتهى شبههم * قلنا ذاك محال فان البارى سبحانه عندكم عقل محض ومن شرط العقل المحض المبرأ عن المادة أن لايجهل معلوما وانما طرأ الجهل على الانسان من حيث هو فى مادة فاشتغل بها عن غيرها * فنقول قد علمتم أن السماء عالمة بالجزئيات فهلا أوجبتم ذلك لرب العزة على الوجه الذى اثبتموه للسماء * فان قالوا يلزم طرو الحوادث عليه * قلنا لا يلزم لان علمه قديم علم مايكون من تركيبات العالم وانتقالاته الى منتهى وعلى أصلكم من حيث علم الاسباب الاول يلزمه علمها وعلم توابعها وتوابع توابعها فان من علم السبب علم المسبب ومامن سبب الاوله مسبب هكذا الى منقطع السلسلة * ثم الحدوث والتغير يطرآن على الحوادث وهى جارية على ما علم فعلمه واحد

لا يتغير وانما تغيرت هى من حيث علم تغيرها فى علمه انها يترتب بعضها على بعض * فان قيل فهل علمه زايد على ذاته أو هو عين ذاته قلنا ذهبت المعتزلة الى ان ذاته عين علمه وذهبت الاشعرية وا كثر الفرق الى أن علمه غير ذاته * والذى اعتقده ان الله سبحانه عالم وقد قام الدليل على علمه فهذه مقدمة المقدمة الثانية ان ثبت أن اثبات كون العلم مغايرا للذات محال وذلك ان نقول لا يخلو العلم ان يكون نفس الذات وهذا لا نعتقده أو نقول انه زائد عليها وهو مذهبكم * فان كان زايدا عليها فلا يخلو أن يستقل دون الذات بأن يكون واجب الوجود أو تكون الذات شرطا فيه فان استقل دون الذات وكان قديما قائما بنفسه فهما الهان الذات والعلم وذلك محال * فان قيل الذات من شرطه * قلنا لا يخلو ان يكون قديما أو محدثا * فان كان قديما بطل أن يكون القديم شرط القديم وان كان محدثا فلا يخلو أما أن يقوم بذات البارى تعالى أو بغيره فان قام به لزم قيام الحوادث بذاته وهذا باطل وان كان بغيره فالعلم اذا ليس من صفات ذاته فان قيل فهذا اذا نفس اعتقاد المعتزلة قلت تفارقهم بفصل وهو أن مذهبنا ان الله سبحانه عالم بالكليات والجزئيات ولا يطلق عليه لا علمه ذاته ولا غيرها لان التحكم باضافة اسم الى البارى تعالى واطلاقه طريقة الشرع وليس فى حكم الشرع ما يدل على أن العلم زائد

بل ورد ذلك مطلقا وشهدت ادلة العقول على أن الله تعالى عالم وان العلم لا يصح ان يكون موجوداً قديماً قائما بنفسه مستغنيا عن البارى تعالى وبطل أيضاً أن يكون قديما يفتقر الى شرط *

الفصل الثانى * هذا الفصل معقود للارادة * وهى مسئلة مشكلة وعليها انبنى تعطيل المعطلة فلابد من تفصيل القول فيها ان شاء الله تعالى فنقول الارادة حقيقتها المفهومة اجماع النفس على الفعل عند انبساط القوة النزوعية وتحركها اليه فى القوة الخيالية شئ يرغب فيه أو يهرب عنه وهذا الوصف مستحيل فى ذات البارى تعالى فاذا الارادة الالهية عبارة عن ايقاعه الفعل مع انه غير ذاهل عنه فالقصد الى احداث المحدث والعمد اليه سمى ارادة * وحقيقة ذلك تؤول الى خروج الفعل من القوة الى الفعل * وقد قام الدليل على أن الله تعالى عالم وانه مبدى العالم وثبت افتقار العالم اليه واتفق على ذلك الكافة وان سموه علة فقد اطبقوا على أن العالم لا قوام له دونه وثبت علمه به وعلمه تعالى بالمعلومات فيما كان أو يكون على وتيرة واحدة لا يتغير ولا يجهل ولا يذهل * والعلم متى اضيف اليه فهو قبل الفعل أبدا ودائما بعده ثم تعلق العلم بأنه سيكون اذا اضيف الى جهة المعلومات فتنقسم المعلومات فى حقه الى مايكون والى ما كان فكل مايكون فهو فى القوة وما كان فقد خرج الى الفعل فتغير حال المعلوم لا العلم *

وهذه قاعدة عظيمة اذا فهمت على هذه الرتبة واذا تقرر هذا فكل ماهو فى القوة سيكون فالرب سبحانه مريد لان يكون من حيث رتب تعالى الاسباب على ماجرى به علمه فهى مطابقة على ماسبق به العلم فاطلاق الارادة فى هذا الموضع على معنى أن المراد معلوم ونظم القياس كل مراد معلوم وكل معلوم جار على ما أراد الله تعالى وكل مراد جار على ماعلم الله تعالى * واذا صح أن يكون العلم علة المراد الذى فى القوة فما هو بالفعل تابع لما فى القوة والامر ظاهر فما خرج الى الفعل فنفس حدوثه دليل على ايقاع الله تعالى له وايقاعه له هو المطلوب بالارادة تابعة للعلم * فان قيل فالمعلومات هل هى متناهية أولا متناهية * قلنا هذا السؤال يفتقر الى تفصيل فلا يخلو السائل أن يضيف التناهى الى المعلومات فمن ضرورة العقل ان يكون المعلوم محاطا به وكل محاط به فمحدود وكل محدود متناه فكل معلوم متناه كان المعلوم فى القوة أو خرج الى الفعل فاذا العالم باسره من الكرة التاسعة ومايحويه وتوابعها من اجناسها وأنواعها واشخاصها ومايلزم عنه متناه محصور فى علم الله تعالى * فان قيل هذا مسلم ولكن السؤال هل البارى تعالى عالم بما لا يتناهى أم لا * قيل هذا سؤال مستحيل من هذا الوجه فان كل معلوم متناه فكان حاصل السؤال أن نقول كل غير متناه متناه أم لا * وهذا انحراف عن صوب الصواب

فان قيل فهل يقال يصلح أن يكون العلم حاصرا لما يتناهى أم لا قلنا العلم فى نفسه لا يصح الاتصاف به متى فرض الا مضافا الى معلوم والا بطلت خاصية العلم فمتى اضيف كان المعلوم منحصرا * فبقى أن يقال ذلك على وجه واحد وهو أن يكون العلم القديم يتعلق بأن عوالم تتعاقب وهى متى اضيفت الى نفسها انحصرت ومتى اضيف الحصر والتناهى الى علم الله تعالى بطل لان العلم لا يقال فيه متناه أو غير متناه وهذا اصل الغلط فربما ظن من لا حقيقة عنده ان المعلومات متى كانت متناهية كان علم الله تعالى متناهيا وهيهات ماقدروا الله حق قدره فالمعلومات هى المتصفة بالنهاية من حيث تقبل التناهى حتى زعم أكثر المتكلمين أن الكيفيات لا يقال متناهية أو غير متناهية فكيف بعلم البارى تعالى فانه ليس من قبيل الاعراض ولا من قبيل الجواهر فكيفما أدرت المسئلة رجع حكم النهاية الى المعلوم لا الى العلم وذلك لا نقص من قدر الله تعالى ولا يقال له بذلك عاجز *

(الفصل الثالث) لا خفاء على ذى بصيرة احاط علما بما قررناه من افتقار العالم الى البارى تعالى واثبات العلم له فان المعلوم لا يخرج عن العلم اذ ذرة فى السموات أو فى الارض لا تتحرك أو تسكن الا وهى مقيدة فى علم البارى تعالى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ومامن حركة ولا قبض ولا بسط ولا وسوسة ولا هاجس الا والبارى

تعالى عالم بذلك الآن كعلمه فى الازل وكعلمه بعد انقضاء الفعل وكيف لاوقد قدمنا ان أكثر المنتمين الى الحذق والعلم بالاله جل جلاله برهنوا على أن الفلك عالم بجزئيات العالم وقد أقروا بأن الفلك مسخر لمدبر عليم قاصد بحركته التقرب لباريه تعالى فمن أولى باتصاف الكمال السيد أو العبد فسبحانه ذى العرش المجيد والبطش الشديد * ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وهو ادنى الى عبده من حبل الوريد ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولا خمسة الاهو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا أكثر الاهو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم) وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الاهو ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة الا يعلمها ولاحبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولايابس الا فى كتاب مبين) وهذه الآية من الآى التى هى أم الكتاب فذكر تعالى أن عنده مفاتح الغيب * ومن قام عنده البرهان بما تقدم طلب معنى تحمل المفاتح عليه وقد اهتدت الفلاسفة اليه لو اضافوا ذلك الى رب العزة فان الاسباب ومسبباتها علمها عز وجل ولا يصح أن يعلمها أولا ثم لا يعلمها بعد حدوثها اذ ذلك يؤدى الى تغيره ويبطل أن يعلمها علما كليا ثم يستجد له علم عند حدوثها وذلك أيضاً باطل وصح ان الله تعالى عالم بها قبل كونها علما بدقائقها لا يعدوه فلو صح

ان يتعداه نخرج عن كونه عالما بها * واذا ثبت ذلك بحسب ماترتب في العلم ترتب في الوجود فلايعدو منها شيء علمه وان اردت مثلا فالخبز لايخبز مالم يكن عجينا ولايصح ان يكون عجينا مالم يكن دقيقا * ولايصح ان يكون دقيقا مالم يكن قمحا ولابد من طحنها ولابد من حجر طحين ومن محرك للرحى وصفات المحرك * فهذه أسباب لازمة ضرورية لابد منها فهكذا فافهم الباري مع علمه تبارك وتعالى فالاسباب هي المفاتيح والمسببات هي المفتوحات بها * ولايصح أن يستولي عليها غيره * ومن علم بعضها فبتمامه ومن علم بعضا لايأتي عليه جميعا كائنا من كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا وذكر تعالى الظلمة نهاية في تعظيم علمه بالاشياء الغامضة التي في غاية الغموض وكذلك ذكر الرطب واليابس من حيث أن كل رطب يقتضي البارد والحار وكذلك اليابس اذ ذلك من ضرورته * فالسموات والارض وما فيهما في علمه ولله المثل الاعلى كسفرة بين يدي احدنا يدير مافيها بما يشاء وعلمه بجزئيات الامور ومابينهما الى علمه وقدرته انزر واحقر من نسبة السفرة الى احاطة علم بما لايتقدر ولايتناهى وانما هو ضرب مثل لكنه تعالى تقدس عن الجوارح والادوات والمباشرة وكان اللائق بجلاله أن تنفعل له الاشياء بمجرد قصوده لكونها ولكن خص بعلمه وحكمته أن يكون العالم على نظام

وترتيب ليترتب بعضه على بعض وهذا نعلمه بالضرورة ولا ينكر ولا يتمارى فيه ولا استحالة فيه * وانما الممتنع ان يكون فى ملكه مالا يريد أو يفعل شيئاً محدث دونه أو يحدث مالا يعلم فى ملكه تعالى وتقدس عن ذلك سبحانه * واذا حصلت ماتقدم علمت أن مبدأ الحركة منه تعالى اذ قام عندك برهان على جرى العالم كله وترتيبه على علمه السابق وان علمه لا يتغير وتقدم لك أن العالم منفعل له وانه غير مباشر لذلك اذ ليس بجسم مقدر ولا بعرض ولا جوهر والعالم منفعل له وذلك لازم للعالم لزوما ضروريا وهو تعالى مختار والحديد منطبع للمغناطيس بخاصية فيه * وهذا فى عالم الحس فما ظنك برب العزة ذى الجلال والكمال * واذا فهمت هذا فاعلم أن الحركات ثلاثة اما على الوسط كتحرك الافلاك واما من الوسط كالهواء والابخرة الصاعدة علوا * واما الى الوسط كحركة الحجر الى أسفل يطلب مركزه بطبع فيه * ثم هذه الحركة ضربان ضرورية واختيارية ولها نسبتان * نسبة الى نفسها ونسبة الى باريها فمتى اضيف فعلها الى باريها فهو مختارها باجمعها ليس شىء منها الا بتدبيره وحكمه وقضائه وحكمة له اقتضت كونها على جهة مخصوصة وزمان معين وشخص معين تقدمت تلك الحركة أو تأخرت كانت بالقوة أو بالفعل * وهذا مبرهن لازم ضرورة * وأما النسبة الثانية وهى نسبتها الى المتحركين

فتنقسم ثلاثة أقسام اما مختارة وهذا يختص بالحيوان واما مضطرة وهذا يشمل الجماد والحيوان وهو اما ملازم واما عرضى * فأما الافعال المختارة فهى موقوفة على اشارة النفس وتحركها والاشياء التى تحت النفس طائعة لها انطياع النفس لباريها جعل ذلك فى طبيعة الخلقة والنفس منفعلة باشارة العقل والعقل منفعل لباريه تعالى * وأما نفوس الملائكة فحركتهم الاختيارية عن عقولهم وعقولهم عن باريهم فلا عصيان فى أفعالهم البتة كما قال الله تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم أبداً جارون على علم باريهم تعالى وموافقون لما يرضاه * وأما غير ذلك من الحيوانات المركبة من المواد فلما لم تكن مجردة عن المادة وكان لها علوق بالابدان وكان للنفس جنبتان جنبة الى الملإ الأعلى وجنبة الى العالم الاسفل وتمنى بذلك كونها بالفصل المشترك أى هى مأمورة بان تراعى جهتين جهة الملائكة بان تكون متشبهة فى الفضائل بها وأن تكون عاكفة كعكوفهم على عبادة باريهم فهذه جنبة أمرت بمراعاتها * الجنبة الثانية وهى الجنبة السفلى وهى علاقتها بالجسم المنفعل من المواد المركبة من الطباع وهى مولعة باصلاحه وسياسته كالملك الذى عمر بلده وواظب بسد ثغره واصلاح رعاياه وعمارة أرضه ومقاتلة عدوه وجلب المنافع اليه ودفع المضار عنه وصارت النفس متحيرة تطالبها الجنبتان كل

واحدة بان توفيها من العدل قسطها وتجريها على القانون العدل والسيرة الالهية * ولما خلقها الله تعالى على هذا النسق والترتيب خصت الحكمة الالهية الانسان بان أعانه وقواه واعطاه ادوات ومكنه من الجنبتين وأيده من جهة الجنبة العليا بالعقل ليتلقف به عن ملائكة الله تعالى ورسله ويفهم به مراد باريه فكان حاله مع النفس كعبد بعث الى ثغر بعثه ملك مطاع الاوامر مخوف الزواجر فامره بسد الثغور وادرار الاقوات ومقاتلة الاعداء وان يطابق غرضه مع بعده عنه ثم قال قد مكنتك من ثلاثة أشياء تكون عونا لك ولا حجة لك على بعدها أحدها الثغر الذى بعثتك اليه فقد أكملت قصوره ودوره وحصونه وجدرانه وانهاره وأشجاره وثماره والاته ما تكررت وتناهت * الثانى دفعت اليك عبيدا واعوانا وخداماً وجعلت فى طباعهم الانفعال لك فربما شئت فيهم تمتثل ان شئت من حق أو باطل لا يخالفون رغبتك ولا يعصون امرتك فعليك بالسيرة الحسنة فيهم ولا تغتر بتمكينى فانى ذو بطش شديد وان حلمت * الثالث انى دفعت اليك وزيرا حكيما عليما متطلعا على ما فى العالم بامره عالما بالسيرة الحميدة والطرق الرشيدة عارفا بعواقب الامور وقد أحللته من نفسى بمنزلة الوزير وأكرمتك بأن جعلته وزيرك فاحذر ان تنفذ أمرا دونه ولا تغتر بما جعلته فى طباع العبيد من طاعتك ولا بما

جعلت فى نفسك من القوة فما غبن من استشار وهذا الوزير الذى يستمد من أرآئى فى كل حين فقد تحققت ذلك منه لانه لا يعصينى طرفة عين فصار العبد فى الثغر بهذه الثلاثة أشياء فمثال النفس مثال العبد ومثال الثغر مثال الجسم ومثال مافيه من العدد والاقوات مثال مافى الجسم من الطبايع والقوى حسب ماذكرناه فى المعراج الاول *ومثال لوازم الثغر ونوائبه مثال مايقوم به الجسم من الاغذية والمنافع ومثال الوزير مثال العقل ومثال الملك مثال البارى تعالى وله المثل الاعلى *فاذا فهمت هذا فاعلم ان النفس منبثة القوى فى الجسم كما قدمناه وأن الله تعالى سخر لها الحواس الباطنة والاعضاء الظاهرة بالطبع فمتى تحركت الى أمر ما تأتى هذا فى طباعها مالم يمنع مانع من ذلك الامر * فان اعتبرنا جهة المنفعل فهى مضطرة وان اعتبرنا جهة النفس فى نزوعها وانبعاثها للمطلوب وسبب حركتها هل هو ارادى أو اضطرارى قلنا هذا محل غموض عجز أكثر الخلق فيه عن النهوض وذلك لبعد غوره ودقة مسلكه وهذه المسألة المعروفة بالقدر والنزاع فيها من خلق آدم عليه السلام الى هلم جرا وحقنا لضعف قوانا وقلة استعمال عقولنا الموهومة لنا واشتغالنا بالرذائل الدنيوية والخدع الخزعبلاتية ان لا نتعرض لهذا المقام فلكل مقام مقال ولكل طريقة رجال ولكن

بخوضها خوض الجبان الحذور لاخوض الشجاع الجسور فنقول قد قدمنا انقسام الحركات وان بناء الكلام على حركات الانسان ولا شك ان منها الضرورية والاختياريه * فاما الضرورية فطبيعة لازمة سنتكلم عليها عند تكلمنا عليها ان شاء الله تعالى كلمة ولم يختلف أحد فيها انه لا يتعلق بها ثواب وعقاب واما النزاع فى الاختيارية فان هذه مرتبطة بالتكاليف فلا بد من فهم المثال الاول فهو تمهيد قدمناه لهذا الموضع فنقول قد قدمنا ان للنفس جنبتين مثلنا ذلك بالوزير والثغر فالجنبة العالية جنبة الوزير والجنبة الخسيسة جنبة الثغر فمتى كانت النفس تحركت نحو الفضائل فذلك تلقف عن العقل والعقل عن باريه فهى مثابة على تحركها ونزوعها الى غرض مولاها والمفعولات واقعة بفعل الله تعالى وتحركها نعنى عند انبعاث الداعية عند انصاتها الى العقل وحقيقة الاضراب عن الثغر ودواعيه واستعمال العلم بتنظيف المحل اذ لا يرد الاعلى محل قابل له بازالتها الصوارف والموانع باشارة العقل وتدبيره هى مثابة عليه من حيث أنها واسطة الى انفعال الاجسام وكثيرا ما قدمنا أن العالم منقسم الى عقول فاعلة مجردة * وهى الشريفة والى اجسام خسيسة وهى الكثيفة التى هى المفعولة كما أن العقول فاعلة * ولما استحال على العقول المجردة المباشرة

وكانت فى طرف من مضادة الاجسام كما أن العلم فى طرف والجهل فى طرف وكان ضدا مطلقا قضت الحكمة الالهيه اىها بان اظهرت تأثيرها بتدريج فجعلت نفسا ممتزجة تشبه العقول من وجه والاجسام من وجه وذلك راجع الى مناسبة والمناسبة راجعة الى وجهين * اما الى جنبة أسفل فبالرذائل واما الى جنبة اعلى فبالفضائل فالنفس معلقة بينهما والاجسام تنفعل للنفوس والنفوس للعقول والعقول للبارى سبحانه فالمبدأ الاول هو الاله فخروج الامر من عنده كخروج الامر من عند الملك الى الوزير * ثم من الوزير الى الحاجب ثم الى المضروب أو المكرم ولله المثل الاعلى فالرب سبحانه هو المبدأ والطاعات متى خرجت الى حيز الفعل فهى من الله تعالى باتفاق الكافة متى خرجت الى حيز الفعل فهى من الله تعالى والنفس مثابة على جهة التوسط من حيث انها آلة وما مثل ذلك الا مثل اكرام الشرع لاجسام الموتى بالتنظيف والاكفان والحنوط والقبور وتحريم اهانتها واحراقها وان كان لا حسنة لها فى ذلك بل الفضل الالهى لاحد له * ولا يجرى على مقدار * ولو كان البارى تعالى لا يفعل شيئا الا باستحقاق الفاعل تحقيقا لمثوبته لم يكن كريما مطلقا ولم يطلق عليه لكن من عدله فان العادل من قارع الحسنة بالحسنة والكريم من وهب من غير يد متقدمة * فخص تبارك وتعالى

الاجسام بالمكرمة من حيث أنها كانت آلات مستعملة فى الطاعات مع اتفاق الخلق ان الفعل تحقيقا للارواح فكذلك النفس بالاضافة الى العقل يكرمها البارى سبحانه على جهة الوساطة وان كانت لافعل لها تحقيقا للمشير بذلك والملهم اليه والمحرك هو العقل اذ الحاجب وان شكره المكرم من جهة الملك فالوزير احق بالشكر من حيث بلغ اليه فليفهم أن العقل مشكور من جهة الوساطة وأن الشكر المجرد والحمد المؤبد لله وحده الذى كان المبدء فلو لم يرد التوفيق من عنده لما كان للعقل ثبوت اصلا اذ هو مربوب فالجواد المطلق والكريم المحض هو الله رب العالمين ولم يشك ذو عقل أن الفضائل من الله وانما اختلفوا فى الشر فزعمت المعتزلة أن الشر ليس من الله تعالى * ولما رأوا تلازم الافعال اخرجوا الفعل الى العبد وجعلوه مستبداً به * فان قيل الاشكال باق فان الحركة التى هى الصلاة مثلا ان كانت فعلا للعبد فلا مدخل للبارى تعالى فيها وان كانت لله فلا مدخل للعبد فيها ويستحيل ان يكون الفعل مشتركا كما زعمت الاشعرية قلنا الحركات مضافة الى الاجسام فبطل التقسيم والنفس لا حركة لها فى نفسها فانها انما لها الاشارة والتدبير والجسم معها كالمغناطيس مع الحديد ولا يقال للحديد اذا تحرك ان المغناطيس حل فيه فظهرت الحركة عليه بل فعل فيه بخاصيته

فبطل السؤال * فان قيل ان بطل فى الحركة فلا تخلو النفس عن الارادة والسؤال فى الارادة باق قلنا ارادة الخير تابعة للعلم وقد قدمناه ان النفس تابعة للعقل والتحرك من جهة العقل خير محض فهو محرك من جهة البارى تعالى ولست أعنى الحركة الجسمانية بل اعنى الشوقية النزوعية وهو عكوفها والتفاتها الى الجنبة العليا وحقيقة ذلك راجعة الى ترك جنبة أسفل والترك ليس هو بفعل وانما هو عدم فعل فهما شيآن النزوع وهو فعل الله تعالى والثانى وهو ترك الاضداد وهى ملاحظة الجنبة السفلى وذلك ترك والترك عدم وليس بفعل * فان قيل الترك اذا كان اختيارا أو اضطرارا فالسؤال لازم * قلنا هو اختيارى من وجه واضطرارى من وجه آخر * وفهم هذا يستدعى تجديد عهد بما سبق وهو أن النفس وان سلطت على العالم الاسفل فهى تتوصل اليه بآلة الجسم ثم أفعالها تظهر فى الجسم فى مواضع عشرة أحصيناها فيما تقدم * فمنها الحواس الخمس من الشم والذوق واللمس والسمع والبصر * وهذه علة وسبب للقوى الخمس الباطنة أعنى القوة الخيالية والذاكرة والحافظة فان هذه القوى كالجواسيس فى المدينة يرفعون الاخبار الى الخدمة والخواص كالكتبة والحجاب والوزراء فما يقيد عند الجواسيس يرفعونه الى الكتبة وما يقيد عند الكاتب يرفعه الى الملك وهى النفس * ثم اختلف مدركات

الحواس الخمس فكانت حاسة البصر موكلة بعالم الالوان على
اختلافها فى الصفات والمقادير وحاسة الذوق بكل مطعوم وهكذا
الى تمامها وكلما رفعت من هذه محفوظة عند الكتبة الخزان
وقد قلنا الجسم كالثغر وان النفس مشغولة بافتقاد ثغرها فى
كل دقيقة فلزوم هذه المدركات للنفس ضرورى اعنى عند
صرف الهمة اليه يلزم ذلك طبعا فانك متى حدقت بصرك الى
مرئى حصلت لك رؤيته بالضرورة شئت أو ابيت وكذلك
سائر الحواس الخمس فلا تطويل فحصول الابصار للنفس مختار
فصح وثبت ان الجنبة السفلى الجسمانية أفعالها جسمانية محضة
والافعال الجسمانية كلها ضرورية طبيعية فقد انقضت المباحثة
وتفرغ الكلام من هذا الجانب من حيث وقفنا الافعال بعد اسبابها
على ارادة النفس وارادتها هى الفيصل بين الجنبتين جنبة أعلى
وجنبة أسفل كما وكانت بسياسة جنبة أعلى على وجه مخصوص
وكان له وجهان الى جنبة اضطرارى واختيارى فاذا استعملت
السبب حصل المسبب بالضرورة فحصول المسبب من جهة
أعلى أو من جهة أسفل ضرورى لاثواب عليه فقد استرحنا
من هذا الطرف وهوا الطرف الضرورى وبقى الاختيارى
فوقفناه من جهة الجنبة السفلى على نزوع النفس وارادتها
وكذلك أيضا من جهة فوق فتوقف البحث والنظر على هذه

الدقيقة وهى الارادة والنزوع وقد قدمنا أنه تارة يكون اضطراريا وتارة يكون اختياريا محضا وذلك لا يتحصل بزمان مخصوص بل النفس يدخل الخير اليها من جهة العقل وهو انفعالها للعقل عند اشارته فهى مثابة لنزوعها ونزوعها يظهر تأثيره فى الجسم اذ لا يظهر الاثر فيها باكثر من الشوق والعشق المطلق فتثاب على جهة الوساطة كما قدمناه * وأما الشر فيدخل عليها من جهة الخير فيكون أولا خيرا ثم ينعكس * ومثال ذلك انك متى ركبت دابة استعرتها من دار رجل فتصرفت بها فى حاجتك وكانت دابة جموحة صعبة المرام فخطرت بها على دار مولاها فنزعت الى دار سيدها فصرفت عنانها فتقاعست فعاقبتها بالسوط وآلمتها وتحملت عليها فلا شك انك يمكنك صرفها وقد تعديت فان حقك ان لا تخطر بها على دارها * فلو انك سقتها الى دار سيدها وادخلت يدها عتبة الباب ثم اقحمتها لم تطلك بوجه بل تدخل كرها وربما جرحت رأسك وآلمتك وكنت عند العقلاء مذموما فانك مكنتها من طبيعتها * ثم أردت حجابها وقد كتب الله تعالى فى كتابه السابق وقضا بقضائه المحتم بان يمكن الطبايع من مطبوعاتها * فالنار متى تمكنت من القطن أحرقت ضرورة فليفهم ان القوى الحيوانية المنفعلة عن الطبايع لها نزوع بالطبع الى مركزها والروح الحيوانية الشهوانية بالطبع والعنصر تميل

الى عنصرها كالحجر يهوى الى أسفل * والنفس متى مكنت الجواسيس ابتداء حتى صار لهم ذلك ملكة فذلك لازم ضرورى خلقه الله تعالى * وانما تعاقب من حيث لم تحرس جواسيسها ابتداء وهذا كما انا نقول للرجل النظرة الاولى لجاة لك حلال فانها لازمة ضرورة فلا يتعلق التكليف عليها واياك والثانية فان العين اذا انفتحت على صورة جميلة فمالت الطبيعة الى الطبيعة لزم ذلك لزوما ضروريا * لو انفرد لم تعاقب النفس عليه وانما تعاقب على اهمالها اشارة العقل فى الكف ابتداء * فمتى تكررت الجواسيس على القوى الباطنة لزم النفس ذلك وشغلها فهى مأمورة أن تلزم الجنبة العليا والامر كله لله تعالى فهو المخترع للافعال * وهو موجد الاسباب الاول فالمسببات افعاله فهذا لا حيلة فيه وهذا اقصى الغرض من تكرير هذه المسألة * وفى الحديث حاج آدم موسى فقال أنت الذى اخرج الناس من الجنة فقال أتلومنى على أمر قد قدر علىّ قبل ان اخلق فغلبه آدم عليه السلام وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فحاج آدم موسى فاذا الاشعرية والمعتزلة والمجبرة اذ تكلموا على الافعال الجسمانية ولم تتعرض لها وانما تكلمنا على النزوع الشوقى وجعلناه السبب ووفقنا الجبرية فى الافعال الجسمانية * وهذا منتهى الكلام فى الجنس الانسانى من الحيوان * وأما حركات البهائم فهم

هو كائن بالجنبة السفلى * عاكفون عليها لا علم لهم بالجنبة العليا
وكيف تنكر ذلك وانت تبصر كثيرا من الخلق كأصناف
السودان وغيرهم لافرق بينهم وبين البهائم لايعرفون
الملائكة ولا باريهم بل يعبدون الثمار والاشجار كما قال تعالى
(ان هم الا كالانعام بل هم أضل) ومحرك الحيوان زمام ورد الحواس
على القوة المتخيلة فهي فيهم كالقوة العقلية فالدابة تتأدب بآداب
القوة الخيالية متى انتقش فيها أمر محذور فانها اذا رأته حذرته
وذلك أمر نافع ولا يبعد أن تكون لها القوة الحافظة تحفظ بها
الصور * وأما العوالم العلوية فترتيب حركاتها لا يحيط بها الا الله
تعالى وحده العالم بمبدئها وانما أدركنا منها ماتكرر علينا بالتجربة
أو باشارة العقل اليه اشارة جميلة * وذلك كنمو أجسامنا بالاغذية
والاغذية من النباتات والنباتات كائنة من الماء والتراب فهي
منفعلات عن الهواء والنار وهما كالفاعلين وهذان بالاضافة
الى الماء والتراب يكونان فاعلين بمعنى حصول التأثير لهما حصول
الذبح بالسكين ولكن اذا انفردت الشاة ، والسكين لم يتم الفعل
اصلا ولا بد من سبب جامع والنار والهواء امتزجت معهما اشعة
الكواكب وازدحمت في منقعر فلك القمر ودارت بالارض
كرتها كما تدور الهالة بالقمر * ثم هذه الاشعة تتحرك بحركات
هي تابعة لها وهي الكواكب السبعة وقد زعمت الفلاسفة أن هذه

الـكواكب حية وانها مع العالم الاسفل كنحن مع اجسامنا *
وان لها الفعل الاختياري والفعل الاضطراري * وهذا ابتداع
لاننكره فلم يدل على ابطاله كتاب ولا سنة ولا اجماع ومن انـكر
كون ذلك من الناس فعلى طريق التغليط ولا برهان البتة فلنجعل
ذلك جائزا اذ مذهبنا أن الباري تعالى هو الفاعل المطلق وانه
مسبب الاسباب وموكلها بمسبباتها فسواء على مذهبنا كانت
حية أو جمادا فقصارى الامر أن تكون كنحن ولا ننـكر وجودنا
ولا تصرفنا في عالمنا ومنافرة هذا رعونة محضة وحماقة تامة ولنقل
قولا يهوّن ذلك فربما زعم السامع ان تـكون الملائـكة مرئية
والظواهر دلت على انها محجوبة فنقول الموجودات على ثلاثة
مراتب موجودات تعقل وهي موجودة ولا ترى * وهي العقول
فهي مدركة تدرك بالعقول لا بالابصار * الثاني النفوس وهي
مدركة بالعقول ولا يجوز أن ترى * والثالث الاجسام وهي تدرك
بالعقول والابصار ولا تدرك هي انفسها ولا غيرها * فما نشاهده
من العالم الاعلى انما هي اجسام النفوس والعقول وحقيقة الملك
انما هي نفسه لا جسمه كما ان حقيقة الانسان نفسه ولا يدرك الا جسمه
فقط * ونحن لا ندرك نفسه بل انقطعت العقول في درك ماهية
نفسه بالبصيرة فـكيف بالبصر * فلنتكلم على هذه الاجسام
الظاهرة فنقول سبب الانفعالات الهواء والنار وما تحت فلك

القمر مرتبط بالدوائر ودوران الفلك التاسع فانه منقسم الى اثنى عشر برجا * ثم الكواكب السيارة مقسطة عليها فمنها ماله بيت ومنها ماله بيتان * ثم لهذه الاجسام طبايع مختلفة حاصلها الحر والبرد والرطوبة واليبوسة * وهذه الطبايع وسائط لانفعال المنفعلات فتمر الكواكب على البروج واختلاف الحركات وكون هذه الكواكب فى درجاتها ومراكزها واختلاف مطالعها كما تقول مثلا اذا جمعت الشمس والقمر فى رطب دل على المطر العظيم * وتفصيل هذا محال على علم النجوم وليس هذا موضعه فلكل مقام مقال وانما غرضنا التنبيه* واصل هذا كله الحركة المشرقية التى هى من المشرق الى المغرب وقد حكينا عن الفلاسفة فيما تقدم علة ذلك وكيفية تقسيمهم العقول والنفوس وانكرنا عليهم كون البارى تعالى كذلك علة وانها ملازمة له وانكرنا دعواهم الحصر لاغير والا فيجوز مثل ذلك جوازا برده الى طريقتنا فى التوحيد المحض * فان معتقدنا أن الله تعالى واحد وحدانية محضة صرفة وانه هو القائم على العالم حتى لو تصور عدمه لم يكن له ثبوت أصلا والتصديق بما جاء به المرساون ومن هذه الحركات الدورية تتناتج الحركات وتتناسق وقد تكلمنا فى ذلك كلاما بليغا فلا معنى لتكراره * فان قيل بم تنكرون على من يعتقد ان هذه الانوار الظاهرة فاعلة أو عاقلة أو حية فان الله

تعالى يقول (الله نور السموات والارض) وربما قالت المجوس ان هذا النور إله * قلنا نعقد لهذا فصلا فى المعراج الذى يلى هذا ان شاء الله تعالى وهو المعراج الرابع *

« المعراج الرابع »

اعلم ايها الأخ ان الله تبارك وتعالى هو نور السموات والارض ولسنا نعتقد بكونه نورا كونه شعاعا منبسطا مرئيا على الجدران بل ذلك على نسبة أخرى * فاعلم ان النور يطلق على ستة أشياء «أحدها» نور حسيس بحسب عنصره لا دوام له فهو عرض سريع الزوال مفتقر الى مواد عنصرية * وهذا هو ضوء النيران * «الثانى» هو اشرف من هذا وان كان عنصريا فهو شريف بحسب نسبته وبحسب نفسه وهو نور البصر فهو يدرك الاشياء ويدرك الالوان والمدركات * «الثالث» نور شريف من العالم الاعلى وله شرف بحسب نفسه وبحسب ماينسب اليه وهو أشرف من النور البصرى وهو نور الشمس فانه علة لوجود العناصر ووجود النيران والاجسام المبصرة وهو لا من مادة مركبة ولذلك عبدته المجوس * «الرابع» نور شريف هو نور محض قائم بنفسه يدرك الاشياء على حقائقها ويدرك نتائجها وهو العقل والنفس * وهذه الامور منقسمة الى مايدرك به ويدرك نفسه

وهو العقل * وهو نور حقيقي والى مايدرك به ولا يدرك نفسه كالنيران والبصر والشمس * والقرآن يسمى نورا ﴿ وهو الخامس ﴾ والرسول يسمى نورا ولكن يستعار لهما من هذا معنى النورانية ولهذا يسمى العلم نوراً ﴿ السادس ﴾ النور المطلق وهو البارى تعالى ومعناه فى الروحانية أكثر من معنى العقل فان معنى العقل هو نورانية العقل وهى كشف الحقائق * وبهذا المعنى يقال للبارى تعالى الحق المبين والعالم بخفيات الامور * فهذه ستة انوار بالاستعارة للقرآن والرسول عليه السلام حقيقتها البارى تعالى وهو مجاز فيما عداذلك * فان قيل فقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح * قلنا المراد بهذا النور العقلى * فههنا أربعة أشياء المشكاة والزجاجة والمصباح والزيتونة * وأما المشكاة فمثالها النفس ومثال الزجاجة القوة الخيالية والمصباح كالعقل والزيتونة التى هى الشجرة العقل الفعال * ولما كان المصباح الذى هو النور لابد فى اظهار ثمرته وحكمته للاجسام من آلة جسمانية تشاكل الاجسام كالنور يفتقر الى زيت يناسب النار بالحر ويناسب الفتيل بالرطوبة فكثيراً ما قدمنا ان العقل لا يباشر كانت واسطته النفس فهى المشكاة ثم كانت النفس لابد لها من حيلة فى معرفة المحسوسات كما قررناه فجعلت له الحكمة الالهية قوى * فمنها القوة الخيالية التى يرتسم فيها ماتورده الحواس فكان مثالها مثال

الزجاجة وانما خص الزجاج لانطباع المرئيات فيه كالمرآة الصقيلة التى يبصر فيها ولان الزجاج أصفى الجواهر من حيث يشف ماوراءه والانبياء عليهم السلام يعلمون الغيب بواسطة القوة فيعبرون الصورة ويفهمونها* ولها علم مختص وهو علم تعبير الرؤيا ينفرد بخواص هذه القوة* وأما الشجرة فهى العقل الفعال من حيث انفعلت الاشياء عنه فلما أن المصباح الواحد توقد منه المصابيح لم يقل سبحانه نبت فان النبات يدل على نقصان الاصل وانما قال تعالى توقد فنبه بالوقيد على أن الشجرة لا تنقص وعلى أن هذه الشجرة ليست الشجرة المعهودة لان الشجرة لا يوقد منها وخصها بالزيتونة لدوام ورقها وفوائدها وغزارة منفعتها وكثرة ورقها وشعبها وانها وان كانت زيتونة فيخرج منها نار تستضئ بها ووجه المشابهة واستيعابه يطول وقد شرحناه فى كتاب ﴿مشكاة الانوار﴾ وأما النار فهى عبارة عن الانوار الالهية ويحتمل وجها آخر أن تكون الشجرة الرسول عليه السلام والنار الملك* فان قيل عظم اختلاف الصوفية فى هذا الغرض من حيث تحقق الملائمة والملازمة النورانية* وهو المصباح والمشكاة والزجاجة والشجرة والنار فقد جعلت مثال المشكاة النفس ومثال الزجاجة الخيال ومثال المصباح العقل الجزئى ومثال الشجرة العقل الكلى ومثال النار النور الالهى واشراقه* وهذه كلها لا توصف بالكثافة

والتجسيم على ما تقدم * وقد وصف الله تعالى ذلك بأن قال (نور على نور) فهذه الموجودات تشاكلها وتناسبها اذا تشاكلت وتناسبت لصفاء النفس وبعدها عن الكدورات فظاهر مذهبهم يشير الى الحلول وقد أنشدوا فى ذلك * رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر * فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر * قلنا عين الحلول واعتقاده خطأ محض وسفاهة صرفة * فان قيل قول الصوفية مشهور حتى قال احدهم انا الحق وقال آخر سبحانى وقال آخر ما فى الجبة الا الله * قلنا اذا قررنا ابطال الحلول اتينا على مذهبهم * فنقول حقيقة الحلول انطباق جوهر على جوهر اوجسم على جسم أوعرض فى جوهر وقد قدمنا بالبرهان الحق أن العقول والنفوس قائمة بانفسها لاتحمل شيئا البتة ولاهى محمولة فاغنانا ذلك عن اعادته وهذا فى رب العزة أعظم * فان قيل فيرجع الكل الى الاله وتكون العقول والنفوس لايفارقها البارى تعالى الا بالفصل فانهم اجتمعوا فى الجوهرية وحقيقة الحياة والقيام بالنفس قلنا لانثبت للبارى تعالى ما أثبتناه للنفس فانها لاقوام لها دونه وقد قام البرهان على حدوثها وذلك يبطل أن تكون هى هو فان فى ذلك لزوم ان يكون العالم كله آلهة وهو محال ويبطل أن يحل فى النفوس او ينطبع فيها انطباع الخمر فى اللبن كما زعمت النصارى فى المسيح فان ذلك من صفات الاجسام فلم يبق الا

أن اللازم راجع الى معنى الانفعال وايجاده بالفعل أى وقوف الاشارات والحركات عليه فيكون هو المحرك القابض الباسط والنفوس معه كالحديد مع المغناطيس على وجهة التمثيل * ولله المثل الأعلى ونفى الوساطة على الطريق التى قدمناها * ومن حقق من الصوفية وعلم وقوف الاشياء عليه وان الامور لا قوام لها دونه قال أحدهم مافى الجبة الا الله تعالى مبالغة فى التوحيد وقال آخر سبحانى فانه رأى الياء مكان الاضافة فان الفرق ضرب من الشرك فى قوله سبحان الله فاجراء الاوصاف لا يعتد بها الا لفصل فان قولنا سبحان الكريم نفى للبخل واذا قلنا سبحان الله فمعناه نفى الشريك ولا يكون النفى الامع توهم الشريك فالموحدون

منهم بلغ بهم التوحيد الى أن رأوا التبرى منه سوء أدب

ولكن الكلام اذا وقع بالضرورة اليه والتجىء

الى النطق به لا معنى للهرب فقد وقعوا فى

أشد كما زعمت الفلاسفة ان البارى

تعالى لا يقال له موجود فان ذلك

يؤدى الى دخوله مع

الموجودات تحت الجنس

وهذا نفى معنى

وهو سهل

﴿ المعراج الخامس ﴾

هذا المعراج معقود للنبوة والنبي ومعنى ذلك * والامم في ذلك على ثلاثة ﴿فرق﴾ فرقة تنفيه وفرقة تثبته *وهى فرقتان ﴿طائفة﴾ تزعم ان ذلك أوجبه مولده *فكانت لنفسه قوة تنفعل لها الامور واوجب لها المولد ان يكون فاضلا حسن السيرة * هذا مذهب الفلاسفة ﴿والفرقة الثانية﴾ اعتقدوا معنى النبوة* وهو حصولها لشخص بخرق الله تعالى العادة على يديه باظهار فعل غريب واشترطوا ان ينضم اليها ثمانية شروط * أحدها أن تكون في زمن تصح فيه الرسالة * الثاني خرق العادة بالمعجزة * الثالث ان يقترن بدعواه تحد * الرابع أن يوافق دعواه بعمله* الخامس ان يتعلق مقاله بالقلب * السادس أن لا يظهر على وجهه مايدل على كذبه * السابع أن يكشف القناع في التحدى * الثامن أن يعجز الخلق عن معارضته * ويلتحق بهذا شرط تاسع وهو كون المعجزة من جنس مايتعاطاه اهل زمانه ثم مايصل الى الرسول اما بواسطة أشخاص الملائكة بان يتمثل له بشرا سويا أوعلى صورتها * واما بغير واسطة بان ينقش الله تعالى ذلك نقشا في الحاسة المتخيلة وقد قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا)* وهو مايحصل في قوته الخيالية

وهو المعروف بالالهام كما قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى) أو من وراء حجاب أو بواسطة ملك من الملائكة وهو الحجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء * ونبينا صلى الله عليه وسلم قد ظهر على يده من خرق العوائد ما ظهر على أيدى الرسل وذلك ينقسم الى ما بقي والى ما كان * فمعجزاته من شق القمر وكلام الذراع وحنين الجذع واستدعاء المطر ونبع الماء من بين أصابعه وجعل قليل الطعام كثيرا وغير ذلك * وأما ما بقي فالقرآن وما أعلم به من الاشراط والدول وقد كان ذلك ونحن نشاهده * ويبطل أن تكون النبوة بمعنى المُلك فان الانباء بالغيب معنى آخر خلاف السياسة * ويبطل أن يكون ذلك سحرا فان الساحر لاقيام لسحره الا به *ولهذه الشريعة خمسمائة عام* ثم هذا القرآن الذى عجز الخلائق عن آخرهم عن الاتيان بمثله الى هلم جرا *وكان صلى الله عليه وسلم أميا نشأ بين اميين لامعرفة لهم بالعلوم * فاتى بهذا القرآن الذى اشتمل على علوم الاولين والآخرين وكل من شك فى نبوته عليه السلام فليتامل بعده عليه السلام عن العلوم ثم لينظر القرآن وما ينطوى عليه من الصنايع العلمية من الالهيات والمنطقيات والجدل والخطابة وسائر الاشياء التى حصلها الاولون والاخرون من العلوم وسمته علما او فلسفة وكيف فيه أشكال البراهين قائمة والجدل

على وجهه والاقيسة على وجهها مع ماتجرد اليه من العلم الدينى وهى سياسة الخلق المعبر عنها بالاحكام الشرعية وهو يتيم نشأ فى حجر عمه لم تعلمه قط قريش ولا مارس علما* ولو مارس علما ودرس لماانتهى ابدالاباد الى النظم فضلا عن هذه المعانى الغريبة وكل من حاول معارضته قصد معارضة النظم وهو قصاراه ثم لم يأت الا بالكلام الفث المشترك ولو أنه تحرى من تعاطى المعارضة الى انطواء القرآن على هذه الصنايع العلمية وقصد تضمينها لما تعاطى المعارضة ابدالابدين *ولتقنع حياء مما جاء به ومن شك فى أن ذلك امر الهى وتأييد ربانى فقد طبع الله على قلبه نعوذ بالله من ذلك* وصلى الله على سيدنا محمد نبيه كما هدانا من ظلمات الشك وعلى آله وصحبه ومحبيه وسلم تسليما

المعراج السادس

ماأتى من القول من طريق الرسول عليه السلام ضربان طلب وخبر * والطلب ضربان أمر ونهى وقد تكلمنا على الامر والنهى واصول الاحكام الشرعية وكيف تستعمل فى رسالة الاقطاب * وأما الخبر فينقسم الى أخبار عن من مضى كاخبار الامم وعن مايأتى كامور الزمن وانباء الآخرة وكل مانطق به القرآن وتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم

فهو يقين لاشك فيه * وهو منقسم الى مايحتمل التأويل والى مالا يحتمل فكل مااحتمل التأويل عذر المؤول له ومالايحتمل التأويل وتركه تارك عن قصد كفر بتركه * والامور المشكلة ثلاثة مسائل * احداها مسألة النفس وقد فرغنا منها * الثانية مسألة حشر الاجساد * الثالثة الجنة والنار * مسألة قال الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وهذا هو نص في الاعادة وقال تعالى في العظام (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) وقال تعالى (والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) واكثر آى القرآن في البعث وهو نص في اعادة الانفس الى قوالب الاجسام ولامراء في ذلك ومن امتنع عنه شك في صدق الرسول او كفر به عمدا * والمنكرون له فرقتان طائفة زعمت ان لا بقاء للنفس فان العالم متناسخ تابع لدورات الفلك لا الى نهاية وقد تقدم الرد على هذه الطائفة * الطائفة الثانية وهم من الاسلاميين وهم أكثر المتصوفة المتفلسفة زعموا ان الانفس باقية وان الاجساد لاتعاد * وحجتهم ان الجسم مستحيل عن اغذية مأكولة والاغذية نباتات ولحوم وربما أكل شخص شخصاً آخر فيجتمع جسم واحد من الاجسام فلو اعيد الجسم ابطلت تلك الاجسام المأكولة ولبطل حشرها وان حشرت زال جسم هذا الآكل وهذا تطويل يستغنى عنه فانا نقول لانلتزم

لكم ان الله تعالى يعيد عين الاجسام بل ضمن ان يرد الانفس الى خلق جديد وتراه كما فعل ذلك ابتداء وقد ورد فى الخبر ان الله تعالى ينزل قطرا فيكون ذلك أصلا لخلقة الاجسام وهو قادر على اختراع ما يشاء * وكيف لا وقد قال علماؤكم المتقدمون من أهل الهند وغيرهم عمر العالم ستة وثلاثون الف سنة * وقالوا أيضا خمسون الفا على اختلاف بينهم فى ذلك * وقالوا ثلاثة وستون الف سنة ثم يعاد جديدا وتبدل الارض غير الارض والسموات ويرجع القطب اليمانى شماليا والمعمور غامرا وبالعكس والبر بحرا والبحر برا * فان قالوا هذا لا فائدة لكم فيه فانه يلزم ان يبدل ثانيا قلنا ذلك جائز فى قدرة الله تعالى ولكن الرسل عليهم السلام أخبرت أنه لا يفعل ذلك وان للعالم ثلاث حالات حالة عدم تقدمت وحالة وجود نحن فيها وحالة اعادة ﴿مسألة﴾ قالوا أنكرنا وجود الجنة والنار يعنى أن تكون لذاتهما وآلامهما محسوسة جسمانية * قلنا علة الاستحالة عندكم تأثير الطبايع فى الاجسام بواسطة حركات الكواكب وقد قال قدماؤكم ان للعالم تحويلا * واخبرت به الرسل عليهم السلام وتتابعت على ذلك فتلك القضية بخلاف هذه فبم تنكرون على من يزعم أن هذه القضية كما اقتضت أسبابها الفناء تقتضى أسباب تلك البقاء وتكون الحكمة فيها ان تكون غرضا

مقصود البقاء الاجسام وكيف لا وقد قال الجماهير منكم بل الاطباق على ذلك أن جوهر الشمس لا يقبل البقاء واتفقتم على ان جوهر النفس لا يقبل الفناء والجسم عندكم وان تركب وكان تركيبه حادثا فجواهره قديمة ولم يتوالى نصب الاسباب على جهة تقتضى البقاء* ثم الجنة والنار عبارتان عن قطرين يكون احدهما فيه قصور الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والثمار ثم لمن استقر فيها بقاء بلا موت وواجد هذه اللذات ابدالا يألم ولا

يحزن ولا يجوع ولا يظمأ ولا يسمعون فيها لغوا

ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما والاخر على الضد

من هذا وهو النار وبالله الهداية *

« المعراج السابع »

غرضنا فيه بيان معنى الموت وهل هو كمال او نقصان فالموت فساد المزاج وقصور الجسم عن الانفعال للنفس لعدم الحس والحركة فمن زعم أن النفس قديمة زعم أنه ترك النفس البدن كالرجل ارتحل عن بيت أضيف فيه الى داره وعلى الرسم المتقدم كمن لبس ثوبا حتى انقطع وتخرق عليه فسقط عنه الثوب وبقى عريانا منكشفا والملك الموكل بالموت موكل بسبب الموت وهو سوق الآلام وبعث النفس على الاسباب المهلكة فيكون

الموت بواسطته ولا يبعد في العقل ان يكون للنفس ملائكة تتلقاها بالسخط والبشرى كما شهدت به الظواهر * وأما هل الموت كمال أو نقص فحقيقة النقص الرجوع من الاعلى الى الادنى والكمال الارتقاء من الادنى الى الاعلى فان الانسان ان كان يرتقي الى الاعلى بسبب الموت فهو كمال * وذلك أنه متردد في اطوار الخلقة من كونه ترابا وغذاء ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما ثم عظما ثم تكون مولودا رضيعا ثم فطيما ثم غلاما ثم شابا ثم كهلا وجاهلا عالما وجمادا ثم حيا مدركا وما من منزلة من هذه المنازل اذا أضفناها الى ماقبلها الا وتجدها كمالا والانسان لو جعل له عقل في بطن أمه لما رضي ان يتبدل بما سواها وذلك للالفة وينشد لهذا

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأرحب مما كان فيه وأرغد
اذا باشر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من اذاها يهدد

فلولا عدم الالفة ووحشة التبدل لما بكا والنفس خوارة بل الشيخ الكبير على طول تجربته اذا رحل من داره الى دار أخرى يجد ألما وسهرا وربما لم ينم وكذلك الغريب وانما كانت الغربة مؤلمة لعدم الالفة حتى قال الشاعر في ذلك

وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا

اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وقال آخر

احب بلاد الله ما بين منعج * الىّ وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها نيطت على تمائمي * وأول أرض مس جلدى ترابها

وعلى الجملة فعلوم الشريعة باسرها فى الامر والنهي محذورة هذا المقام ولذلك أمرت الرسل عليهم السلام الخلق بالاقبال عن الدنيا ورغب الزهاد فى ترك الوطن والاهل والولد ورغد العيش قال عليه السلام (كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك فى أهل القبور) *وقال عليه السلام (انما الدنيا كظل شجرة استظل الرجل بها ثم زال عنها وتركها) فالمقصد الرياضة وتمرين النفس على الشدائد* وان تمحى هذه الامور عن النفس وان تزال عنها الالفة وان تكتسب بغضا لهذه الامور فاذا ماتت وان استيئست ماحصلت فيه فلا تجد غيره فهي مضطرة اليه ثم لا تلبث الا يسيرا او تفرح فرحا لانهاية له واذا كانت وضرة ومشغوفة بالمال والولد والاقبال على الشهوات والعكوف على الملاذ الدنيوية مع أنها سائقة الى النفس مذهلا ومكربا وشاغلا عن الموت فانه انتقال من ضد الى ضد وهو هلكة فامر الربّ تعالى لطفا منه بالعباد أن يكون للعبد بين الضدين تدريج وقد جعل تعالى لذلك مثلا ظاهرا فى الحياة الدنيا فى الازمنة فجعلها

فجعلها أربعة اقسام على ممر الشمس فى بروجها فجعل أعدل الازمنة تنبت فيه الاجسام وتنمو فيه الناميات وتتلون الالوان وتخرج الارض زخرفها * وقد قال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فأختلط به نبات الارض) فهذه المدة من الزمان كحال النبات للانسان والربيع لا يصير بهذه المنزلة إلا بزمن متقدم عليه وهى النقلة الشتوية فانها باردة رطبة تنزل فيها الامطار وتسخن فى الارض وتَخْتَمِرُ بها فهى كحال البداية للانسان * فلو ان الله تعالى يخرج الخلق من الشتاء الى الصيف بغير فصل الربيع لهلكوا عن آخرهم فان الابدان والنباتات أستولى عليها البرد والرطوبة والنقلة الصيفية الغالب عليها المستولى فيها الحر واليبس * فلو خرجوا من البرد المفرط الى الحر المفرط ومن الضد الذى هو الرطوبة الى المضاد له وهو اليبس لكانت الهلكة لكن الله تعالى بحكمته فصل بفصل فيه تناسب الفصلين مما فاوله بالبرودة وآخره بالحرارة على تدريج خفى لا تحس به الاجسام إلا بعد إنقضائه وذلك بمر الشمس على الثمان والعشرين منزلة فى المنطقة الوسطى التى تجرى فيها الكواكب فلها مشرقان وهما منتهى تحركها فى الافق الشرقى فى الطرفين فاذا انتهت نهايتها فيكون الجنوب فى الآخر فيه ويكون الشتاء بذلك الافق الاضعف * فحينئذ شعاعها فى المواضع

يجذب البلة وتتصاعد به أبخرة البحار وينعكس الحر فى بطن الارض ويسقط ورق الثمار لأن الماء ينجذب من أعاليها الى أسفلها من حيث أن الابخرة الحارة ينفيها البرد من أعلى الارض فتطلب المركز فاذا أستحرت الارض استدعت الرطوبات فجذبت مافى النباتات * فاذا زالت الرطوبات من الاوراق والاغصان غلب عليها اليبس فتكمشت وتساقطت ويكون الطرف الثانى ثم اذا غلب عليه الحر واليبس فيكون القيظ كيف ما انجذبت الشمس على تدريج لانها تقيم فى كل برج شهرا وتقطع فى كل يوم من البرج درجة والدرجة لاتحس وهى تسير فكلما انجذبت زاد حرها وفى ازدياد حرها تسخن الارض وتتحلل الرطوبات وتسخن اغصان الاشجار من فوق فاذا استحر الغصن استدعى الماء وطلب رطوبة الجزء الذى تحته ويستدعيه الذى تحته من الذى تحته حتى يقع الاستدعاء من قاع الشجرة وتستدعيه الشجرة من الارض والارض بعضها من بعض فاذا حصل الماء فى العود أذابته الشمس وجرى فى العود بطبخها وبما تستمد من لطيف الماء ولطيف التراب تحيله الشمس ثمرة ثم تخرج مافى طبع ذلك العود من الثمرة باذن الله تعالى * والشكل يخرج بطبعه الذى ركبه فيه الفاطر العليم بواسطة حر الشمس فى اقبالها وادبارها ودخول الحر فى الارض

عند اقبالها وأدبارها حسب ماتمر فى البروج فالشمس جعلها البارى سبحانه سبب الحرث والنسل وهى علة النباتات والحيوانات والمعادن إذ سبب المعادن أبخرة تحتقن فى الارض فيكون منها أدخنة كبريتية فيمر عليها نشع الماء فى الارض فتعقده وهذا مبرهن عند المشتغلين بعلوم التحايل والكيميا فانهم زعموا ان الزئبق ينعقد باشمام رائحة الكبريت وامداده من خارج بان يذاب ويطرح عليه أو يغلى ويترك فيه « ثم عند اجتماع الماء والكبريت تكون مادة الجوهر الارض أما باعتدال امتزاج وصبغ فيكون منه الذهب أو بافراط فيكون منه النحاس أو بتقصير خفيف فتكون منه الفضة هذه الحركة الشمسية متعلقة بالحركة الشرقية ومثال ذلك الرحا مع قطبها فان القطب يقطع شبراً فى شبر وآخر دائرة الحجر تقطع خمسة أشبار أو أكثر فى الاستدارة فكذا الطواحين وكذلك الدوائر والسواقى فان الدائرة العظمى المحركة للاحجار التى تدور بحركة الماء تقطع ما مسافته فى الاستدارة عشرون ذراعا أو أكثر ورأس المغزل يقطع فى تلك المسافة دور الدينار والمدة واحدة وكذلك برهن أصحاب النظر فى علم الاثقال والمقادير ان الحركة السماوية هى سبب حركة الافلاك وانها واحدة وكذلك نشاهد الثانية (هى الساقيه) يدور الحار فيها الى جهة ويختلف دوران

تلك الدوائر فالحار يقطع على استدارة والقوس الاعظم الذى يكون عليه الطونس يقطع على استدارة فى جهة أخرى ودوائر أخر تقطع فى جهة أخرى * قالوا ولما كانت الشمس حارة نارية الجوهر جعلت الحكمة الإلهية والتقدير الربّانى لها نظيرا على مضادة طبعها إذ لو دام الحر المفرط لاحرق فسخر الله تعالى القمر يمر ببرده فيبرد ما استحر فيكون النامى معتدلا بينهما ثم جعلت حركته سريعة لان حركته لو ساوت حركة الشمس لما وصل نفعه الى الناميات إلا بعد فسادها وكذلك أيضا لم يصل حر الشمس إلا بعد فسادها انفعل عنه وكانت حركته سريعة * قال الله تعالى (وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) * وهذا أيضاً غرض آخر يخص النفوس الحية فان الشمس هى النور الذى به تخرج الحيوان من القوة الى الفعل * ولها فى النفوس البشرية تأثير بديع فبالنور قوام الكل وجعل القمر مرءاة يقبل ضياءها بالليل ويعيده على الخلق حتى لا يفقدونه ليلهم ولا نهارهم * وربما توهم المتوهم ان الافق قد يخلو من نور الشمس وهذا توهم فاسد والافق معمور بأنوار الشمس والسموات والارض لا تغيب عنها طرفة عين وانما ينكر الناس ذلك بالاضافة الى حالهم فى كون الشمس فى مقابلتهم على وجه أفقهم إذ يكون النور فى عنفوانه كثيرا فلا يزال القرص يبعد

عن أرضهم وتقل الانوار فحال النور عند العصر بخلاف حاله
عند الظهر وحاله عند المغرب بخلاف حاله عند العصر وحاله
عند مغيب الشفق بخلاف حاله عند المغرب وحاله نصف الليل
بخلاف حاله عند مغيب الشفق * وهو أبعد مايكون النور من
ذلك الافق ولذلك تكون الظلمة وتضعف رؤيته للانسان في ذلك
الوقت ولكن مع ذلك اذا لم يكن بينه وبين السماء حائل من
سقف أو سحاب يبصر فان النور لا ينعدم وهو مع ضعفه ينتفع
به فان نور الكواكب من الشمس وهي واقعة على الارض فاذا
قربت الشمس من جهة المشرق زاد النور من جهة المشرق فلا
تزال كذلك حتى تشتد فيكون فجراً أولا فاذا كثر كان فجرا ثانيا
فاذا تزايد كان إسفارا فاذا طلع القُرْصُ كان نهارا * وأما في
الليالي المقمرة فيكبر جرم القمر ولقربه من الارض يتسع النور
فيه وينعكس على الارض فيكون النور بالارض كثيرا وضوء
الشمس انما يكثر في القمر أو يقل بقربه أو بعده منها واذا كان
منها على أربع عشرة منزلة كثر ضوؤه *قالوا وفي خاصية القمر
جذب الرطوبات والشمس تحلل وهذه الكواكب انما تؤثر
في العناصر الدائرة بالارض لانها تناسبها في اللطافة وتقرب من
المنفعلات من وجهة أخرى فهي واسطة بين الحيوانات والنباتات
والمعادن تناسب الكواكب بالبساطة والمنفعلات بالكثافة

وقد قالوا ان المنفعلات تنفعل من هذه العناصر وان الحيوانات والنباتات والمعادن هي أنفس الهواء والماء والنار والارض لكنهم قالوا ذلك انما يكون على طريق الدور فاذا تكونت ثم فسدت عادت عناصر فهي يستحيل بعضها الى بعض ولذلك قالوا سمي عالم الكون والفساد * ولا يبعد ان تكون شعاعات الكواكب هي المؤثرة وهذه العناصر واسطة بين المؤثرات وبينها والله تعالى اعلم فانها ابعد عن قبول الفساد وآية ذلك ان شعاعات الكواكب هي من الشمس ومن أنفسها أيضاً فلو كانت تنقص أو تزيد لقبلت الكون والفساد ولظهر ذلك عليها * وقد زعم القدماء ان النار المحدقة بالارض انما هي من الادخنة والقتارات الصاعدة والاهوية المحرقة والهواء من البخارات المتحللة من الارض والماء على حسب ماتكلموا على ذلك في الاستقصات وأيضاً فلا يتجه ان تتحرك هذه العناصر دون مباشرة وذلك عند هبوب الرياح وتموج الهواء والله اعلم * وقد ذكر القدماء ان الامطار والثلوج والرياح انما تكون حسب ماتكون النيرات في مواضع مخصوصة من بروج مخصوصة فلتكن أشعتها التابعة لحركتها هي الممتزجة لهذه العناصر المحركة لها ثم لنفوس النيرات محركاة حسب ماتتحرك وتترقى في الحركة الى الحركة الكلية كما سبق * وقد زعم الاوائل ان تلك الحركة

عن شوق واختيار عقلي مستند الى مشيئة البارى تعالى وإرادته فهو البارى المبدع الخالق المصور لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين * فهو مرتب الكل أحسن ترتيب ومقدره أكمل تقدير والكل متصرفون جارون على منهاج ذلك الترتيب المحكم والتقدير المتقن لا يزيد ذرة ولا ينقص ذرة كذلك تنقرض الاولون وتتبعهم الآخرون والسماء كما هى ونجومها والارض بما فيها من الحيوانات والنباتات وغير ذلك لم يطرأ عليها شيء ينكرونه ولا تزال كذلك حتى يعيده باريه تعالى تارة أخرى كما بدءه حيث قال تعالى (كما بدءكم تعودون) فالعالم بأسره كالشخص الانسى البشرى ذو عمر ومبدأ وآخر وقد تقدم مراراً ان الله سبحانه خلق الانسان على صورة العالم فأوله بشر ضعيف على تدريج كما سبق فى المعراج الاول * فأول ما يخلق الله تعالى مادة يتكون منها ثم يخلق فيه الروح الحيوانى ولا يزال يتدرج فيه قليلا قليلا وكذلك النفس الناطقة فيه تظهر قواها شيئاً فشيئا فاضعفها حالة الرضيع لا يزال ينمو الى ان يشب فتخلق له الاوهام والظنون فتكون عنده كالقوة العقلية فاذا كبر قليلا خلقت فيه القوة الهيولانية وهو العقل الغريزى وهى المبادى الاول وهذا فى المادة من الخمسة عشر

الى الثمانية عشر عاما ثم لاتزال كذلك حتى يخلق فيه العقل النظرى وهو أن يدرك الامور الجائزة والمستحيلة فهى كعيون تفتح فى قلبه ومثاله الانسان فى بيت مظلم فاذا قابله السراج على بعد نظر نظرا ضعيفا فلايزال السراج يقرب منه ونظره يكثر الى أن يتصل به فيقوى نظره نظرا كليا فلو اتفق ان يتخذ السراج به حتى يكون فى دماغه ملابسا اقواه لكان أكثر فكذلك فافهم ان القوة النفسية لاتزال تتزايد الى مالانهاية فليميز مابين النبى والصبى من الدرجات فالنفس آخذة فى الكمال من حين تخلق الى حين موتها فالموت اذا كمال الاجسام لان النفوس تنزع المادة وتلحق بافق الملائكة وهى الجنة العليا وهى جنة الملائكة فان كانت نفسا شقية كان كمالا باعتبار تخليصها عن المادة ونقصانا من حيث تتخلف عن الجنبة العليا فلاتزال كئيبة حزينة على جسمها وملاذها وحواسها فانها لم تمهد تركه قط ولم ترتض ذاتها على ترك الملاذ وكانت حين نزعها كئيبة على البدن فلاتزال فى حسرة وندامة والم ونهش وعقارب وحيات وسلاسل واغلال ابد الآبدين ودهر الداهرين الا من شاء ربك (وماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) فاذا واجب على كل من رزقه الله تعالى عقلا وميز بارئه ونفسه ان يسعى فى حيلة الخلاص بنفسه فى انتهاء الحيل الدنيوية والاخروية وذلك هو السعيد المطلق وليكن فى الدنيا

كن امتحنه سلطان زمانه وبعثه الى أرض يكرهها ويكره أهلها واغذيتهم ولغتهم فاذا حصل بينهم علم انه متى اعتزلهم وتركهم قتلوه وعذبوه وان خالطهم كفوا عنه فيكون ابدا يعاملهم بظاهره فيكلمهم ويأكل معهم ولكن قلبه وهمته وعشقه لقطره الذى خرج منه فاذا اخرجه الملك من بينهم ورده الى قطره كان فرحا على مفارقتهم مسرورا لقطره فلو عكف عليهم وصرف همته اليهم ثم بعث اليه لكان خروجه خروجا كدرا فانه ربما عشق اسمائهم وسيرتهم فلايزال معذبا وهذا غاية البيان فى معنى الموت وقد فهمت العالم بامره وحقايقه فان انت استعملت ذهنك وفكرتك حتى انفهم لك ذلك كنت ربانيا ونعم العبد لباريك وناسبت الملائكة فوقعت المحبة والالفة بينكما وان انت لم تعبابه ولم تعول عليه أوعلمت ظاهره دون باطنه فما أقل نفعك به وما أعظم حسرتك اعاذنا الله وإياك من ذلك هذا تمام السبعة المعارج التى تستعمل فيها القوة الفكرية وهى نهاية الغرض الذى أوردناه وربما تقربنا الى الله تعالى ورغبنا فيما عنده فى أن ننبه على الاشياء التى تكون ميزانا ومرآة للقوة المفكرة حتى لاتغلط فى أكثر تصرفاتها فان خلاف الناس قد كثر ومذاهبهم جمة لا تنحصر ومن عول على اخذ العلم عن امام لاسيما مذهب الامامية فانهم زعموا ان الارض لا تخلو طرفة عين من

امام قائم لله تعالى بحجة يخرج الخلق من التخمين الى اليقين وينجيهم من ظلمات الشكوك فعلى مذهبهم لا يضر إن سافر الانسان عن الامام وزال عن بلده والمسائل ابداً لا تنحصر فيحتاج ان يراجعه فى كل دقيق وجليل * وحق هذا التنبيه ان يكون مستقلا بنفسه مستوعبا فى اسفار كثيرة ومجلدات عديدة ولكن صادفت بالرغبة ايها الاخ قلبا مشتغلا مشتبك الفكر ولسانا كايلا قد تخمر بين امور متنافرة وبقى معلقا بين الدنيا والآخرة فان تلافاه الله سبحانه بدعاء الصلحاء وضراعة الاصدقاء والاصفياء والا فل أشياؤه وعاش معيشة ضنكا فى دنياه * والله سبحانه ينفع بعضاً ببعض بعزته *

﴿ السعادة ضربان سعادة مطلقة وسعادة مقيده ﴾

فأما السعادة المطلقة ما اتصلت فى الدنيا الى ما لا نهاية له والمقيدة ما كانت مقصورة على حال أو زمان وكل سعادة فبسبب والسبب من انواع الحجج * فاما السعادة المقيدة فتحصل باربعة أسباب اعنى الاسباب العلمية احترازا عن الحرف والصناعات وهى اما سفسطة واما خطابة واما جدل واما شعر * اما السفسطة فنهايتها وغرضها ومقصودها أن تؤلف قياسا وتنظم حجة تشبه الحق وليست بحق بنفسها لتغلب خصمك من حيث لا يشعر كما

انك اذا قلت اليس النجار صانعا فيقول نعم * فتقول اليس هو جسما فيقول اليس البارى سبحانه صانعا فتقول نعم فيقول فهو اذا جسم فهذا قياس مؤلف ولكنه فاسد وسفسطة ومباهتة ودخل من الفساد قوله فكل صانع جسم فانه خطا والا فما الدليل عليه فنهاية سعادة هذا التمويه على الخصم وهى منقسمة الى التلبيس فى النظم كما قدمناه والى التلبيس فى شبه الحروف والاسماء كما اذا قلت العين تبصر والدينار عين فالدينار يبصر فهذا غلط من جهة اشتراك الاسم وحده ان تقول حد الدينار غير حد العين فهما مختلفان فى الحد والحقيقة وكذلك فى النقط مثل قوله تعالى عذابى اصيب به من اشاء ومن اساء واستيعاب هذا يحتاج الى مجلد * واما الخطابة فغرضها اقناع السامع بما تسكن نفسه اليه سكونا مّا من غيران تبلغ اليقين * وهذا كما يفعله الخطيب من الناس فانه ينظم كلاما عذبا مسجعا يذكرهم الموت ويفزعهم ويخوفهم وغرضه الايقاع فى نفوسهم * واما الشاعر فغرضه الايقاع فى النفس وتحريك القوة الشهوانية والغضبية بان يشبه الاشياء بعضها ببعض كقول القائل *

هو البحر غص فيه اذا كان راكدا

على الدر واحذره اذا كان مزبدا

فهذا اذا سمعه الممدوح انبسطت له نفسه لانه شبه جوده

واتساعه بالبحر وانه ذو صولة كالبحر وقد يحرك الشاعر القوة الغضبية كقول القائل

لو كان يخفى عن الرحمن خافية   من العباد خفت عنه بنوا اسد

وكقول بعض الشعراء ينفر زوجته عن النكاح

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا   اغم القفا والوجه جعد الانامل

حتى أن الانسان يشبه له الشيء الحسن بالقبيح فينافره كما اذا قيل له وقد شرب في محجمته خرجت من كور الزجاج فيقال له بها يمص الدم للمجذوم والمبروص فينافرها ولا يشرب بها وكما اذا ارسل عليه حبل ثم قيل له حية عليك نفر وقيل له ان هذا العسل اصفر كانه عذره نفر من ذلك واستبشعه فهذا غرض الخطابة والشعر وأما الجدل فغايته غلبة من يخاطبه باشياء مشهورة كما قال تعالى لليهود (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فانه علم في العادة ان المحب يحب لقاء الحبيب وتأليف القياس فيه ان يقال ان كنت تحب لقاء زيد فانت صديقه لكنك تحب لقائه فانت اذا صديقه فيجيء البيان فيه على وفق المقدمة * ونظم القياس لليهود ان يقال إن كان اليهودي يحب لقاء الله تعالى فهو ولي لكنه يكره لقاء الله تعالى فاذا ليس هو بولي وكما قال ابراهيم عليه السلام للذي حاجه ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

فغاية هذه العلوم موقوفة على منافع دنيوية الا أن تصرف الى الاخرة كما فعلت الانبياء عليهم السلام فى خطابتهم وجدلهم فالدنيا ركاب الاخرة وهى مضرة اذا طلبت لنفسها ونافعة اذا طلبت للآخرة فاذا مقدار سعادة هذه العلوم مقدار مايقصد بها وأما العلوم التى يطلب بها السعادة العلمية والعملية النافعة فتنقسم الى أربعة اقسام طبيعية ورياضية وسياسية والهية والغرض بالطبيعية معرفة العالم وتركيبه ومزاجه ومعرفة النباتات والحيوان والمعادن والامراض والامزجة وصلاحها وفسادها * وهو خادم معين كالخبز والغذاء للانسان وكذلك هو مع تلك العلوم * واما الرياضيات فاربعة أنواع * الهندسة والحساب والمنطق والنجوم * فاما الهندسة فمقصودها معرفة الاطوال والكميات والمقادير وهى آلة يستعان بها * والحساب غرضه معلوم * والمنطق غرضه تمييز الامور العقلية من المحسوسات وتمييز البرهان من الشك فى الاعتقاد * واما علم النجوم فمقصوده معرفة الافلاك وحركاتها وكواكبها وسائر احكامها وفائدته معرفة الكائنات * واما الالهيات فمقصوده أربعة اشياء العلم بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر واما السياسية فمقصوده تهذيب النفس فى جلب منفعة ودفع مضرة ماعاجلة * والخلق مع سائر هذه العلوم وهى معهم اما كالغذاء لهم واما كالدواء والرسل مبعوثة لتبيين الجميع ومقاديرها

في السعادة على ماذكرنا لكن تختلف باشخاص الناس وحالاتهم على اختلاف قرائحهم وغرائزهم ومقدار قبولهم وعقولهم والتقسيم يأتي على هذه النسبة فنقول اما ماهو كالغذاء فكالعلوم الالهية فلا غناء باحد منها فان سائر هذه العلوم دورانها على بيانه والخالق هو الاصل ولا حال لمن جهل باريه * واما ماهو كالدواء فيخص ويعم في بعض العلوم السياسية * وهي ماتعلق منها بفروض الاعيان فعلى كل شخص أن يعرف هذا في العلم السياسي * واما في غيره من العلوم فيستعمل الانسان منه مقدار حاجته ان احتاج اليه والا فالاشتغال بما يفيد احسن اذ الانسان ذو شغل كثير * واما ماهو كالداء فهو يضر بالنسبة الى حالات الاشخاص وهو كل شيء متى اوصلناه الى شخص وجدناه يضر به فهو دواء في حقه فان العسل وان كان حلوا عند من افرط عليه البلغم فهو مر عند من افرطت عليه المرة الصفراء اذ هو في حقه داء * والعلوم انما هي بالاضافة فلا تقد بوجد لله تعالى

خلق تضر الحقايق بهم * كما تضر رياح الورد بالجعل

وقد قال صلى الله عليه وسلم حدثوا الناس بما يفهمون * وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الدر في اعناق الخنازير ، فمن منح الجهال علما اضاعه ، ومن منع المستوجبين فقد ظلم ، فان قلت هذا لاشك فيه غير أن العلوم الالهية يختلف فيها وقد كثرت فرق

الاسلاميين فعلى رأى من أعَول* فاعلم ياأخى انك متى كنت ذاهبا الى تعرف الحق بالرجال من غير أن تتكل على بصيرتك فقد ضل سعيك فان العالم من الرجال انما هو كالشمس أو كالسراج يُعْطِى الضوء* ثم أنظر ببصرك فان كنت أعمى فما يغنى عنك السراج والشمس فمن عول على التقليد هلك هلاكا مطلقا* فان قلت فكيف الخلاص فيه فهذا الآن حديث يطول ويحتاج الى اطناب واسهاب • وقد أعلمتك إنى مشتغل مبدد لشمل النفس كليل الخاطر ولكن لتعلم ان الاوصاف الراجعة الى الله تعالى تنقسم الى ثلاثة أقسام* إما وصف يجب له* وإما مستحيل عليه وإما جائز فى حكمه فلا يتلقف أحد الجائزين بسبب الا من جهة الرسول عليه السلام فكل واجب أو مستحيل نأخذه من جهة العقل* فان قلت ذلك اطلب فمن أين آخذه وكيف اتوصل اليه فأقول سأُبَيِّنُ لك منه مقداراً يليق بهذه العجالة* فان قلت وكيف أصنع أيضاً فى فروع الاحكام وهى الامور السياسية فقد اختلفت الائمة كمالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم فأقول فاذا الاشكال من جهة الخلاف فى أصول الدين وفروعه وقد كشف العمى فى أصول الدين ووعدتك بالباقى وأما الخلاف فى الفروع فذلك فيه حيلتان احداهما ان تعرف اصول الفقه واحكام الشريعة معرفة دون

تقليل * ثم تعمل بما علمته وتترك الناس جانبا خالفت او وافقت فهذه حيلة وقد جعلت فى ذلك كتابا سميته ﴿ برسالة الاقطاب ﴾ تختص باصول الفقه خاصة على الطريق البرهانى فان شئت فاحفظها واحفظ احكام الحديث والسنة او تكون عندك كتبها وذلك منحصر فى ثلاثة اسفار اما احكام الحديث فقد جمعها الزيدونى واحكام الفرايض لاسماعيل القاضى وغيره واحكمها الاحكام لابى الحسن الطبرى الملقب بشفاء العليل * وبأصول الفقه تهتدى الى ماغاب عنك * فان تعذر هذا عليك فعليك بجملة ثانية وهو ان تنظر كل مختلف فتصير الى الطرف الاكمل * مثال ذلك مذهب ابى حنيفة فى التوضى بالنبيذ فاستعمل أنت مذهب مالك فى تركه فهو احوط وكذلك مذهب الشافعى فى التوجيه والبسملة وقراءة أم القرآن فى الصلاة فاستعمله فهو أحوط من مذهب مالك فيه فهاتان حيلتان لطريق الكمال * فان عجزت عنهما فعليك بتقليد امام واحد فاعمل على مذهبه فاحكام الظاهر يسير الخطب قد فهمت هذا وانما المشكل على هو أمر الامور العقلية حتى أميز فيها الحق من الباطل فقد علمت من هذا طريق الخلاص فى الفروع فاعلم ان الامور التى تخوض فيها قوة المفكرة ترجع الى أربعة أقسام معقولات ومحسوسات ومقبولات ومشهورات * فاما المعقولات فما لا يدرك الا بالعقل على التجريد

كما علمنا ان الضدين لا يجتمعان وان الشيء لا يصح ان يكون متحركا ساكنا في حال واحدة وان الواحد قبل الاثنين وان الحادث له أول وان ما كان مع الحوادث معية زمانية فهو حادث فكل ما لا تدريه الا من جهة العقل * واما المحسوسات فما تدريه من جهة الحواس الخمس كالفرق بين الالوان والفرق بين الطعوم وبين الملموسات * والفرق بين المسموعات والفرق بين المشمومات والفرق بين المذوقات * واما المشهورات فهي العادات الراجعة الى عادات الخلق والبلاد والامم والازمنة كعادة الناس في اللباس والفرح والاغاني والاحاديث والسير الكريمة كترك الظلم وبر الوالدين وشكر المنعم والكف عن الجار والنصفة من الظالم وافشاء السلام التي هي الآن متممات الاحكام الشرعية وهي من قبل الرسل تعقل * وقد كانت العرب وسائر الامم السالفة كالهند وغيرهم يستنون بذلك * وعلى الجملة لكل امة ملك يحمي من الظلم وبذلك قوام العالم * اما المقبولات فما أخذ من طريق الاخبار وهو كل ما يخبر به العدل الثقة أو الثقات فمتى ورد عليك شيء من أي علم كان وقرع سمعك أو اورد عليك فانظر وسل من أي قبيل هو من هذه الاربعة اقسام * فاما العقليات فلا تتبدل احكامها عما هي عليه في العقل * والمحسوسات لا تتبدل ولكن يتطرق اليها الغلط بآفات تحدث في الآلات الجسمانية *

وأما المقبولات والمشهورات فغير موثوق بها فانها تختلف باختلاف الامم والبلاد وحالات الاشخاص فالحق كل قبيل بقبيله وميزه من سواه فلا تغلط ابد الاباد فما اقام عندك من دليل عقل او حس على شيء وتصححت اجزاء حده وبرهانه وتبرهن لك البرهان على صحة تلك الاجزاء والبرهان تبرهن به على مطاوبك فهو برهان حق وماورد عليك مما سوى ذلك فانزله على مرتبته فلا تعد شيئا من حده ولا تجعل المقبول معقولا ولا المعقول مقبولا ولا المشهور محسوسا ولا المحسوس مشهورا ثم انظر كيف مأخذ المقبول مثل أن القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلم قطعا ان هذا القرآن مأخوذ عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الكائن بمكة صلى الله عليه وسلم وكذلك تعلم وجوده وسيرته المستفيضة * واما الاحكام فمآخذها مقبولة ولا يلزم ان تبرهن لنا لان الخلق محتاجون اليها ولو ادركوا الاحكام بعقولهم لما كانت فائدة الرسول عليه السلام * واذا لم يكن في عقولهم استقلال بها أولا فكذلك اخرا اذا اتصلت بهم فلذلك لم يطلب أن يقوم على الاحكام برهان * وهذا منتهى ما أردنا ان نشير به من المدخل الى العلوم الالهية وننبه به على الاسرار الروحانيه فان ساعد الدهر السليم والغريزة المعتدلة

على الحاق مافى معناه به كفى المسترشد والاتشوق الى المطالعة والرب تبارك وتعالى المسئول ان يلم الشعث ويجبر الصدع وينير البصيرة ويجرى على اللسان الصدق ويختم بالخير ويجعلنا به وله فيما نأتى ونذر وان يتجاوز عنا اذا وفدنا اليه محتاجين الى عفوه فقراء الى فضله منقطعين عن الاهل والوطن مخلفين الابناء مبعدين عن الاباء قد حيل بيننا وبين القريب والصاحب ونفانا الموالى والاقارب اذا برقت العين وجفت الشفة ويبست القدم وحيث لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون * لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى * شق الجيوب عليه حين وفاته * أُذكّركم الله تعالى اخوانى واوصيكم به فكونوا به ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور * ثم الصلاة والسلام على نبى الرحمة وشفيع الامة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما * والحمد لله رب العالمين

قد لاح بدر التمام * وفاح مسك الختام من معراج السالكين ويليه بحوله تعالى منهاج العارفين

﴿ لحجة الاسلام ابى حامد الغزالى ﴾

وجدت هذه الفائدة بطرة اصل

﴿ منهاج العارفين ﴾

اثبتناها اتماماً للفائدة

﴿ فائدة ﴾

قال ابقراط رحمه الله

من أستعمل عشرة أشياء لا تدخل العال فى بدنه الى وقت الاجل ﴿ الاول ﴾ أن لا تأكل طعاماً وفى معدتك طعام آخر ﴿ والثانى ﴾ لا تمضغ شيئاً يضعف اسنانك عن مضغه ويضعف معدتك بهضمه ﴿ الثالث ﴾ عليك أن تدخل الحمام فى كل أسبوع مرتين فانه يخرج الداء من جسدك ﴿ الرابع ﴾ لا تخرج اكثر الدم من بدنك حتى يجر من نفسك اليه داعيه ﴿ الخامس ﴾ عليك فى كل اسبوع قياً ﴿ السادس ﴾ أن لا تحبس البول اذا ماحضرك ولو على سرجك ﴿ السابع ﴾ أعرض نفسك على الخلاء قبل نومك ﴿ الثامن ﴾ لا تقرب من شرب الدواء مالم يكن اليه حاجة ﴿ التاسع ﴾ لا تكثر الجماع فانه يقتبس نور الحياة ﴿ العاشر ﴾ لا تجامع العجوز فانه يورث الموت فهذا أجمل الطب

صحيح مجرب

كتاب

﴿ منهاج العارفين ﴾ تأليف الشيخ الامام حجة الاسلام
﴿ ابى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ﴾
﴿ رضى الله عنه ﴾

﴿ هذا عين العبارة التى وجدت بطرة الاصل ﴾

(تنبيه)

﴿ طبعت هذه النسخة على أصل قديم ومصحح بخطوط العلماء يرجع تاريخ كتابته الى نحو سبعمائة سنة ﴾

فرج الله زكي
الكردي

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نور قلوب العارفين بذكره * وأنطق ألسنتهم بشكره * وعمّر جوارحهم بخدمته * فهم فى رياض الانس يرتعون والى أوكار المحبّة يأوون * ذكرهم فذكروه * واحبهم فأحبوه * ورضى عنهم فرضوا عنــه * رأس مالهم الافتقار ونظام أمرهم الاضطرار * علّمهم دواء الذنوب * وعرّفهم طبّ القلوب * فهم مصابيح انوار حُجته * ومفاتيح خزائن حكمته إمامهم القمر الطّالع * وقائدهم النور السّاطع * سيد الموالى والعرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب * الثمرة الزاكية * من الشجرة المباركة * التى أصلها التوحيد * وفرعها التقوى * (لاشرقية ولاغربية * يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) *

صلى الله عليه وسلم صلاة تلوح فى السموات آثارها

وتعلو فى جنان الخلد انوارها وتطيب فى

مشاهد الانبياء أخبـارها * وعلى آله

الطاهرين وأصحابه المطّهرين

باب البيان نحو المريدين

يدور على ثلاثة أصول * الخوف والرجاء والحب * فالخوف فرع العلم والرجاء فرع اليقين والحب فرع المعرفة فدليل الخوف الهرب * ودليل الرّجاء الطلب ودليل الحب إيثار المحبوب ومثال ذلك الحرم والمسجد والكعبة فمن دخل حرم الارادة أمن من الخلق ومن دخل المسجد أمنت جوارحه ان يستعملها فى معصية الله تعالى ومن دخل الكعبة امن قلبه ان يشتغل بغير ذكر الله عز وجل * فاذا أصبح العبد لزمه ان ينظر فى ظلمة الليل ونور النهار ويعلم ان أحدهما اذا ظهر عزلَ صاحبه عن الولاية فكذلك نور المعرفة اذا ظهر عزل ظلمة المعاصى عن الجوارح * فان كانت حالته حالة يرضاها لحلول الموت شكر الله تعالى على توفيقه وعصمته وان كانت حالته حالة يكره معها الموت انتقل عنها بصحة العزيمة وكمال الجهد وعلم ان لا ملجأ من الله الاّ اليه كما انه لا وصول اليه إلاّ به فندم على ما أفسد من عمره بسوء اختياره واستعان بالله على تطهير ظاهره من الذنوب وتصفية باطنه من العيوب وقطع زُنار الغفلة عن قلبه واطفأ نار الشهوة عن نفسه واستقام على طريق الحق وركب مطية الصدق فان النهار دليل الآخرة والليل دليل الدنيا والنوم شاهد الموت

والعبد قادم على ما اسلف ونادم على ما خلّف * يقول الله عز وجل ﴿ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر﴾

باب الاحكام

إعراب القلوب على أربعة انواع * رفع وفتح وخفض ووقف فرفع القلب فى ذكر الله تعالى * وفتح القلب فى الرضاء عن الله تعالى * وخفض القلب فى الاشتغال بغير الله تعالى ووقف القلب فى الغفلة عن الله تعالى * فعلامة الرفع ثلاثة أشياء وجود الموافقة وفقد المخالفة ودوام الشوق * وعلامة الفتح ثلاثة أشياء التوكل والصدق واليقين * وعلامة الخفض ثلاثة أشياء العجب والرياء والحرص وهو مراعاة الدنيا * وعلامة الوقف ثلاثة أشياء زوال حلاوة الطاعة وعدم مرارة المعصية والتباس الحلال

باب الرعاية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وهو علم الانفاس فيجب أن يكون نَفَسُ المريد شكرا أو عذرا * فان قبل ففضل وان رد فعدل فطائع الحركة بالتوفيق والسكون بالعصمة ولا يستقيم ذلك له إلا بدوام الافتقار والاضطرار

ومفتاح ذلك

ذكر الموت لانّ فيه راحة من الحبس ونجاة من العدوّ وقوامه بردّ العمر الى يوم واحد ولن يلتئم ذلك الأ بالتفكر في الاوقات * وباب الفكر الفراغ * وسبب الفراغ الزّهد * وعماد الزهد التقوى وسنام التقوى الخوف * وزمام الخوف اليقين ونظام اليقين الخلوة والجوع * وتمامها الجهد والصبر وطريقهما الصدق * ودليل الصدق العلم

باب النية

لابد للعبد من النيّة في كل حركة وسكون (فانما الاعمال بالنيات ولكل امرء مانوى ونية المؤمن خير من عمله) والنية تختلف على حسب اختلاف الاوقات وصاحب النية نفسُهُ منه في تعب والناس منه في راحة وليس شيء على المريد أصعب من حفظ النية

باب الذكر

اجعل قلبك قبلة لسانك واشعر عند الذكر حياء العبودية وهيبة الربوبية واعلم بان الله تعالى يعلم سر قلبك ويرى ظاهر فعلك ويسمع نجوى قولك * فاغسل قلبك بالحزن وأوقد فيه

نار الخوف فاذا زال حجاب الغفلة عن قلبك كان ذكرك به مع ذكره لك قال الله تعالى (ولذكر الله اكبر) لانه ذكرك مع الغناء عنك وانت ذكرته مع الفقر اليه * فقال (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) فيكون أطمئنان القلب فى ذكر الله له ووجله فى ذكره لله * قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) والذكر ذكران ذكر خالص بموافقة القلب فى سقوط النظر الى غير الله * وذكر صاف بفناء الهمة عن الذكر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا أحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك)

باب الشكر

وفى كل نفس من انفاس العبد نعمة لله تتجدد عليه يلزمه القيام بشكرها وأدنى الشكر ان يرى النعمة من الله تعالى ويرضى بما أعطاه ولا يخالفه بشىء من نعمه وتمام الشكر فى الاعتراف بلسان السر ان الخلق كلهم يعجزون عن اداء شكره على اصغر جزء من نعمه وان بلغوا غاية المجهود لان التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها فليلزمك على كل شكر شكراً الى مالا نهاية له * فاذا تولى الله العبد حمل عنه شكره فرضى عنه بيسير

وحط عنه مايعلم انه لايبلغه ويضعفه
﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾

باب اللبس

ألّلباس نعمة من الله على عبده يستر به البشرة ولباس التقوى ذلك خير * وخير لباسك مالا يشغل سرك عن الله تعالى فاذا لبست ثوبك فاذكر محبة الله الستر على عباده فلا تفضح أحدا من خلقه بعيب تعلمه منه واشتغل بعيب نفسك فاستره بدوام الاضطرار الى الله تعالى فى تطهيره فان العبد اذا نسي ذنبه كان ذلك عقوبة له وازداد به جرأة على المعاصى ولو انتبه من رقدة الغفلة لنصب ذنوبه بين عينى قلبه نصبا ولبكى عليه بجفون سره واستولى عليه الوجل فذاب حياء من ربه وما دام العبد يرجع الى حول نفسه وقوتها انقطع عن حول الله وقوته فاطرح همتك بين يدى الخوف والرجاء (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

باب القيام

فاذا قمت من فراشك فاقم قلبك عن فراش البطالة وأيقظ نفسك عن نوم الجهالة وانهض بكلك الى من احيالك

وردّ اليك نفسك وقم بفكرك عن حركتك وسكونك واصعد بقلبك الى الملكوت الاعلى ولا تجعل قلبك تابعا لنفسك فان النفس تميل الى الارض والقلب يميل الى السماء واستعمل قول الله عز وجل (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

باب السواك

واستعمل السوّاك فانه مَطْهرةٌ للفم مرضاةٌ للرب وطهر ظاهرك وباطنك عن دنس الاساءة واخلص اعمالك عن كدر الرياء والعجب واجْلِ قلبك بصافى ذكره ودع عنك مالا ينفعك بل يضرك

باب التبرز

واذا تبرزت لقضاء وطرك فاعتبر فان الراحة فى إزالة النجاسة واستنج ونكس رأس همتك واغلق باب الكبر وافتح باب الندم واجلس على بساط الندامة واجتهد فى ايثار امره واجتناب نهيه والصبر على حكمه واغسل شَرّك بترك الغضب والشهوة واستعمل الرغبة والرهبة فان الله تعالى مدح قوما فقال (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

باب الطهارة

واذا تطهرت ففكر فى صفوة الماء ورقته وتطهيره وتنظيفه فان الله تعالى جعله مباركا فقال (ونزلنا من السماء ماء مباركا) فاستعمله فى الاعضاء التى فرض الله عليك تطهيرها ولتكن صفوتك مع الله كصفوة الماء فاغسل وجه قلبك عن النظر الى غير الله واغسل يدك عن الامتداد الى غيره وامسح رأسك عن الافتخار بغيره واغسل رجليك عن السعى لغيره واحمد الله على ما الهمك من دينه

باب الخروج

فاذا خرجت من منزلك الى مسجدك فاعلم ان لله تعالى حقوقا عليك يلزمك اداؤها من ذلك السكينة والوقار والاعتبار بخلق الله برّهم وفاجرهم * قال الله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وغُض بصرك عن نظر الغفلة والشهوة وافش السلام مبتدأ ومجيبا واعن من استعانك على الحق وامر بالمعروف وانه عن المنكر ان كنت من اهله وأرشد الضّال

باب دخول المسجد

فاذا بلغت باب المسجد فاعلم انك قصدت بيت ملك عظيم قدره لا يقبل الا الطاهر ولا يصعد اليه الا الخالص ففكر فى نفسك من انت ولمن انت واين انت ومن أى ديوان يخرج اسمك فاذا استصلحت نفسك لخدمته فادخل فلك الاذن والامان والا فقف وقوف مضطر قد انقطعت عنه الحيل وانسدت عنه السبل فاذا علم الله من قلبك الالتجاء اليه اذن لك فتكون انت بلا انت والله يرحم عبده ويكرم ضيفه ويعطى سائله ويبر المعرض عنه فكيف المقبل اليه

باب افتتاح الصلوات

فاذا استقبلت بوجهك القبلة استقبل بقلبك الحق ولا تنبسط فلست من أهل الانبساط * واذكر وقوفك بين يديه يوم العرض الاكبر وقف على قدمى الخوف والرجاء وارفع قلبك عن النظر الى الدنيا والخلق وارسل همتك اليه فانه لا يرد الآبق ولا يخيب السائل * فاذا قلت الله اكبر فاعلم انه لا يحتاج الى خدمتك له وذكرك اياه لان الحاجة من حيلة الفقراء وذلك سمة الخلق والغنى من صفات ذاته وانما وظف على عبيده وظائف ليقربهم بها

الى عفوه ورحمته ويبعدهم بها من سخطه وعقوبته قال الله عز وجل (والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها) وقال عز من قائل (ولكن الله حبّبَ اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم) الآيه واشكر الله اذ جعلك اهلاً للوقوف بين يديه فانه (أهل التقوى وأهل المغفرة) أهل ان يتقيه خلقه فيغفر لمن اتقاه

باب القراءة

قال الله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) (انما سلطانه على الذين يتولونه انه من تولاه فانه يضله) واذكر عهد الله عليك وميثاقه فى وحيه وتنزيله وانظر كيف تقرأ كلامه وكتابه فرتل وتدبر وقف عند وعده ووعيده وامثاله ومواعظه وأمره ونهيه ومحكمه ومتشابهه وانى لاخشى ان تكون اقامتك حدوده غفلة من تضييعك حدوده قال الله عز وجل (فبأى حديث بعده يؤمنون)

باب الركوع

واركع ركوع خاشع لله بقلبه خاضعا بجوارحه واستوف ركوعك وانحط عن همتك فى القيام بامره فانك لاتقدر على

اداء فرضه الا بعونه ولا تبلغ دار رضوانه الا برحمته ولا تستطيع الامتناع من معصيته الا بعصمته ولا تنجو من عذابه الا بعفوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا أن يتغمدني الله برحمته)

باب السجود

واسجد لله سجود عبد متواضع علم انه خلق من تراب يطؤه جميع الخلق وانه رُكب من نطفة يستقذرها كل احد فاذا فكر في اصله وتأمل تركيب جوهره من ماء وطين ازداد لله تواضعا ويقول في نفسه ويحك لم رفعت رأسك من سجودك لم لم تمت بين يديه وقد جعل الله السجود سبب القرب اليه فقال تعالى ﴿ واسجد واقترب ﴾ فمن اقترب منه بعد من كلّ شيء سواه واحفظ صفة سجودك في هذه الاية ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ واستغن بالله عن غيره فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (قال الله تبارك وتعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم منه حب العمل بطاعتي الاتوليت تقويمه وسياسته

باب التشهد

والتشهد ثناء وشكر له وتعرض لمزيد فضله ودوام كرامته فاخرج عن دعواك وكن له عبدا بفعلك كما انت عبد له بقولك فانه خلقك عبدا وامرك أن تكون له عبدا كما خلقك ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ فاستعمل العبودية فى الرضى بحكمه واستعمل العبادة فى النزول تحت امره وصل على حبيبه عقب الثناء عليه فانه وصل محبته بمحبته وطاعته بطاعته ومتابعته بمتابعته فقال تعالى ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ وقال ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ وقال ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله﴾ وامر رسوله بالاستغفار لك فقال تعالى ﴿فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ وامرك بالصلاة عليه فقال تعالى ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا وعامله بالفضل﴾ فقال تعالى ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ ثم أمره بمعاملته بالعدل فقال لغيره ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض﴾ وقال له ﴿فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب﴾

باب السلام

السلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه فى معاملته ومعاشرة خلقه فاذا اردت السلامة فليسلم منك صديقك وارحم من لا يرحم نفسه فان الخلق بين فتن ومحن اما مبتلى بالنعمة ليُظهر شكره وإما مبتلى بالشدة ليُظهر صبره * قال الله تعالى ﴿ فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربّه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن ﴾

كلاّ فالكرامة فى طاعته والهوان فى معصيته

ومن ركب الهوى اهانه الله *

باب الدعاء

واحفظ آداب الدّعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو ولماذا تسأل * والدعاء استجابة الكلّ منك للحق وان لم تأت بشرط الدعاء فلا تشترط الاجابه * قال مالك ابن دينار انتم تستبطؤن المطر وانا استبطئ الحجر ولو لم يأمر الله سبحانه بالدعاء لوجب علينا ان ندعوه ولو لم يشترط لنا الاجابة لكنا اذا أخلصنا له الدعاء تفضل بالاجابة * فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرط الدعاء قال الله تعالى ﴿ قل مايعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم ﴾ وقال تعالى ﴿ ادعونى استجب لكم ﴾ وسئل

أبو يزيد البسطامي عن اسم الله الاعظم فقال فرّغ قلبك من غيره وادعه بأي اسمائه شئت * وقال يحيى بن معاذ اطلب صاحب الاسم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يستجيب الله الدعاء من قلب لاهٍ فاذا اخلصت فابشر باحدى ثلاث ﴾ اما أن يعجل لك ماسئلت واما ان يدخر لك ماهو أعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء مالو صبّه عليك لهلكت وادع دعاء مستجْدٍ لا دعاء مشير * روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (قال الله تبارك وتعالى من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما أعطي السائلين) * وقال ابو الحسين الوراق دعوت الله مرة فاستجاب دعائي فنسيت الحاجة فاحفظ حق الله عز وجل عليك في الدعاء ولا تشتغل بحظك فانه اعلم بمصلحتك

باب الصوم

فاذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات فان الصوم فناء مراد النفس وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح والتنبيه على الاحسان الى الفقراء والالتجاء الى الله والشكر على ما تفضل به من النعم وتخفيف الحساب * ومنة الله في توفيقك للصوم اعظم من أن تقوم بشكرها ومن صومك ان لا تطلب منه عوضا

باب الزكاة

وعن كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله فزكاة القلب التفكر فى عظمته وحكمته وقدرته وحجته ونعمته ورحمته وزكاة العين النظر بالعبرة والغضّ عن الشهوة وزكاة الاذن الاستماع الى مافيه نجاتك وزكاة اللسان النطق بما يقربك اليه وزكاة اليد القبض عن الشر والبسط الى الخير وزكاة الرجل السعى الى مافيه صلاح قلبك وسلامة دينك

باب الحج

والمريد اذا حج يعقد النية خوف الردّ واستمد استمداد من لا يرجو الاياب واحسن الصحبة وتجرد عند الاحرام عن نفسه واغتسل من ذنبه ولبس ثوب الصدق والوفاء ولبّا موافقة للحق فى اجابة دعوته * واحرم فى الحرم من كل شئ يبعده عن الله تعالى وطاف بقلبه حول كرسى كرامته * وصفى ظاهره وباطنه عند الوقوف على الصفا وهرول هربا من هواه ولم يتمن على الله تمنى مالا يحل له واعترف بالخطاء بعرفة وتقرب الى الله بمزدلفة ورمى الشهوات عند رمى الجمرات * وذبح هواه وحلق الذنوب وزار البيت معظّمًا صاحبه واستلم الحجر رضاءً بقضائه وودع مادون الله فى طواف الوداع

باب السلامة

واطلب السلامة فليت من طلبها وجدها فكيف لمن تعرض للبلاء * والسلامة قدعزت فى هذا الزمان وهى فى الخمول فان لم تكن فى الخمول فالعُزلة وليست كالخمول فان لم تكن عزلة فالصَّمت وليس كالعزلة فان لم تكن فى صمت فالكلام بما ينفع ولا يضر وليس كالصمت وان اردت السلامة فلا تنازع الاضداد ولا تنافس الاشكال * كل من قال انافقل انت وكل من قال لى فقل لك والسلامة فى زوال العرف وزوال العرف فى فقد الارادة وفقد الارادة فى ترك دعوى العلم فيما أستأثر الله به من تدبير امرك قال الله تعالى (اليس الله بكاف عبده) وقال (يدبر الامر من السماء الى الارض)

باب العزلة

صاحب العزلة يحتاج الى عشرة اشياء علم الحق والباطل والزهد واختيار الشدة واغتنام الخلوة والسلامة والنظر فى العواقب وان يرى غيره افضل منه ويعزل عن الناس شره ولا يفتر عن العمل فان الفراغ بلاء ولا يعجب بما هو فيه ويخلو بيته من الفضول والفضول مافضل عن يومك لاهل الارادة ومافضل عن وقتك

لأهل المعرفة ويقطع ما يقطعه عن الله تعالى * قال رسول الله صلى عليه وسلم لحذيفة بن اليمان كن حلس بيتك وقال عيسى بن مريم عليه السلام املك لسانك وليسعك بيتك وانزل نفسك منزلة السبع الضاري والنار المحرقة * وقد كان الناس ورقا بلا شوك فصاروا شوكا بلا ورق وكانوا ادواء يستشفى بهم فصاروا داءً لا دواء له * قيل لداود الطائى مالك لا تخالط الناس فقال كيف اخالط من يتبع عيوبى كبيرٌ لا يعرف الحقّ وصغيرٌ لا يُوقر * من استأنس بالله استوحش من غيره * وقال الفضيل ان استطعت ان تكون فى موضع لا تَعْرِف ولا تُعرف فافعل وقال سليمان همى من الدنيا ان البس عباءة واكون بقرية ليس فيها احد يعرفنى ولا غداء لى ولا عشاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأتى زمان المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر وله أجر خمسين منكم)

وفى العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسقوط
حقوق الخلق واغلاق أبواب الدنيا وكسر
سلاح الشيطان وعمارة الظاهر والباطن

باب العبادة

اقبل على اداء الفرائض فان سلم لك فرضك فانت أنت واطلب بالنوافل حفظ الفرائض وكلما ازددت عبادة فازدد شكراً

وخوفا * قال يحيى ابن معاذ عجبت لطالب فضيلة تارك فريضة ومن كان عليه دين فاهدى الى صاحب الدين مثل حقه كان مطالبا بالحق اذا حلّ الاجل * وقال ابو بكر الورّاق ابذل في هذا الزمان أربعة على اربعة الفضائل على الفرائض والظاهر على الباطن والخلق على النفس والكلام على الفعل

باب التفكر

تفكر في قوله عزّ وجلّ (هل أتى على الانسان حين من الدّهر لم يكن شيئاً مذكورا) واذكر كيف احوالك واعتبر بما مضى من الدنيا على ما تراه هل ابقت على احد * وما بقي منها اشبه بما مضى من الماء بالماء * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة) وقيل لنوح عليه السلام (كيف وجدت الدنيا يا أطول الانبياء عمرا قال كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر) والفكرة أبو كلّ خير وهي مرآة تريك الحسنات والسيئات * تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده

(١) قال الشيخ محمد بن علي بن السا كن في كتاب دليل الطالب الى نهاية المطالب قال فالطالب المجتهد اذا اراد لبس الخرقة فالواجب عليه ان يخلع الثوب الذي كان يلبسه في أيام العادة واحسن ما تلبس

---

(١) هذه العبارة وجدت بالاصل هكذا

هذه الطائفة الصوف اذهم منسوبون اليه * قيل ان اوّل من لبس الصوف آدم وحوى عليهما السلام * وكان موسى وعيسى ويحى عليهم السلام يلبسون الصوف * وكان نبينا صلى الله عليه وسلم اشرف الانبياء وكان يلبس عباءة كان مقدار ثمنه خمس دراهم وينبغي ان لا يلبس الصوف الا من صفى من كدر النفس فقد قال الحسن البصري بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلبسوا الصوف الا وقلوبكم نقية فانه من لبس الصوف على دغل وغش قلاه جبار السماء فاذا لبسه وجب ان يقوم بوظائف حروفه * وهي ثلاثة * اما وظيفة الصاد فهي الصدق والصفاء والصيانة والصبر والصلاح * وأما وظيفة الواو فهي الوصلة والوفاء والوجد * وأما وظيفة الفاء فهي الفرح والتفجّع فلو لبس المرقع وجب عليه ان يؤدى حق حروفه * وهي أربعة فحق الميم المعرفة والمجاهدة والمذلة وحق الراء الرّحمة والرّأفة والرّياضة والرّاحة * وحق القاف القناعة والقربة والقوة والقول الصدق * وحق العين العلم والعمل والعشق والعبودية * وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بلبس المرقع حيث قال لعائشة رضى الله عنها ان سرّك اللحوق بي فإياك ومجالسة الموتى ولا تستبدلى ثوبا حتى ترقّعيه انتهى والله اعلم

كتاب

﴿ روضة الطالبين وعمدة السالكين ﴾

تأليف الشيخ الامام حجة الاسلام ﴿ ابى حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالى ﴾
﴿ رضى الله عنه ﴾

(تنبيه)

﴿ طبعت هذه النسخة على أصل قديم ومصحح بخطوط
العلماء يرجع تاريخ كتابته الى نحو سبعمائة سنة ﴾

وصححها العلامة الشيخ محمد بخيت بعد
مقابلتها بنسخة أخرى

الكردى

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة الاوحد حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه *

الحمد لله الذى احرق قلوب أوليائه بنيران محبته واستوفى هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته * ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسيم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة الجلال والهيبة حيرى فلم يروا فى الكونين الا اياه * وان سنحت لابصارهم صور عبرت الى المصور بصائرهم * وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم * وان ورد عليهم صوت مزعج أومقلق أو مطرب اومحزن أومهيج اومشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولاطربهم الا به ولاقلقهم الا عليه ولاحزنهم الا فيه ولاشوقهم الا الى مالديه ولاانبعاثهم الاله ولاترددهم الاحواليه فمنه سماعهم * واليه استماعهم فقداقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم أولئك الذين اصطفاهم لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته * وصلى الله على المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه أئمة الحق وقادته وسلم تسليما

اما بعد فقد الفت هذا الكتاب ليتمسك به طالب الحق ويستعين به على سلوكه إن شاء الله تعالى واستعين فى ذلك بالله تعالى من الخلل والزلل وهو خير ناصر ومعين وإياه اسألُ ان ينفع به انه قريب مجيب ﴿ وسميته روضة الطالبين وعمدة السالكين ﴾ وفيه أبواب ومقدمة وفصول *

﴿ المقدمة ﴾ فى تمهيد الكتاب

اعلم ان انقطاع الخلق عن الحق بوقوفهم مع الخلق ومع انفسهم ورؤيتهم افعالهم وانحرافهم عن العقيدة الصحيحة باختلاف اهويتهم التى نفوس البشر مجبولة عليها وحُبِّ الجاه والمال والدنيا والرياسة والشهرة وطول الامل والتسويف والشح والهوى والعجب وخبث اغذيتهم من المطعم والمشرب والملبس وفساد دنياهم وغلبة الشهوات النفسانية على قلوبهم * وترك مجاهدة

النفس واهمالها ترتع فى شهواتها ورعونتها والتزين للناس والتلبس بالاوصاف المذمومة نحو الغل والحقد والحسد والجهل والحمق والرياء والنفاق وانبعاث الجوارح فى غير طاعة الله تعالى كالعين والسمع واللسان واليد والرجل (كل أولئك كان عنه مسئولا) والكسل والبلاده والغفلة وغير ذلك مما يُبْعِدُ عن الله تعالى

فصل

اعلم أن الوقوف مع الخلق والنفس حجاب عن الحق ورؤية الافعال شرك لان أفعال العباد مضافة الى الله تعالى خلقا وايجادا والى العبد كسبا ليثاب على الطاعة ويعاقب على المعصية فحين تعلق العبد بشىء ما يوجده الاقتدار الالهى يسمى كسبا هذا مذهب أهل السنة فقدرة العبد عند مباشرة العمل لا قبله فحين مايباشر العمل يخلق الله تعالى له اقتدارا عند مباشرته فيسمى كسبا فمن نسب المشيئة والكسب الى نفسه فهو قدرىٌّ * ومن نفاهما عن نفسه فهو جبرى * ومن نسب المشيئة الى الله تعالى والكسب الى العبد فهو سنىٌّ صوفىٌّ رشيد وفيه كلام طويل ليس هذا موضعه سيأتى قريبا ان شاء الله تعالى ﴿ وأما ﴾ الانحراف عن العقيدة الصحيحة فلغلبة

الاهواء على القلوب والتعصب لمذهب أهل البدع ﴿قال﴾ بعض الائمة رُب اقوام تُنْجيهم عقائدهم مع قلة علمهم * ورُب اقوام تهلكهم عقائدهم مع كثرة علمهم * وحُبّ الجاه والمال والدنيا سم قاتل والرياسة والشهرة يورثان الكبر والدخول فى الدنيا وهما فساد الدين ﴿قال﴾ بعضهم ماعملت عملا وأطلع عليه الناس الا أسقطتُه ﴿وأما﴾ طول الامل فانه يمنع من حسن العمل ويَصد عن الحق والتسويف من أعظم جنود الشيطان ﴿وأما﴾ الشح والهوى واعجاب المرء بنفسه فهن من المهلكات ﴿وأما﴾ خبث الغذاء فانه يظلم القلب ويورث القسوة والبعد عن الله تعالى وطيب الغذاء ينور القلب ويورث الرقة والقرب من الله عزوجل قال الله تعالى (ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) والطيبات هى الحلال أطبْ مطعمكَ ومشربكَ وما عليك ان لاتقوم الليلَ ولا تصوم النهار وطيبُ المطعم أصل كبير فى طريق القوم ولو قام العبد قيام السارية لم ينفعه ذلك حتى يعلم مايدخل جوفه * وأسرع الناس جوازاً على الصراط أكثرهم ورعا فى الدنيا ويقول الله عزوجل عبدى تجوّع ترانى تورّعْ تعرفنى تجرّد تصل الىّ (قال الله تعالى وأما الورعون فاستحيي ان أحاسبهم) (قال) بعض السادة من الاكابر عليك بالعلم والجوع والذل والصمت

فان العلم نور يُستضاء به والجوع حكمة (قال) أبو يزيد ما جعت لله يوما الا وجدت فى قلبى بابا من الحكمة لم أجده قبل والخمول راحة وسلامة والصوم صفة صمدانية ما مثلها شىء لقوله تعالى ليس كمثله شىء فمن تلبس بها أورث العلم والمعرفة والمشاهدة ولذلك قال تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا الذى اجزى به ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك والاشتغال بالدنيا وغلبة الشهوات على القلب يورث جميع الاوصاف المذمومة فلا طمع فى القرب مالم تبدل الاوصاف المذمومة بالمحمودة ﴿قال﴾ بعضهم مادام العبد ملوثا بالغير لا يصلح للقرب والمجالسة حتى يطهر قلبه من السوى * قال عثمان رضى الله عنه لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن لانها بالطهارة ترقى الى مشاهدة المتكلم دون غيره

فصل

اعلم أن ماسوى الحق حجاب عنه ولولا ظلمة الكون لظهر نور الغيب * ولولا فتنة النفس لارتفعت الحجب * ولولا العوائق لانكشفت الحقائق ولولا العلل لبرزت القدرة * ولولا الطمع لرسخت المحبة * ولولا حظ باق لاحرق الارواح الاشتياق ولولا البعد لشوهد الرب فاذا انكشف الحجاب

تجسم هذه الاسباب وارتفعت العوائق بقطع هذه العلائق

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه

ولاح صباح كنت انت ظلامه

فانت حجاب القلب عن سر غيبه

ولولاك لم يطبع عليك ختامُه

فان غبت عنه حل فيه وطنبت

على منكب الكشف المصون خيامه

وجاء حديث لايملّ سماعه

شهيٌّ الينا نثره ونظامه

قال بعضهم اذا أراد الله بعبد سوأ سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل (جاءَ رَجلٌ الى معاذ فقال اخبرنى عن رجلين أحدهما يجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك (قال) معاذ ليحبطنّ شكهُ اعماله (قال) وأخبرنى عن رجل قليل العمل الا انه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت

(فقال) والله لئن احبط شك الاول أعمال برّه

ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذه

معاذ بيده (وقال) ما رأيت

الذى هو افقه من هذا

فصل

قال أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه مكثت ثنتى عشرة سنة حَدّادنفسى وخمس سنين كنت اجلو مرآة قلبي وسنة انظر فيما بينهما فاذا في وسطي زُنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف اقطعه فكشف لى فرأيت الخلق موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات ﴿ ومعنى ﴾ هذا الكلام والله اعلم انه عمل في مجاهدة نفسه وازالة اَدْغالها وخُبثها وما حُشِيَتْ به من العجب والكبر والحرص والحقد والحسد وماشابه ذلك مما هو من مألوفات النفس فعمد الى ازالة ذلك بأن ادخل نفسه كير التخويف ثم طرقها بمطارق الامر والنهي حتى اجهده ذلك فظن انها قد تصفت ثم نظر في مرآة اخلاص قلبه فاذا بقايا من الشرك الخفي وهو الرياء والنظر الى الاعمال وملاحظة الثواب والعقاب والتشوف الى الكرامات والمواهب وهذا شرك في الاخلاص عند أهل الاختصاص وهو الزنار الذى أشار اليه فعمل في قطعه يعنى قطع نفسه وفطمها عن العلائق والعوائق والاعراض عن الخلائق حتى امات من نفسه ما كان حيا واحيا من قلبه ما كان ميتا حتى ثبت قدمه في شهود القدم وانزل ماسواه منزلة العدم فعند ذلك كبر على الخلق أربع تكبيرات وانصرف الى الحق * ومعنى قوله كبرت على

الخلق أربع تكبيرات لان الميت يكبر عليه اربع تكبيرات ولان حجاب الخلق عن الحق أربع النفس والهوى والشيطان والدنيا فمات نفسه وهواه ورفض شيطانه ودنياه فلذلك كبر على كل واحدة ممن فى عنه تكبيرة لانه هو الاكبر وماسواه اذل واصغر * ثم ﴿ اعلم ﴾ انك لا تصل الى منازل القربات حتى تقطع ست عقبات ﴿ العقبة الاولى ﴾

فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية ﴿ العقبة الثانية ﴾

فطم النفس عن المألوفات العادية ﴿ العقبة الثالثة ﴾

فطم القلب عن الرعونات البشرية ﴿ العقبة الرابعة ﴾

فطم السر عن الكدورات الطبيعية ﴿ العقبة الخامسة ﴾

فطم الروح عن البخارات الحسية ﴿ العقبة السادسة ﴾

فطم العقل عن الخيالات الوهمية ﴿ فتشرف من العقبة ﴾

الاولى على ينابيع الحكم القلبية * وتطلع من العقبة الثانية على اسرار العلوم اللدنية وتلوح لك من العقبة الثالثة أعلام المناجات الملكوتية * وتلمع لك فى العقبة الرابعة انوار المنازلات القربية وتطلع لك فى الخامسة اقمار المشاهدات الحبية وتهبط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية فهنا لك تغيب بما تشاهده من اللطائف الانسية عن الكثائف الحسية فاذا ارادك بخصوصيته الاصطفائية سقاك بكاس محبته شربة فتزداد بذلك الشرب ظمأ

وبالذوق شوقا وبالقرب طلبا وبالسكون قَلَقاً فاذا تمكن منك هذا السكر ادهشك فاذا ادهشك حيرك فانت هاهنا مريد فاذا دام لك تحيرك اخذك منك وسلبك عنك فتبقى مسلوبا مجذوبا فانت حينئذ مراد فاذا فَنيتْ ذاتك وذهبت صفاتك وفنيت ببقائه عن فنائك وخلع عليك خلعة ﴿ فبي يسمع وبي يبصر ﴾ فيكون هو متوليك وواليك فان نطقت فباذكاره وان نظرت فبأنواره وان تحركت فباقداره وان بطشت فباقتداره فهنالك تذهب الاثنينية واستحالت البينية فان رسخ قدمك وتمكن سرك حال سكرك قلت هو وان غلب عليك وجدُك وتجاوز بك حدك عن حد الثبوت قلت أنت فانت فى الاول متمكن وفى الثانى متلون *

ومن هنا اشكل على الافهام حل رمز هذا الكلام

الباب الاول

فى بيانَ اركان الدين اعلم ان كلمتى الشهادة على ايجازهما يتضمنان اثبات ذات الاله سبحانه واثبات صفاته واثبات افعاله

واثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبناء الايمان على هذه الاركان الاربعة ﴿ الركن الاول ﴾ فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول * وهى العلم بوجود الله تعالى ، وقدمه وبقائه ، وانه ليس بجوهر ولا جسم ، ولا عرض ، وانه ليس بمختص بجهة ، ولا مستقر على مكان ، وانه يُرى وانه واحد ﴿ الركن الثانى ﴾ فى معرفة صفات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة أصول ، وهى العلم بكونه تعالى حيا ، عالما ، قادرا ، مريدا ، سميعا بصيرا ، متكلما * صادقا فى اخباره منزها عن حلول الحوادث ، وانه قديم الصفات ﴿ الركن الثالث ﴾ فى معرفة افعال الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة أصول ، وهى ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى ومرادة له وانها مكتسبة لهم ، وانه متفضل بالخلق ، وان له تكليف مالا يطاق ، وله ايلام البرىء ولا يجب عليه رعاية الاصلح ، وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء صلى الله عليهم وسلم جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات ﴿ الركن الرابع ﴾ فى السمعيات ومداره على عشرة أصول وهى الحشر والنشر ، وعذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، والميزان ، والصراط ، وخلق الجنة والنار ، واحكام الامامة

الباب الثانى

فى بيان الادب * روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ادبنى ربى فاحسن تأديبى والادب تأديب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا اديبا ومن الزم نفسه اداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم فى أوامره وافعاله واخلاقه والتأدب بآدابه قولا وفعلا وعقداً ونية * والانصاف فيما بين الله تعالى وبين العبد فى ثلاثة فى الاستعانة والجهد والادب فمن العبد الاستعانة ومن الله الاعانة على التوبة ومن العبد الجهد ومن الله التوفيق ومن العبد الادب ومن الله الكرامة ومن تأدب باداب الصالحين فانه يصلح لبساط الكرامة وبآداب الاولياء لبساط القربة وبآداب الصديقين لبساط المشاهدة وبآداب الانبياء لبساط الانس والانبساط ومن حُرِمَ الادب حرم جوامع الخيرات ومن لم تريضه أوامر المشائخ وتأديباتهم فانه لا يتأدب بكتاب ولا سنة ومن لم يقم بآداب أهل البداية كيف يستقيم له دعوى مقامات أهل النهاية من لم يعرف الله عزّ وجلّ لم يُقبل عليه ومن لم يتأدب بامره ونهيه كان عن الادب فى عزلة وآداب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها برؤية مجريها العبد يصل بطاعته الى الجنة

وباد به الى الله تعالى والتوحيد موجب يوجب الايمان فمن لا ايمان له لاتوحيد له والايمان موجب يوجب الشريعة فمن لاشريعة له لاايمان له ولاتوحيد له والشريعة موجب يوجب الادب فمن لا ادب له فلاشريعة له ولا ايمان له ولا توحيد له وترك الادب موجب يوجب الطرد فمن اساء الادب على البساط رُد الى الباب ومن اساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب وانفع الآدب التفقه فى الدين والزهد فى الدنيا والمعرفة بما لله عليك واذا ترك العارف ادبه مع معروفه فقد هلك مع الهالكين ﴿وقيل﴾ ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب وحسن الادب وكف الاذى واهل الدين أكثر آدابهم فى تهذيب النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات واهل الخصوصية أكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر وحسن الادب فى مواقف الطلب وادمان الحضور ومن قهر نفسه بالادب فهو الذى يعبد الله بالاخلاص * وقيل هو معرفة اليقين * وقيل يقول الحق سبحانه من الزمته القيام مع اسمائى وصفاتى الزمته الادب ومن اراد الكشف عن حقيقة ذاتى الزمته العطبَ فاختر ايهما شئت الادب أو العطب ومن لم يتأدب للوقت فوقته مقت واذا خرج المريد عن استعمال الادب فانه يرجع من

حيث جاء ﴿ وحكى ﴾ عن ابى عبيد القسم ابن سلام قال دخلت مكة فربما كنت اقعد بحذاء الكعبة وربما كنت استلقى وأمد رجلى فجاءتنى عائشة المكية فقالت لى يا أباعبيد يقال انك من أهل العلم اقبل منى كلمة لاتجالسه الا بالادب والا فيمحى اسمك من ديوان اهل القرب ﴿قال أبو عبيد﴾ وكانت من العارفات وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء أحد الادب فى ظاهرٍ الا عوقب ظاهراً وما اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطناً فالادب استخراج مافى القوة والخلق الى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار فى الزناد اذهو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمى فهكذا الاداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية ولمّا هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا الكاملة فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة الى استخراج مافى النفوس مركوز بخلق الله الى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين

فصل

فى آداب أهل الحضرة الالهية لاهل القرب * كل الاداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مجمع الاداب ظاهراً وباطناً وأخبر الله سبحانه عن حسن أدبه فى الحضرة

بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى * وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر الله عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال اعرض عما سوى الله وتوجه الى الله وترك وراء ظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها ولا لحقه الاسف على الفائت فى اعراضه قال الله تعالى ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ﴾ فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر اخبار عن حال النبى صلى الله عليه وسلم بوصف خاص من معنى ماخاطب به العموم فكان مازاغ البصر حاله فى طرف الاعراض * وفى طرف الاقبال تلقى ماورد عليه فى مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فر من الله حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه فى مطاوى انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى ﴿ كلا إن الانسان ليطغى ان رآه استغنى ﴾ والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع * ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط فى البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فموسى عليه السلام صح له فى الحضرة أحد الطرفين مازاغ بصره * وما التفت الى مافاته متأسفا لحسن أدبه ولكن امتلأ من المنح

واسترقت النفس السمع وتطلعت الى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل اليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرني انظر اليك فمنع ولم يطق صبرا وثباتا فى فضاء المزيد وظهر الفرق من الحبيب والكليم عليهما الصلاة والسلام وقال سهل بن عبد الله التسترى لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاهد نفسه ولا الى مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه * يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المحل * وهذا الكلام لمن اعتبره موافق لما شرحناه برمز فى ذلك من كلام سهل بن عبد الله والله اعلم

الباب الثالث

فى بيان معنى السلوك والتصوف ﴿ اعلم ﴾ أن السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف * وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن * والعبد فى جميع ذلك مشغول عن ربه الا انه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول والذى يفسد على السالك سلوكه شيآن اتباع الرخص بالتأويلات والاقتداء باهل الغلط من متبعى الشهوات ومن ضيع حكم وقته فهو جاهل ومن قصر فيه فهو غافل ومن أهمله فهو عاجز * لا تصح ارادة المريد حتى

يكون الله ورسوله وسواس قلبه ويكون نهاره صائما ولسانه صامتا لان كثرة الطعام والكلام والنام تقصى القلب وظهره راكعا وجبهته ساجدة وعينه دامعة وغاصة * وقلبه حزينا ولسانه ذاكرا * ﴿وبالجملة﴾ قد شغل كل عضو فيه ومعنى فيه بوظيفة ندبه الله ورسوله اليها وترك ما كره الله ورسوله له * وللورع معانقا ولاهوائه تاركا مطلقا ورائيا جميع ما وفقه الله تعالى له من فضل الله عليه ويجتهد أن يكون ذلك كله احتسابا لا ثوابا وعبادة لا عادة لانه من لاحظ المعمول له اشتغل به عن رؤية الاعمال ونفسه تاركة للشهوات فصحة الارادة ترك الاختيار والسكون الى مجارى الاقدار كما قيل ،

أريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد

وافن عن الخلق بحكم الله وعن هواك بامر الله وعن ارادتك بفعل الله فحينئذ تصلح ان تكون وعاء لعلم الله فعلامة فنائك عن الخلق انقطاعك عنهم وعن التردد اليهم والاياس عما فى أيديهم وعلامة فنائك عنك وعن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب فى جلب النفع ودفع الضر فلا تتحرك فيك بك ولا تعتمد عليك لك ولا تذب عنك ولا تضر نفسك لكن تكل ذلك كله الى من تولاه اولا ليتولاه آخرا كما كان ذلك موكلا اليه فى حال كونك مغيبا فى الرحم وكونك رضيعا

فى مهدك وعلامة فنائك عن ارادتك بفعل الله ان لاتريد مراداً قط لانك لاتريد مع ارادة الله سواها بل يجرى فعله فيك فتكون أنت ارادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان مشروح الصدر منور الوجه عامر الباطن تقلبك القدرة ويدعوك لسان الازل ويعلمك رب الملك ويكسوك من نور الحلل وينزلك منازل من سلف من أولى العلم

فصل

على السالك ان يلزم العزلة ليستظهر بها على اعدائه * وهى نوعان فريضة وفضيلة فالفريضة العزلة عن الشر وأهله والفضيلة العزلة عن الفضول واهله ﴿وقيل﴾ الخلوة غير العزلة والخلوة من الاغيار والعزلة من النفس وما تدعو اليه وتشغل عن الله ﴿وقيل﴾ السلامة عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت وواحدة فى العزلة ﴿وقيل﴾ الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت عما لايعنى والعاشرة فى العزلة عن الناس * كثير من ندم على الكلام وقل من ندم على السكوت ﴿وقيل﴾ الخلوة اصل والخلطة عارض فيلزم الاصل ولا يخالط الا بقدر الحاجة واذا خالط يلازم الصمت فانه أصل * واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد فاين ذاك الواحد * ﴿وقيل﴾ الخلوة بالقلب فيكون

مستغرقا بكليته مع الحق تعالى معكوفا قلبه عليه مشغوفا به والها اليه متحققا كأنه بين يديه ﴿ قيل ﴾ أول مبادى السالك أن يكثر الذكر بقلبه ولسانه بقوة حتى يسرى الذكر فى اعضائه وعروقه وينتقل الذكر الى قلبه فحينئذ يسكت لسانه ويبقى قلبه ذاكرا يقول (الله الله) باطنا مع عدم رؤيته لذكره ثم يسكن قلبه ويبقى ملاحظا لمطلوبه مستغرقا به معكوفا عليه مشغوفا اليه مشاهدا له * ثم يغيب عن نفسه بمشاهدته * ثم يفنى عن كليته بكليته حتى كأنه فى حضرة ﴿ قل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ فحينئذ يتجلى الحق على قلبه فيضطرب عند ذلك ويندهش ويغلب عليه السكر وحالة الحضور والاجلال والتعظيم فلا يبقى فيه متسع لغير مطلوبه الاعظم ﴿ كما قيل ﴾ فلا حاجة لاهل الحضور الى غير شهود عيانه ﴿ وقيل ﴾ فى قوله تعالى (وشاهد ومشهود) فالشاهد هو الله والمشهود هو عكس جمال الحضرة الصمدية فهو الشاهد والمشهود

فصل

ياحبيبى اطبق جفنيك وانظر ماذا ترى * فان قلت لا أرى شيأ حينئذ فهو خطأ منك بل تبصر * ولكن ظلام الوجود لفرط قربه من بصيرتك لا تجده فان احببت أن تجده وتبصره قدامك

مع انك مطبق جفنيك فانقص من وجودك شيأ أو ابعد من وجودك شيأ وطريق تنقيصه والابعاد منه قليلا المجاهدة ومعنى المجاهدة بذل الجهد فى دفع الاغيار أوقتل الاغيار والاغيار الوجود والنفس والشيطان * وبذل الجهد مضبوط بطرق ﴿ الاول ﴾ تقليل الغذاء بالتدريج فان مدد لوجود والنفس والشيطان من الغذاءفاذا قل الغذاء قل سلطانه ﴿ والثانى ﴾ ترك الاختيار وافنائه فى اختيار شيخ مأمون ايختار لهمايصلحه فانه مثل الطفل والصبى الذى لم يبلغ مبلغ الرجال أوالسفيه المبذر وكل هؤلاء لابدلهم من وصى أو ولى أوقاض اوسلطان يتولى أمرهم ﴿ والثالث ﴾ من الطرق طريقة الجنيد قدس الله روحه وهوثمان شرائط * دوام الوضوء ودوام الصوم ودوام السكوت ودوام الخلوة ودوام الذكر وهو قول (لا إله إلا الله)ودوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه بفناء تصرفه فى تصرف الشيخ ودوام نفى الخواطر ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى فى كلما يرد منه عليه ضرا كان أونفعا وترك السؤال عنه من جنة أوتعوذ من نار ﴿ والفرق ﴾ بين الوجود والنفس والشيطان فى مقام المشاهدة أن الوجود شديد الظلمة فى الاول فاذا صفا قليلا تشكل قدامك بشكل الغيم الاسود فاذا كان عرش الشيطان كان احمر فاذا صلح وفنى

الحظوظ منه وبقى الحقوق صفا وابيض مثل المزن والنفس اذا بدت فلونها لون السماء وهى الزرقة ولها نبعان كنبعان الماء من أصل الينبوع فاذا كانت عرش الشيطان فكانها عين من ظلمة ونار ويكون نباعها اقل فان الشيطان لا خير فيه وفيضان النفس على الوجود وتربيته منها فان صفت وزكت افاضت عليه الخير ونبت منه فان افاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه الشر والشيطان نار غير صافية ممتزجة بظلمات الكفر فى هيئة عظيمة وقد يتشكل قدامك كأنه زنجى طويل ذو هيبة يسعى كأنه يطلب الدخول فيك فاذا طلبت منه الانفكاك فقل فى قلبك ياغياث المستغيثين اغثنا فانه يفرعنك

فصل

فى التصوف ﴿ حكم الصوفى أن يكون الفقر زينته والصبر حليته والرضى مطيته والتوكل شأنه ﴿ والله عزّ وجلّ وحده حسبه يستعمل جوارحه فى الطاعات وقطع الشهوات والزهد فى الدنيا والتورع عن جميع حظوظ النفس وان لا يكون له رغبة فى الدنيا ألبتة فان كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته ويكون صافى القلب من الدنس وهاً بحب ربه فارا الى الله تعالى بسره يأوى اليه كل شىء ويأنس به وهو لا يأوى الى شىء أى لا يركن

الى شيء ولا يأنس بشيء سوى معبوده آخذا بالاولى والاهم والاحوط فى دينه مؤثرا الله على كل شيء ﴿التصوف﴾ طرح النفس فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية ﴿وقيل﴾ كتمان الفاقات ومدافعة الآفات ﴿وقال سهل بن عبد الله الصوفى﴾ من صفا من الكدر وامتلا من الفكر واستوى عنده الذهب والمدر ﴿وقيل﴾ التصوف تصفية القلب عن مرافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشريعة ﴿وقيل﴾ الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الاوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ومعينه على هذه دوام افتقاره الى مولاه * فبدوام الافتقار يتفطن للكدر كلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها الى ربه فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى ﴿كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ وهذه لله على النفس وهو تحقق بالتصوف

فصل

اصول التصوف أكل الحلال والاقتدا برسول الله صلى الله

عليه وسلم فى اخلاقه وافعاله وأوامره وسنته ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر لان علمنا مضبوط بالكتاب والسنة أخذ هذا المذهب بالورع والتقوى لا بالدعاوى

﴿التصوف﴾ أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على الطلب والموهبة تبلغ غاية الامل

﴿وأهله﴾ على ثلاث طبقات مريد طالب ومتوسط سائر ومنتهى واصل * فالمريد صاحب وقته والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب يقين * وافضل الاشياء عندهم عد الانفاس فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ وما على النفس فيه تبعة * ومقام المتوسط ركوب الاهوال فى طلب المراد ومراعاة الصدق واستعمال الادب فى المقامات وهو مطالب بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لانه ينتقل من حال الى حال وهو الزيادة * ومقام المنتهى الصحو والثبات واجابة الحق من حيث دعاه قد تجاوز المقامات * وهو فى محل التمكين لا تغيره الاهوال ولا تؤثر فيه الاحوال * قد استوى فى حال الشدة أو الرخاء والمنع والعطاء والجفاء والوفاء * اكله كجوعه ونومه كسهره * قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه * ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق كل ذلك من احوال النبى صلى الله عليه وسلم * المنتهى لو نصب له سنان فى اعلى شاهق فى الارض وهبت له الرياح الثمانية ماحركت

منه شعرة واحدة ﴿وقيل﴾ سموا صوفية لانهم وقفوا فى الصف الاول بين يدى الله عزّ وجلّ بارتفاع هممهم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بين يديه بسرائرهم *

فصل

فى الملامتية * حكم الملامتى ان لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو أن الملامتى تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب ان يطلع احد على حاله واعماله * والملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم الاحوال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت اعمالهم واحوالهم لاحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته * فالملامتى عظم موقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتمدا به * والصوفى غاب فى اخلاصه ﴿قال﴾ ابو يعقوب السوسى متى شهدوا فى اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم الى اخلاص ﴿قال﴾ بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق والملامتى يرى الخلق فيخفى عمله وحاله ﴿قال﴾ جعفر الخلدى سألت أبا القاسم الجنيد قلت بين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق اصل وهو الاول والاخلاص فرع وهو تابع ﴿وقال﴾ بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون الا بعد الدخول فى العمل * ثم قال انما هو

اخلاص ومخالصة الاخلاص ومخالصته كائنة فى المخالصة فعلى
هذا الاخلاص حال الملامتى ومخالصة الاخلاص حال الصوفى
والخالصة الكائنة فى المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء
العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه
وهو الاستغراق فى العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار
وهو فقد حال الصوفى * والملامتى مقيم فى اوطان اخلاصه غير
متطلع الى حقيقة اخلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتى والصوفى
فالملامتى وان كان متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشا بساط
الصدق ولكن عليه بقية رؤية الخلق وما احسنها من بقية تحقق
الاخلاص والصدق والصوفى صفا من هذه البقية فى طرفى العمل
والترك للخلق وعزلهم بالكلية وراءهم بعين الفناء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد وعاين سر ﴿كل شىء هالك الا وجهه﴾ كما
قال بعضهم فى بعض غلباته ليس فى الدارين غير الله وقد يكون
اخفاء الملامتى الحال على وجهين احد الوجهين لتحقيق الاخلاص
والصدق والوجه الآخر وهو الاتم استر الحال عن غيره غيرة على
غيره دفانه من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ فى صدق
المحبة ان يكره اطلاع احد على حبه لمحبوبه وهذا وان علا ففى
طريق الصوفى علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتى على المتصوف
ويتأخر عن الصوفى ﴿وقيل﴾ من أصول أهل الملامة ان الذكر

على أربعة أقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة * واذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء * واذا غفل القلب عن الذكر اقبل اللسان على الذكر * وذلك ذكر العادة *

ولكل واحد من هذه الاذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه وطلب ثواب أوظن أنه يصل الى شيء من المقامات به *

وأقل الناس قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك * وسر هذا الاصل الذى بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر أثر الصفات * وذكر النفس متعرض للعلات ففى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون الى التحقيق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة فى ذلك الوقت ذكر الصفات وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعى وجودا أو بقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب

وذكر القرب الذى هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد مالا به
اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال برؤية
العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة
واطلاع النفس نظرا الى الاغراض اعتداد
بوجود العمل وذلك عين الاعتلال حقيقة
وهذه اقسام هذه الطائفة وبعضها
اعلى من بعض والله اعلم

الباب الرابع

فى بيان معنى الوصول والوصال ﴿ اعلم ﴾ ان الوصول هو ان ينكشف للعبد حلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر الى همته فلا همة له سوا فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهما ولا يلتفت فى ذلك الى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة أو باطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهى البداية ٭ وأما النهاية أن ينسلخ من نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول فافهم جدا ٭ ومعنى الوصال هو الرؤية والمشاهدة بسر القلب فى الدنيا وبعين الرأس فى الآخرة فليس معنى الوصال اتصال الذات بالذات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ٭ قال بعضهم

وان طرفى موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواى مثواه

اعلم أن مبانى طريق الصوفية على أربعة أشياء * وهى اجتهاد وسلوك وسير وطير فالاجتهاد التحقق بحقائق الاسلام والسلوك التحقق بحقائق الايمان والسير التحقق بحقائق الاحسان والطير الجذبة بطريق الجود والاحسان الى معرفة الملك المنان فمنزلة الاجتهاد من السلوك منزلة الاستنجاء من الوضوء فمن لا استنجاء له لا وضوء له فكذا من لا اجتهاد له لا سلوك له * ومنزلة السلوك من السير منزلة الوضوء من الصلاة * فمن لا وضوء له لا صلاة له فكذا من لا سلوك له لا سير له * وبعده الطير وهو الوصول والله تعالى اعلم فهذه طريق السالكين ومنازل السائرين * وبعد ذلك طريق الوصول ومنازل الواصلين وهو الطير والله أعلم

فصل

فى الاتصال ﴿ قال ﴾ الثورى الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الاسرار فى مقام الذهول ﴿ اعلم ﴾ ان الاتصال والمواصلة فيما أشار اليه الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجد فهو رتبة من الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة فى التجلى فيفنى فعله وفعل غيره اوقوفه مع الله تعالى ويخرج فى هذه الحالة من التدبير

والاختيار * وهذه رتبة فى الوصول * ومنهم من يوقف فى مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلى بطريق الصفات وهو رتبة فى الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مستملياً على باطنه انوار اليقين والمشاهدة مغيبا فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين وهذه رتبة فى الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه * وهذا من أعلى رتب الوصول واذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه بعد فى أول المنزل فاين الوصول

هيهات منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الاباد فى

عمر الاخرة الابدى فكيف فى العمر القصير

الدنيوى * والله اعلم

الباب الخامس

فى بيان معنى التوحيد والمعرفة ويضاف اليهما البصيرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة والحياة واليقين والالهام والفراسة لانها من مواريثهما ﴿أما التوحيد﴾ فهو افراد القدم عن الحدث والاعراض عن الحادث والاقبال على القديم حتى لا يشهد

نفسه فضلا عن غيره لانه لو شاهد نفسه فى حال توحيد الحق
تعالى أوغيره لكان مثنيا لاموحدا ذاته القديمة بوصف
الوحدانية موصوفة وبنعت الفردانية منعوتة وصفات المحدثات
من المشاكلة والمماثلة والاتصال والانفصال والمقارنة والمجاورة
والمخالطة والحلول والخروج والدخول والتغيير والزوال
والتبدل والانتقال من قدس ذاته ونزاهة صفاته مسلوبة
ولا ينسب نقصان الى كمال جماله وكمال جمال احديته مبرا عن وصمة
ملاحظة الافكار وجلال صمديته معرى عن مزاحمة ملابسة
الاذكار ضاقت عبارات المبارزين فى ميدان الفصاحة عن وصف
كبريائه وعجز بيان السابقين فى عرصة المعرفة عن تعريف ذاته
تعالى وتعالى ادراكه عن مناولة الحواس ومحاولة القياس وليس
لاصحاب البصائر فى أشعة انوار عظمته سبيل التعامى والتغاشى *
ان قلت اين فالمكان خلقه وان قلت متى فالزمان ايجاده وان قلت
كيف فالمشابهة والكيف مفعوله وان قلت كم فالمقدار
والكمية مجعوله الازل والابد مندرج تحت احاطته والكون
والمكان منطو فى بساطه كل مايسع فى العقل والفهم والحواس
والقياس ذات الله تعالى مقدسة عنه اذ كل ذلك محدث
والمحدث لايدرك الا المحدث دليل وجوده وبرهان شهوده شهوده
الادراك فى هذا المقام عجز والعجز عن درك الادراك ادراك

لا يصل بكنه ادراك الواحد الا الواحد وكل ما انتهى ادراك الموحد اليه فهو غاية ادراكه لا غاية الواحد تعالى عن ذلك علوا كبيرا * وكل من ادعى ان معرفة الواحد منحصرة فى معرفته فهو بالحقيقة ممكور ومغرور ﴿ وقوله ﴾ تعالى وغركم بالله الغرور اشارة الى هذا الغرور *

فصل

التوحيد فى البداية نفى التفرقة والوقوف على الجمع * واما فى النهايه فيمكن ان يكون الموحد حال التفرقة مستغرقا فى عين الجمع وفى عين الجمع بعين الجمع ناظراً الى التفرقة بحيث كل واحد من الجمع والتفرقة لا يمنع من الآخر * وهذا هو كمال التوحيد وذلك ان يصير حال التوحيد وصفا لازما لذات الموحد و تتلاشى وتضمحل ظلمة رسوم وجوده فى غلبة اشراق انوار توحيده ونور علم توحيده يستتر ويندرج فى نور حاله على مثال اندراج الكواكب فى نور الشمس * فلما استبان الصبح ادرج ضوءه باسفاره اضواء نور الكواكب * وفى هذا المقام يستغرق وجود وجود الموحد فى مشاهدة جمال الواحد فى عين الجمع بحيث لا يشاهد غير ذات الواحد تعالى وغير صفاته عزّ وجلّ واستلبه امواج بحر التوحيد وغرق فى عين الجمع من هنا ﴿ قال ﴾ الجنيد قدس

الله روحه التوحيد معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل ﴿ وقيل ﴾ من وقع فى بحار التوحيد لايزداد على ممر الزمان الا عطشا *

فصل

فى بيان أنواع التوحيد اعلم أن اثبات التوحيد خمسة أشياء فى اصول التوحيد لابد لكل مكلف من اعتقادهن ﴿ أحدها ﴾ وجود البارى تعالى ليبرأ به من التعطيل ﴿ ثانيها ﴾ وحدانيته تعالى ليبرأ به من الشرك ﴿ وثالثها ﴾ تنزيهه تعالى عن كونه جوهرا أو عرضا وعن لوازم كل منهما ليبرأ به من التشبيه ﴿ ورابعها ﴾ ابداعه تعالى بقدرته واختياره لكل ماسواه ليبرأ به عن القول بالعلة والمعلول ﴿ وخامسها ﴾ تدبيره تعالى لجميع مبتدعاته ليبرأ به عن تدبير الطبايع والكواكب والملائكة ﴿ وقول ﴾ لا إله الا الله يدل على الخمسة *

فصل

اتفق المسلمون على أن الله تعالى موصوف بكل كمال برىء من كل نقصان لكنهم اختلفوا فى بعض الاوصاف فاعتقد بعضهم انها كمال فاثبتها له واعتقد آخرون انها نقصان فنفوها عنه * ولذلك

امثلة ﴿ احدها ﴾ قول المعتزلة ان الانسان خالق لافعاله لان الله لو خلقها ثم نسبها اليه ولانه لو فعلها مع انه لم يفعلها وعذبه عليها مع انه لم يوجدها لكان ظالما له والظلم نقصان وكيف يصح ان يفعل شيئا ثم يلوم غيره عليه ويقول له كيف فعلته ولم فعلته وأهل السنة يقولون وجدنا كمال الإله فى التفرد ونفى القدرة عيب ونقصان وليس تعذيب الرّب على ماخلقه بظلم بدليل تعذيب البهائم والمجانين والاطفال لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء لا يسأل عما يفعل * والقول بالتحسين والتقبيح باطل فرأوا ان يكون هو الخالق لافعال العباد ورأوا تعذيبهم على مالا يخلقون جائزا من أفعاله غير قبيح ﴿ المثال الثانى ﴾ اختلاف المجسمة مع المنزهة * قالت المجسمة لو لم يكن جسما لكان معدوما ولا عيب اقبح من العدم * وكذا النفى عن الجهات قول بعدمه لان من لا جهة له لا يتصور وجوده ﴿ وقالت المنزهة ﴾ لو كان جسما لكان حادثا وافاته كمال الازليه والنفى عن الجهات كلها انما يوجب عدم من كان محدودا منحصرا فى الجهات * فاما ما كان موجودا قديما لم يزل ولا جهة فلا ينصرف اليه النفى ﴿ المثال الثالث ﴾ ايجاب المعتزلى على الله ان يثيب الطائعين كيلا يظلمهم والظلم نقصان وقول الاشعرى ليس ذلك بظلم اذ لا يجب عليه حق لغيره اذ لو وجب عليه حق غيره لكان فى قيده والتقييد بالاغيار

نقصان ﴿ المثال الرابع ﴾ قول المعتزلة ان الله تعالى يريد الطاعات وان لم تقع لان ارادتها كمال ويكره المعاصي وان وقعت لان ارادتها نقصان ﴿ وقول ﴾ الاشعري لو اراد مالا يقع لكان ذلك نقصا في ارادته لـكلالها عن النفوذ فيما تعلقت به ولو كره المعاصي مع وقوعها لـكان ذلك كلالا في كراهته * وكذلك نقصان ﴿ المثال الخامس ﴾ ايجاب المعتزلي على الله تعالى رعاية الاصلح لعباده لما في تركه من النقصان ﴿وقول﴾ الاشعري لا يلزمه ذلك لان الالزام نقصان وكمال الإله ان لا يكون في قيد المتالهين وبالله التوفيق *

فصل

اعلم ان من نسب المشيئة والـكسب الى نفسه فهو قدري ومن نفاهما عن نفسه فهو جبري * ومن نسب المشيئة الى الله تعالى والـكسب الى العبد فهو سني صوفي رشيد فقدرة العبد وحركته خلق للرب تعالى وهما وصف للعبد وكسب له والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء هو الخلق والفرق بين القضاء والقدر هو أن القدر أعم والقضاء اخص فتدبير الاوليات قدر وسوق تلك الاقدار بمقاديرها وهياتها الى مقتضياتها هو القضاء * فالقدر اذا تقدير الامر بدأ والقضاء فصله وقطع ذلك الامر كما يقال قضى القاضي *

فصل

اعلم ان أهل الاهواء المختلفة ستة فرق وكل اثنين منها ضدان وهي التشبيه والتعطيل والجبر والقدر والرفض والنصب وكل واحدة منها تفترق الى اثني عشر فرقة فالتشبيه والتعطيل ضدان والجبر والقدر ضدان والرفض والنصب ضدان وكل من هؤلاء منحرفون عن الصراط المستقيم والفرقة الناجية الوسط وهم أهل السنة والجماعة ﴿فاما﴾ الفرقة المشبهة فانهم بالغوا وغلوا في اثبات الصفات حتى شبهوا وجوزوا الانتقال والحلول والاستقرار والجلوس وما اشبه ذلك ﴿وأما﴾ الفرقة المعطلة فانهم بالغوا وغلوا وبالغوا في نفي التشبيه حتى وقعوا في التعطيل ﴿وأما﴾ أهل السنة والجماعة فانهم سلكوا الطريق الوسط واثبتوا صفات الله كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل فعلمت بذلك سبيل الشيطان ما عليه المشبهة والمعطلة ﴿وأما﴾ الجبرية والقدرية فكل منهم بعيد عن الصراط المستقيم فمن نفى المشيئة والكسب عن نفسه فهو جبري ومن نسبهما الى نفسه فهو قدري ومن نسب المشيئة الى الله تعالى والكسب الى العبد فهو سني ﴾ واما الرافضة والناصبة فكل منهما بعيد عن الصراط فالرافضي ادعى محبة أهل البيت وبالغ في حب

الصحابة وبغضهم والناصبى بالغ فى التعصب من جهة الصحابة حتى وقع فى عداوة اهل البيت ونسب عليا رضى الله عنه الى الظلم والكفر ﴿ وأما ﴾ أهل السنة فانهم سلكوا الطريق الوسط فأحبوا اهل البيت وأحبوا الصحابة وحفظ الله تعالى السنتهم من الوقيعة فى أحد منهم الا بالحمد والثناء عليهم فلله الحمد والمنة والشكر *

فصل

القضاء يطلق تارة يراد به الامر المبرم نحو قوله تعالى ﴿ فاذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون ﴾ وتارة يراد به الاعلام بوجوب الحكم الواجب لله تعالى كقوله تعالى ﴿ وقضى ربكَ أن لاتعبدوا الا اياه ﴾ اذ لو كان هذا من القضاء المبرم لما عبد غيره تعالى اذ يستحيل تخلف الاثر عن مؤثره * وكذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون والمراد به الاعلام اذ لو كان قضاء وحكما مبرما لعبده الكل فنشأ الخلاف لعدم الفرقان *

فصل

اعلم أن الله تعالى قضى فيما قضاه ازلا أن بعض الامور يكون متوطا بالعبد موقوفا عليه فى أفعاله واقواله ماقضاه فقد

امضاه فلا يجوز تغيره ولا يقال ان الله تعالى يغير ماقضاه لانه تعالى لا يعارض نفسه فيما قضاه اذ لم يكن عبثا ولا تبعا للشهوات تعالى عن ذلك وانما قضى بمقتضى الحكمة وما صدر عن الحكمة فلا مغير له فما قضاه منوطا بفعل العبد فكالحرث والنسل وما قضاه موقوفا على فعل العبد فكالدعاء والاستغفار ﴿ واعلم ﴾ ان الله تعالى اثبت فعل العبد فى مواضع نحو قوله تعالى ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقوله تعالى (اقتلوهم حيث وجدتموهم) ونفاه فى مواضع أخر نحو قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) والحكمة فيه انه تعالى خالق الافعال ومقدرها والعبد كاسبها ومسببها * فالعبد يعمل العبادة والله تعالى يجازى عليها ولولا نسبة هذه الافعال خلقا وكسبا لما سمى عابدا ومعبوداً فثبت ان العبد عابد كاسب وان الله تعالى معبود خالق ﴿ واعلم ﴾ أن الافعال قسمان أحدهما مايقع من العبد وهو الكسب المنسوب اليه ولهذا أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وثبتت الحاجة الى العقول لتقوم بها الحجة وتتضح بها الحجة (الثانى) مايقع على العبد جزاء وهو مايد الله تعالى ويد العبد وكلاهما لا يكون الا بما كسبت يد العبد لقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وما ناسب هذه الآية فمن فهم هذه الجملة امكنه أن

يفقه المراد من كلام الله تعالى فيما هو المضاف الى العباد ومثال ذلك قطع الجلاد يد السارق يصح أن يقال القاطع هو الجلاد لانه كاسب ويصح ان يقال ان الله تعالى هو القاطع بيد الجلاد لانه تعالى هو المجازى للمقطوع لما بدا منه ويصح أن يقال أن السارق هو القاطع ليده لانه هو المبتدىء لما جناه فلا يقع عليه الا ببعض ما كسبت يداه فيكون الفعل الواحد من الرب تعالى جزاءا من المقطوع ابتداءا ومن القاطع كسبا* ولا يناقض احد احدا وادلته واضحة فى الكتاب* ومن فهم هذه الجملة حق فهمها لم يخف الا من نفسه ولم يرج الا رحمة الله سبحانه وتعالى (قال) ابن عبدالله كلنا فى ذات الله تعالى احمق* يعنى ان نظرنا الى قضائه نتوهم ان العبد معذور فيما يفعل وان نظرنا الى الامر والنهى والى اختيار العبد ربما يظن ان العبد مستبد بما يفعل بل الحق فيه ان يعتقد ان العبد غير مستغن عن الله تعالى فى سائر افعاله واقواله وأحواله بل هو متقلب فى مشيئته وانه غير مجبور ولا مسخر كالحيوانات والجمادات بل هو موفق فى ضمن اسباب السعادة أو مخذول أو مطرود فى ضمن اسباب الشقاوة*

فصل

لو قيل إن كان للقدرة الحادثة أثر فى المقدور فهو شرك خفى وان لم يكن لها أثر فهو جبر ﴿يقال﴾ انما يكون شركا اذا كان لها فى التخليق اثر وانما اثرها فى الكسب والله تعالى ليس بكاسب حتى يكون شركا ولو لم يكن لها أثر فى المقدور لزم ان يكون وجودها كعدمها فهى اذا قدير بلا قدرة وهو محال ﴿واعلم﴾ أن من ظن أن الله تعالى انزل الكتب وارسل الرسل وامر ونهى ووعد وتواعد لغير قادر مختار فهو مختل المزاج يحتاج الى علاج و اسبب اختلاف الناس فى الاستدلال بالقرآن قبل فهمه وقعوا فى الجبر والقدر لانهم لم يفرقوا بين قدرة الخالق القديمة وبين قدرة المخلوق الحادثة ٭ والفرق بينهما أن القدرة القديمة مستقلة بالخلق ولا مدخل لها فى الكسب وان القدرة الحادثة مستقلة بالكسب ولا مدخل لها فى الخلق والظلم انما ينسب الى الحادثة واما القديمة فبرأة عنه لقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون

فصل

واما المعرفة فهى نفس القرب وهو ما أخذ القلب واثر فيه

اثرا يؤثر فى الجوارح فالعلم كرؤية النار مثلا والمعرفة كالاصطلاء بها ﴿ والمعرفة ﴾ فى اللغة هو العلم الذى لا يقبل الشك وفى العرف اسم لعلم تقدمه نكرة * وفى عبارة الصوفية المعرفة هو العلم الذى لا يقبل الشك اذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته * فان قيل ما معرفة الذات وما معرفة الصفات يقال معرفة الذات ان يعلم ان الله تعالى موجود واحد فرد وذات وشيء عظيم قائم بنفسه ولا يشبهه شيء ﴿ واما ﴾ معرفة الصفات فان تعرف ان الله تعالى حيّ عالم قادر سميع بصير الى غير ذلك من الصفات ﴿ فان ﴾ قيل ما سر المعرفة يقال سرها وروحها التوحيد . وذلك بان تنزه حياته وعلمه وقدرته وارادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات الخلق ليس كمثله شيء * فان قيل ما علامة المعرفة يقال حياة القلب مع الله تعالى * أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اتدرى ما معرفتى قال لا قال حياة القلب فى مشاهدتى فان قيل ففى اى مقام تصح المعرفة الحقيقية يقال فى مقام الرؤية والمشاهدة بسر القلب وانما يرى ليعرف لان المعرفة الحقيقية فى باطن الاراءة فيرفع الله تعالى بعض الحجب فيريهم نور ذاته تعالى وصفاته عزّ وجلّ من وراء الحجاب ليعرفوه تعالى ولا يرفع الحجب بالكلية لكيلا يحترق الرائى قال بعضهم بلسان الحال

ولو انى ظهرت بلا حجاب * ليتمت الخلائق اجمعينا

ولكن الحجاب لطيف منا * به تحيا قلوب العاشقينا

اعلم أن تجلى العظمة يوجب الخوف والهيبة وتجلى الحسن والجمال يوجب العشق وتجلى الصفات يوجب المحبة وتجلى الذات يوجب التوحيد ﴿ قال ﴾ بعض العارفين والله ما نال رجل الدنيا الأعمى الله قلبه وبطل عليه عمله ان الله تعالى خلق الدنيا مظلمة وجعل الشمس فيها ضياء وجعل القلوب مظلمة وجعل المعرفة فيها ضياء فاذا جاءه السحاب ذهب نور الشمس فكذلك يجئ حب الدنيا فيذهب بنور المعرفة من القلب ﴿ وقيل ﴾ حقيقة المعرفة نور يطرح فى قلب المؤمن وليس فى الخزانة شيء أعز من المعرفة ﴿ وقال ﴾ بعضهم ان شمس قلب العارف اضوأ واشرق من شمس النهار لان شمس النهار قد تكسف وشمس القلوب لا كسوف لها وشمس النهار تغرب بالليل دون شمس القلوب وانشدوا فى ذلك (شعر)

ان شمس النهار تغرب ليلا * وشمس القلوب ليس تغيب

من احب الحبيب طار اليه * اشتياقا الى لقاء الحبيب

﴿ قال ﴾ ذو النون حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الاسرار بمواصلة لطائف الانوار ﴿ وانشدوا فيه ﴾

للعارفين قلوب يعرفون بها

نور الإله بسر السر فى الحجب

صم عن الخلق عمى عن مناظرهم

بكم عن النطق فى دعواه بالكذب

﴿ وسئل ﴾ بعضهم متى يعرف العبد انه على تحقيق المعرفة فقال اذا لم يجد فى قلبه مكانا لغير ربه ﴿ وقال ﴾ بعضهم حقيقة المعرفة مشاهدة الحق بلا واسطة ولا كيف ولاشبهة كما سئل امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه فقيل ياأمير المؤمنين أتعبد من ترى او من لاترى فقال لا بل اعبد من ارى لا رؤية العيان ولكن رؤية القلب ﴿ وقيل ﴾ لجعفر الصادق رضى الله عنه هل رايت الله عز وجل قال لم أكن لاعبد ربا لم اره قيل وكيف رأيته وهو الذى لاتدركه الابصار قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان ولكن تراه القلوب بحقائق الايمان * لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس * وسئل بعض العارفين عن حقيقة المعرفة فقال تخلية السر عن كل ارادة وترك ماعليه العادة وسكون القلب الى الله تعالى بلا علاقة وترك الالتفات منه الى ماسواه ولا يمكن معرفة كنه ذاته ولا معرفة كنه صفاته عز وجل ولا يعرف من هو الا هو تبارك وتعالى والحمد لله وحده *

فصل

وأما البصيرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة فهى اسماء

مترادفة على معنى واحد وانما تحصل التفرقة فى كمال الوضوح لا فى اصله فمنزلة البصيرة من العقل منزلة نور العين من العين . والمعرفة من البصيرة منزلة قرص الشمس لنور العين فتدرك بذلك الجليات والخفيات (وأما) الحياة فهى نفس التوحيد قال الله تعالى (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) (وأما) اليقين فاعلم ان الاعتقاد والعلم اذا استوليا على القلب ولم يكن لهما معارض اثرا فى القلب المعرفة فسميت هذه المعرفة يقينا لان حقيقة اليقين صفاء العلم المكتسب حتى يصير كالعلم الضرورى ويصير القلب مشاهدا لجميع ما اخبر عنه الشرع من أمر الدنيا والآخرة (يقال) أيقن الماء اذا صفا من كدورته (واما) الالهام فهو حصول هذه المعرفة بغير سبب ولا اكتساب بل بالهام من الله تعالى بمطهارة القلب عن استحسان ما فى الكونين ﴿واما﴾ الفراسة فهى التوسم بعلامة من الله تعالى بينه وبين العبد يستدل بها على احكام باطنه وذلك لا يكون الا فى درجة التقريب وهو دون الالهام لان الالهام لا يفتقر الى علامة والفراسة تفتقر الى علامة وهو عام وخاص ٥ والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب السادس

فى بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل * اعلم أن هذه الاسامى الاربعة مشتركة بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معانيها مايتعلق بغرضنا ﴿الاول﴾ لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر وفى باطنه تجويف فيه دم أسود وهو منبع الروح الحيوانى ومعدنه ﴿والمعنى﴾ الثانى هى لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان المدرك العالم المخاطب المطالب المثاب المعاقب ﴿اللفظ الثانى﴾ الروح وهو أيضا يتعلق بغرضنا لمعنيين * أحدهما جسم لطيف بخارى حامله دم اسود منبعه تجويف القلب الجسمانى وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر أجزاء البدن وجريانها فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهى فيضان النور من السراج فى زوايا البيت فالحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحرك محركه فالاطباء اذا أطلقوا

لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب ﴿والمعنى الثانى﴾ هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان الذى هو أحد معنى القلب وهو الذى أراده الله تعالى بقوله (ويسألونك عن الروح قل الروحُ من أمرِ رَبى) وهو أمر عجيب ربانى يعجز أكثر العقول والافهام عن درك فهم حقيقته ﴿اللفظ الثالث﴾ النفس وهو أيضا مشترك بين معنيين ﴿أحدهما﴾ أنه يراد به المعنى الجامع لقوتى الغضب والشهوة فى الانسان وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسر شهوتها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أعدا عدوك نفسك التى بين جنبيك ﴿والمعنى الثانى﴾ اللطيفة التى ذكرناها وهى حقيقة الانسان ونفسه وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال تعالى (ياأيتها النفسُ المطمئنة ارجعى إلى ربكِ) والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله سبحانه وتعالى وهى حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية سميت النفس اللوامة فاذا تركت الاعتراض واذعنت لمقتضى الشهوات

ودواعى الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء ﴿ اللفظ الرابع ﴾ العقل والمتعلق بغرضنا منه معنيان ﴿ أحدهما ﴾ انه يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله خزانة القلب * والثانى قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعنى تلك اللطيفة التى هى حقيقة الانسان وحيث ورد فى القرآن والسنه ذكر القلب فالمراد به المعنى الذى يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الجسمانى الذى فى الصدر لان بينه وبين تلك اللطيفة العالمة التى هى حقيقة الانسان علاقة خاصية لان تعلقها بسائر البدن انما هو بواسطته فهو مملكتها ومطيتها والمجرى الاول لتدبيرها وتصرفها فالقلب الجسمانى والصدر بالنسبة الى الانسان كالعرش والكرسى بالنسبة الى الله تعالى من وجه *

فصل

فى بيان جنود القلب ﴿ اعلم ﴾ ان لله تعالى فى القلب والارواح وغيرهما من العوالم جنوداً مجندة لا يعلم حقيقتها وتفصيل عددها إلا الله تعالى * ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذى يتعلق بغرضنا ﴿ فاعلم ﴾ ان له جندين جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر فالقلب فى حكم الملك والجنود

فى حكم الخدم والاعوان ﴿ فاما ﴾ جنوده المشاهدة بالبصر فهى اليد والرجل والاذن والعين واللسان فجملة جنود القلب تحصره ثلاثة أصناف ﴿ الصنف الاول ﴾ باعث مستحث الى جلب الموافق النافع كالشهوة ﴿ واما ﴾ الى دفع المخالف الضار كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة ﴿ الصنف الثانى ﴾ هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد وقد يعبر عنه بالقدرة وهى جنود مبثوثة فى سائر الاعضاء ﴿ الصنف الثالث ﴾ هو المدرك المعرف بهذه الاشياء كالجواسيس وهو قوة السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهى مبثوثة فى الاعضاء الظاهرة المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التى اعدت الآت لهذه الجنود * ويعبر عن عمل هذا الصنف بالعلم والادراك وهذا الصنف الثالث هو المدرك من هذه الجملة ﴿ وينقسم ﴾ الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهى الحواس الخمس اعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهى تجاويف الدماغ وهى أيضا خمسة حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ﴿ فاما ﴾ الحس المشترك فيرتسم فيها صورة ما أدته اليها الحواس الظاهرة مما ادركته كما ترسم الصورة فى المرآة ومحل تصرفها مقدم البطن الاول من الدماغ ﴿ القوة الثانية ﴾ الخيال وهى خزانة الحس المشترك يخزن فيها ما ارتسم فيه لتحفظها له الى وقت حاجته اليه فان له قوة القبول وليس له قوة

الحفظ والخيال له قوة الحفظ وليس له قوة القبول ومحل تصرف الخيال موخر البطن من الدماغ ﴿ القوة الثالثة ﴾ الوهم موضع تصرفه مقدم البطن المؤخر من الدماغ لان تصرفه هو المعانى الجزئية المتنوعة من الصور المخزونة فى الخيال فكانت بعدها فى الرتبة لتقليبها منه ﴿ القوة الرابعة ﴾ الحافظه ومحل تصرفها مؤخر البطن المؤخر من الدماغ يلى محل تصرف الوهم لانها خزانته ﴿ القوة الخامسة ﴾ المتصرفة ومحل تصرفها فى وسط الدماغ لانها اشرف القوى ولانها تأخذ من الخيال فى حال دون حال وتعطيه ايضا فى حال دون حال فى النوم واليقظه وتعطى الحافظة وتطلب منها عند النسيان فكان الاليق بها تكون بين الحرارتين ليسهل عليها اخذها منها واعطاءها اياهما والله اعلم ﴿ وانما ﴾ افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقائه الذى لاجله خلق وانما مركبه البدن وانما زاده العلم والعمل وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى مالم يسكن البدن ويجاوز الدنيا ليتزود منها للمنزل الاقصى فافتقر الى تعهد بدنه بان يجلب اليه مايوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه مايؤذيه ويمكن منه اسباب الهلاك فافتقر لاجل الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو الاعضاء الجالبة للغذاء فخلق فى القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت

الاعضاء التى هى الآت الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذى يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهى اليد والرجل والاسلحة التى بهما تعمل بمقتضى الغضب ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لاتنفعه شهوة معرفة الغذاء وآلته فافتقر فى المعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم والذوق واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة * فسبحان الكريم الحليم *

فصل

اعلم ان القسمة ثلاثة الجسم والعرض والجوهر الفرد * فالروح الحيوانى جسم لطيف كانه سراج مشتعل والحياة هو السراج والدم دهنه والحس والحركة نوره والشهوة حرارته والغضب دخانه والقوة الطالبة للغذاء الساكنة فى الكبد خادمه وحارسه ووكيله وهذا الروح يوجد عند جميع الحيوانات لانه مشترك بين البهائم وسائر الحيوانات والانسان هو جسم وآثاره اعراض وهذا الروح لايهتدى الى العلم ولا يعرف طريق المصنوع ولاحق الصانع وانما هو خادم اسير يموت البدن لو يزيد دهن الدم ينطفىء

بزيادة الحرارة ولو ينقص ينطفئ بزيادة البرودة وانطفاؤه سبب موت البدن وليس خطاب البارى جلت عظمته وتكليف الشارع عليه الصلاة والسلام لهذا الروح لان البهائم وسائر الحيوانات غير مكلفين ولا مخاطبين باحكام الشرع والانسان انما يكلف ويخاطب لاجل معنى آخر وجد عنده زائدا خاصا وذلك المعنى هو النفس الناطقة والروح اللطيفة * وهذا الروح ليس بجسم ولا عرض لانه من أمر الله تعالى كما اخبر بقوله ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ وامر الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو جوهر ثابت دائم لا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت بل يفارق البدن وينتظر العود اليه يوم القيامة كما ورد به الشرع وهذا الروح يتولد منه صلاح البدن وفساده و لروح الحيوانى وجميع القوى كلها من جنوده فاذا فارق الروح الحيوانى البدن تعطل احوال القوى الحيوانية فيسكن المتحرك فيقال لذلك السكون موت وان كان الروح من أمر الله تعالى فى البدن كالغريب

﴿ فاعلم ﴾ انه لا يحل فى محل ولا يسكن فى مكان وليس البدن مكان الروح ولا محل القلب بل البدن آلة الروح والله اعلم

فصل

فى بيان المعنى المراد من قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) قال رحمه الله تعالى ورضى عنه اما التسوية فهى عبارة عن فعل فى المحل القابل للروح وهو الطين فى حق آدم صلى الله عليه وسلم والنطفة فى حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج والتردد فى اطوار الخلقه الى الغاية حتى ينتهى فى الصفاء ومناسبة الاجزاء الى الغاية فيستعد لقبول الروح وامسا كها كاستعداد الفتيلة بعد شرب الدهن لقبول النار وامسا كها ﴿ واما ﴾ النفخ فهو عبارة عن اشتعال نور الروح فى المحل القابل فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ فى حق الله تعالى محال فالمسبب غير محال فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ وهو الاشتعال فى فتيلة النطفة وللنفخ صورة ونتيجة ﴿ اما ﴾ صورته فهو اخراج هوى من جوف النافخ الى جوف المنفوخ فيه فيشتعل فيها ﴿ واما ﴾ السبب الذى اشتعل به نور الروح فهو صفة فى الفاعل وصفة فى المحل القابل ﴿ واما ﴾ صفة الفاعل فالجود الذى هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل موجود حقيقة وجوده ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل الاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما والقابل هو الملونات

دون الهواء الذى لالون له ﴿واما﴾ صفة القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل فى التسوية كما ﴿قال﴾ تعالى فاذا سويته ﴿ومثال﴾ صفة القابل صفاة المرآة فان المرآة قبل صقالتها لاتقبل الصورة وان كانت محاذية لها فاذا صقلت حدثت فيها صورة من ذى الصورة المحاذية لها فكذلك اذا حصل الاستواء فى النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح من غير تغير فى الخالق تعالى الآن لا بل انما حدث الروح قبله لتغير المحل بحصول الاستواء الان لا قبله ﴿واما﴾ فيضان الجود فالمراد به ان الجود الآلهى سبب لحدوث انوار الوجود فى كل ماهية قابلة للجود فعبر عنه بالفيض لا كما يفهم من فيض الماء من الاناء على اليد فان ذلك عبارة عن انفصال جزء مما فى الاناء واتصاله باليد فان الله سبحانه يتعالى عن مثل هذا ﴿واما﴾ كشف معنى ماهية الروح ومعرفة حقيقتها فهو من السر الذى لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى كشفه لمن ليس من اهله فان كنت من اهله فاسمع ﴿واعلم﴾ ان الروح ليس بجسم يحل فى البدن حلول الماء فى الاناء ولا هو عرض يحل القلب او الدماغ حلول السواد فى الاسود والعلم فى العالم بل هو جوهر لا يتجزأ باتفاق اهل البصائر لانه لو انقسم لجاز ان يقوم بجزء منه العلم بالشىء وبجزء آخر منه الجهل بذلك الشىء بعينه فيكون فى حالة واحدة عالما بشىء وجاهلا به وذلك محال فدل بذلك على

انه واحد لا ينقسم ﴿ فان ﴾ قيل لم منع رسول الله صلى الله عليه وسلم افشاء سر الروح وكشف حقيقته ﴿ فيقال ﴾ لانه تتصف بصفات لا تحملها الافهام اذ الناس قسمان عوام وخواص اما من غلب على طبعه العامية فانه لا يصدق بما هو وصف الروح أن يكون وصفا لله تعالى فكيف يصدق به في وصف الروح الانساني وكذلك انكرت الكرامية والحنبلية وغيرهم ممن غلبت عليهم العامية بتنزيه الإله تعالى عن الجسمية وعوارضها اذ لا يعقلون موجودا الا متجسما مشارا اليه ومن ترقى عن العامية قليلا نفى الجسمية عن الإله تعالى وما اطاق أن ينفي عوارض الجسمية عنه فاثبت الجهة وترقى عن هذه العامية الاشعرية والمعتزلة فنزهوا الإله تعالى عن الجسمية والجهة ﴿ فان ﴾ قيل لم لا يجوز كشف هذا السر مع هؤلاء فيقال لانهم احالوا أن تكون هذه الصفة لغير الله تعالى فاذا ذكرت هذا معهم كفروك وقالوا هذا تشبيه لانك تصف نفسك بما هو صفة الإله تعالى على الخصوص وذلك جهل باخص اوصاف الله تعالى ﴿ فان ﴾ قلنا أن الانسان حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم والله تعالى كذلك ليس فيه تشبيه لان هذه الصفات ليس اخص اوصاف الله تعالى فلذلك البراءة عن المكان والجهة ليست اخص وصف الإله تعالى بل اخص وصفه تعالى انه قيوم اى قائم بذاته وكل ما سواه قائم به وهو موجود بذاته لا بغيره

وليس للاشياء من انفسها الا العدم وانما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية فالوجود لله تعالى ذاتي ليس بمستعار وماسواه فوجوده منه تعالى لامن نفسه وهذه القيومية ليست إلا لله تعالى ﴿فان﴾ قيل مامعنى نسبة الروح الى الله تعالى فى قوله (ونفخت فيه من روحى) فاعلم ان الروح منزهة عن الجهة والمكان وفى قوتها العلم بجميع المعلومات والاطلاع عليها فهذه مضاهاة ومناسبة ليست لغيره من الجسمانيات فلذلك اختصت بالاضافة الى الله تعالى فان قيل فما معنى قوله قل الروح من امر ربى وما معنى عالم الامر وعالم الخلق فيقال ان كل مايقع عليه مساحة وتقدير فهو الاجسام وعوارضها فهذا هو عالم الخلق والخلق هاهنا بمعنى التقدير لابمعنى لايجاد والاحداث ﴿يقال﴾ خلق الشىء اى قدره وكلما لا كمية له ولا تقدير يقال انه أمر ربانى وذلك المضاهاة التى ذكرناها فكل ماهو من هذا الجنس من ارواح البشرية وارواح الملائكة يقال انه من عالم الامر وعالم الامر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز والدخول تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه ﴿فان قيل﴾ فهذا يوهم ان الروح قديم ليس بمخلوق فيقال قد توهم هذا قوم جهال ضلال فمن قال انه ليس بمخلوق بمعنى انه غير مقدر بكمية لانه لا يتجزا ولا يتحيز فهو مصيب الا انه مخلوق بمعنى انه حادث وليس

بقديم لان حدوث الروح البشرية متوقف على استعداد النطفة كما حدثت الصورة فى المرآة بحدوث الصقالة وان كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة ﴿فان قيل﴾ مامعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى خلق آدم على صورته) وروى على صورة الرحمن فيقال ان الصورة اسم مشترك قد يطلق على ترتيب الاشكال ووضع بعضها على بعض واختلاف تركيبها وهى الصورة المحسوسة * وقد يطلق على ترتيب المعانى التى ليست محسوسة والمعانى ايضا تركيب وترتيب وتناسب يسمى ذلك صورة ﴿يقال﴾ صورة المسألة كذا وصورة الواقعة كذا وصورة العلوم الجسمانية والعقلية كذا فالمسئلة بالصورة المذكورة هى الصورة المعقولة المعنوية والاشارة الى المضاهاة التى ذكرناها ويرجع ذلك الى الذات والصفات والافعال وحقيقة ذات الروح انه قائم بنفسه ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر متحيز ولا يحل المكان والجهة ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا هو منفصل ولا هو داخل البدن والعالم ولا هو خارج وهذا كله صفات ذات الله تعالى * واما الصفات فقد خلق حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما والله تعالى كذلك ﴿واما﴾ الافعال فمبدء فعل الآدمى ارادة يظهر اثرها اولا فى القلب فينتشر منه أثر بواسطة الروح الحيوانى الذى هو بخار لطيف فى تجويف

ويتصاعد الى الدماغ ثم يسرى منه اثر الى الاعضاء الى ان تصل الاثار الى الاصابع مثلا فتتحرك فيتحرك بالاصابع القلم وبالقلم المداد فيحدث منه صورة ما يريد كتبه على القرطاس فى خزانة التخيل فانه مالم يتصور فى خياله صورة المكتوب اولا لايمكن احداثه على البياض ثانيا فمن استقرء افعال الله تعالى وكيفية احداث الحيوان والنبات على الارض بواسطة تحريك الكواكب والسموات بواسطة الملائكة علم ان تصرف الآدمى فى عالمه يشبه تصرف الخالق سبحانه فى العالم الاكبر فحينئذ يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى خلق آدم صلى الله عليه وسلم على صورته) فان قيل فاذا كانت الارواح حادثة مع الاجساد فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام خلق الله تعالى الارواح قبل خلق الاجساد بالفى عام وقوله انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين (فاعلم) ان شيئاً من ذلك لايدل على قدم الروح لكن قوله انا أول الانبياء خلقا ربما دل بظاهره على تقدم وجوده على جسده وغير الظاهر متعين فان تاوله ممكن والبرهان القاطع لا يدرأ بالظاهر بل يسلط على تاويل الظاهر كما فى ظواهر التشبيه فى حق الله تعالى (فاما) قوله (خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد بالفى عام) اراد بالارواح ارواح الملائكة وبالاجساد اجساد العالم من العرش والكرسى

والسموات والكواكب والهواء والماء والارض (واما) قوله انا أول الانبياء خلقا فالخلق هاهنا بمعنى التقدير دون الايجاد فانه صلى الله عليه وسلم قبل ان تلده امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود فان الله تعالى يقدر اولا اى يرسم فى اللوح المحفوظ الامور الالهية على وفق علمه تعالى فاذا فهمت نوعى الوجود فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل وجود آدم عليه السلام اعنى الوجود الاول التقديرى دون الوجود الحسى العينى

هذا آخر الكلام فى معنى الروح والله أعلم

الباب السابع

فى بيان معنى المحبة ﴿ اعلم ﴾ ان المحبة ميراث التوحيد والمعرفة وكل مقام وحال قبلها فلها يرد ومنها يستفاد ﴿ واما ﴾ المعرفة الخاصة بها فكلها يتعلق بذات الله تعالى وصفاته من سلب نقص واثبات كمال وهى واجبة بالكتاب والسنة واجماع الامة وانما وقع الخلاف فى حقيقتها ومعناها وليس المحبة معنى غير الميل الى اللذيذ الموافق ﴿ واعلم ﴾ ان معرفة الله تعالى بنفسها ذكر الله تعالى لانها حضور معه وشهود له ومن علامته فى بدايته اللوائح والطوالع واللوامع والبروق وهذه الفاظ متقاربة المعانى

والفرق بين البرق والوجد ان البرق اذن فى دخول طريق التوحيد والوجد يصحبك فيها فاذا دام صار ذوقا ﴿ واما ﴾ الذوق فهو استحلاء وشرب لماشاهدت من ضياء البرق ﴿ واما ﴾ اللحظ فهو اسم يعبر به عن رؤية الحق تعالى بالقلب كما قال عليه الصلاة والسلام اعبد الله كانك تراه ﴿ واما ﴾ الوقت فهو اسم ظرف للكائن فيه من الاحوال فوقت العبد ماهو فيه ﴿ واما ﴾ الصفاء فهو اسم للبراءة من الكدر ﴿ واما ﴾ النفس فهو تنفس العبد لعجزه عن حمل الاحوال الواردة عليه اما صمدا واما تلفظا بكلام أو اشارة مما هو فيه لان العبد مادام حيا لابدان يتروح بدخول النفس وخروجه فاذا قوى النفس أدى الى الفرق ﴿ واما ﴾ الفرق فهو عدم القدرة على النفس لكظمه فهو غير متنفس ولاغائب * فاذا قوى عليه دخل فى الغيبة ﴿ واما ﴾ الغيبة فهى اسم للذهول عن المهمات بما هواهم منها ﴿ واما ﴾ السكر فهو اسم يشار به الى سقوط التمالك فى الطرب فاذا لحقته العناية اصحاه ليزيد دعاما لان السكران لايرتقى بالسكر فى الحق والصحو انما هو بالحق أما السكر فى الحق فهو النظر الى صفاته والتنعم بما يرد عليه منه والتلذذ به ﴿ واما ﴾ الصحو بالله تعالى فهو أن يتبرأ من نفسه ومن التلذذ واحواله فاذا منح بعد ذلك بشهود الذات كوشف بالقيومية وهى صفات الالوهية

فافنته عما سوى معبوده ثم فنى عن فنائه ﴿ واما ﴾ الفناء فحقيقته فى الحس تلاشى الاجسام والاعراض وذهابها بالكلية * ولما كان كلما سوى الله تعالى موجودا بالله وقائما به لا بنفسه كان وجوده مجازا وكان القائم بنفسه المقيم لغيره وجوده ثابتا حقيقيا استعير لمن أكرم بهذه المعرفة لفظ الفناء لتلاشى الموجودات فى عين قلبه حيث شهد الكل مع القدرة كالطفل لا حكم له فى الفعل فاذا أيد هذا العبد وكمل رقاه الى مقام البقاء لانه اذا لم يبق فى القلب التفات الى غير الله تعالى لدوام الشغل به عبر عن هذه الحالة بالبقاء مع الله بالله تعالى والوجود والبقاء اسمان مترادفان على معنى واحد فالوجود اسم للظفر بحقيقة الشىء والبقاء هو اجل الحقائق التى يقصد الظفر بها وكذلك مقام الجمع ﴿ قال ﴾ بعض السادة الجمع ما اسقط التفرقة وقطع الاشارة ومعناه أن يكون مذكورا بالله تعالى ومذكورا منه تعالى والحمد لله وحده

الباب الثامن

﴿ فى بيان معنى الانس بالله تعالى ﴾ اعلم ان من أجل مواريث المحبة الانس (أما) حقيقة الانس فهو استبشار القلب وفرحه لما انكشف له من قرب الله تعالى وجماله وكماله (وقال)

بعضهم حقيقة القرب فقد حس الاشياء من القلب وهدوء الضمير الى الله تعالى قلت وهذا هو الوسيلة لنيل القرب لا نفس القرب لان هذا هو طهور القلب عما سوى الله تعالى واذا تطهر القلب عما سوى الله تعالى كان حاضرا مع العبد لانه ليس بين العبد وبين الله الا حجاب نفسه وعوارضها * فاذا فنى عنها وعن عوارضها وعلم قيام العالم كله بقدرة الله تعالى عرف قرب الله تعالى منه وجملة ذلك ان كل ذرة من بدء العالم وبدء الانسان قد تعلق علم الله تعالى بها كشفا وارادته تخصيصا وقدرته ايجادا وابقاء والصفات لا تفارق الموصوف بل صفاته قائمة بالموصوف فاذا نطق العارف فلا ينطق بنفسه واذا سمع فلا يسمع بنفسه وهكذا ورد فى الحديث فالعارفون تنشأ أحوالهم عن قرب الله تعالى (وأما) الابرار فتنشأ أحوالهم عن ملاحظة علمهم بوجود الرب مطلقا مع العلم باقتداره على المنع والعطاء والاسعاد والاشقاء والعارفون يرون ربهم فى الدنيا بعين الايقان والبصائر وفى الاخرى بالابصار أى بالعين فهو قريب منهم فى الدارين وليس قربه منهم فى الاخرى مخالفا لقربه فى الدنيا الا بمزيد اللطف والعطف والا فقد ارتفع هنا وهناك قرب المسافة ولم يكن بينه وبين مخلوق اضافة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة البتة وهذه المعرفة مثمرة الانس بشرط الصفاء والانس يثمر السكينة فهى صولة تمدل

طغيان القلب وتثبته وتوقفه على حد الاعتدال فى آداب الحضرة لان لذة القرب فى الانس تطير ألباب العارفين وتوجب لهم الطغيان لان الانسان يطغى عند الغنى ﴿ وأما ﴾ الطمأنينة فهى وجود من بعد اعتدال بفرح واستبشار لمعرفة القلب بالمزيد وهى مستصحبة مع الانس لانها مقصودة فى ذاتها والسكينة وسيلة تحثها على الادب والاعتدال ومن ثمرات المحبة الانبساط والادلال وذلك أن الآنس أذا دام انسه واستحكم ولم يشوشه قلق القلب لقصور نظره على طيب حاله اثمر ذلك انبساطا فى الاقوال والافعال والمناجاة فلا يليق ذلك بحال التعظيم والاجلال الموجبان للمهابة فانه يليق بالمستأنس المنبسط مالا يليق بالهائب وذلك ان من افعال الله الجايزة له أن يرضى على قوم بفعل ويغضب به على آخرين لاختلاف أحوالهم وللحكمة السابقة فيهم ولذلك يغار على كلامه أن يسمعه الا لاهل خاصته ﴿ قال ﴾ الله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أ كنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وعبر عن السر فى ذلك ﴿ فقال ﴾ ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وهذا حجاب الغيرة فحقيقتها حفظ الوقت مع الحق از يشوشه مشوش شحا عليه ومن ثمرات المحبة الشوق وهو أفضل من الانس لان الانس قصر نظره على ما انكشف له من جمال المحبوب ولم يمتد نظره الى ماغاب عنه والمشتاق

كالعطشان الذى لا ترويه البحار لمعرفته بان الذى انكشف له من الأمور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالذرة بالنسبة الى سعة الوجود ولله المثل الاعلى وهذه المعرفة توجب الانزعاج والقلق والتعطش الدائم لان حقيقة القلق سرعة الحركة لنيل المطلوب مع اسقاط الصبر وحقيقة التعطش شدة الطلب لما تأكدت الحاجة اليه ومن اشتد قلقه وتعطشه وجد وحقيقة الوجد هو الشوق الغالب على قلب الطالب وهذا الوجد بعد حصوله له أحوال ﴿ الاول ﴾ الدهش قال الله تعالى (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) وحقيقة الدهش غيبة القلب عن احساسه لما فاجأه من الامر العظيم ﴿ الثانى ﴾ الهيمان اذا سكن قليلا وتكرر طروقه صار القلب متعجبا متحيرا من حسنه وبهائه وهذا هو الهيمان لان حقيقة الهيمان ذهاب التماسك تعجبا وتحيرا وهو أثبت دواما ﴿ الثالث ﴾ أنسه وتمكينه منه حتى كأنه لم يدخل عليه داخل ولم يطرقه طارق وهذا هو التمكين ﴿ قال ﴾ الشيخ رحمه الله التمكين اشارة الى غاية الاستقرار وذلك ان أى حالة وجدها المحب مع الله مرة تقوى عليه ومرة يقوى عليها ومرة يتلون ومرة يثبت الى أن يتمكن فيستقر وهذا جار فى كل حال فاذا استقر ارتقى الى غيره ليكون المرتقى اليه حالا والمرتقى عنه مقاما والله أعلم

﴿ واعلم ﴾ أن هذه الاحوال ان وجدها العبد فى الملا دون الخلا فهو معلول يجب عليه المحاسبة ومطالبة نفسه بالعلامات وان وجدها فى الخلا دون الملا فهو حسن ولكنه ناقص عن ذروة الكمال اذ الكمال استواء الحالات خلاء وملاء وحضرا وسفرا وفراغا وشغلا لان الفراغ شرط فى البداية لا فى النهاية ﴿ وأما ﴾ حد الواجب من المحبة فهو الميل المسبب عن نفس الاعتقاد بأصول الايمان فيما يتعلق بذات الله وصفاته فان جهل أصلا من الاصول نقصت المحبة بقدره وكان عليه اثمان اثم الجهل واثم فقد ثمرته ﴿ وأما ﴾ حقيقة الايمان فهو حضور القلب مع الله تعالى وشهوده الآثار الدالة على وجوده والله تعالى أعلم وقد قيل

الانس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

﴿ ومن ﴾ غلب عليه حال الانس لم تكن له شهوة الا الانفراد والخلوة ﴿ وقال ﴾ الواسطى لا يصل الى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها ﴿ وقال ﴾ أبو الحسين الوراق لا يكون الانس بالله الا ومعه التعظيم لان كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك ان تزيد به انسا الا ازددت منه هيبة وتعظيما ﴿ وقد ﴾ يكون من

الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات * وهذا القدر من الانس نعمة من الله تعالى ومنحة ولكن ليس هو حال الانس الذى يكون المحبين والانس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق لزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس ﴿ وحقيقته ﴾ عندى كنس الوجود بثقل لائح العظمة وانتشار الروح فى ميادين الفتوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القرب فيجمعه به عن الهيبة وفى الهيبة اجتماع الروح وهذا الوصف أنس الذات * وهيبة الذات يكون فى مقام البقاء بعد العبور على ممر الفناء وهما غير الانس والهيبة اللذان يذهبان بوجود الفناء لان الهيبة والانس قبل الفناء ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين وما ذكرنا بعد الفناء فى مقام التمكين والبقاء من مطالعة الذات ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف يدرك بإيماء الروح والله تعالى أعلم

الباب التاسع

في بيان معنى الحياء والمراقبة ويضاف اليهما الاحسان لانه غايتهما وكذلك الرعاية والحرمة والادب لأنهن من ثمراتهما ﴿ اعلم ﴾ أن الحياء أول مقام من مقامات المقربين كما ان التوبة أول مقام من مقامات المتقين ﴿ أما ﴾ العلم الحامل على الحياء فهو علم العبد باطلاع الله تعالى عليه وهذا واجب لانه من الايمان بالله ولله تعالى وكذا معرفته بعيوب نفسه وقصورها عن القيام بحق ربه سبحانه وتعالى وهذا أيضاً واجب لانه من الايمان لله تعالى فينفتح من هاتين المعرفتين حال يسمى الحياء وهو اطراق عين القلب خجلا من الله تعالى كتقصيره في واجب حقه تعالى والقدر الواجب من هذه الحالة ما يحث على ترك المحظورات وفعل الواجبات ﴿ وأما ﴾ المراقبة والاحسان فهما لفظان متداخلان على معنى واحد ﴿ فأما ﴾ ثمرة بداية المراقبة فهو رعاية الخواطر وكشف ما التبس منها والادب مع الله تعالى بحرمة مراقبته والحياء على الوصف العام والوصف الخاص ﴿ وأما ﴾ الوصف العام ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ

الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء وهذا الحياء من المقامات ﴿ وأما ﴾ الحياء الخاص من الاحوال وهو ما نقل عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال انى لأغتسل فى البيت المظلم فانطوى حياء من الله عز وجل وعن احمد بن صالح قال سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤذن يقول قال لى سرى احفظ عنى ما أقول لك ان الحياء والانس يطوفان بالقلوب فاذا وجدا قلبا فيه الزهد والورع حطًّا والا رحلا والحياء أطراق الروح اجلالا لتعظيم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية فى المنى والنهاية العظمى ﴿ قال ﴾ بعض الحكماء من تكلم فى الحياء ولا يستحيى من الله عزوجل فيما يتكلم به فهو مستدرج ﴿ وقال ﴾ ذوالنون الحياء وجود الهيبة فى القلب مع حشمة ما سبق منك الى ربك ﴿ قال ﴾ ابن عطا العلم الاكبر الهيبة والحياء فاذا ذهب عنه الهيبة والحياء فلا خير فيه ﴿ قال ﴾ أبو سليمان ان العباد عملوا على اربع درجات على الخوف و الرجاء والتعظيم والحياء واشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما ايقن ان الله تعالى يراه على كل حال استحيا من حسناته أكثر مما استحيا العاصون من سيئاتهم ﴿ وقال ﴾ بعضهم الغالب على

قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله تعالى اليهم وأنشد الشيخ أبو النجيب السهروردى

اشتاقه فاذا بدا * اطرقت من اجلاله
لاخيفة بل هيبة * وصيانة لجماله
الموت فى ادباره * والعيش فى اقباله
واصد عنه تجلدا * واروم طيف خياله

والمراقبة على درجتين مراقبة الصديقين ومراقبة أصحاب اليمين ﴿ أما ﴾ الدرجة الاولى فهى مراقبة المقربين من الصديقين وهى مراقبة التعظيم والاجلال وهو أن يكون القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى له متسع للالتفاتات الى الغير أصلا وهذه المراقبة لا يطول النظر فى تفصيل ثوابها فانها مقصورة على القلب ﴿ أما ﴾ الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات الى المناجاة فضلا عن المنظورات فاذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة فلا يحتاج الى تدبير وتسبب فى حفظها عن الانحراف عن سنن السداد ﴿ وأما ﴾ الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا أنها مع ممارسة الاعمال لاتخلو عن المراقبة نعم غلب

عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت
فيه ويمتنعون من كل ما يفتضحون به فى القيامة فانهم يرون
الله تعالى فى الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى
انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين
بالمشاهدات * والله أعلم

الباب العاشر

فى بيان معنى القرب قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
(وَاسْجُدْ واقترِبْ) وقد ورد اقرب ما يكون العبد من ربه
فى سجوده فالساجد اذا أذيق طعم السجود يقرب لانه يسجد
ويطوى بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ويسجد على
طرف رداء العظمة فيقرب (قال) بعضهم انى لا أجد الحضور
فاقول يا ألله أو يارب فأجد ذلك اثقل علىّ من الجبال (قيل) ولم
ذلك قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا
ينادى جليسه وانما هى اشارات وملاحظات ومناغات وملاطفات
وهذا الذى وصفه مقام عزيز يتحقق فيه القرب ولكنه مشعر
بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غابت نفسه فى نور روحه
لغلبة سكره وقوة محوه فاذا اصحا وأفاق تتخلص الروح من النفس
والنفس من الروح ويعود كل من العبد الى محله ومقامه (فيقول)

يا ألله ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة الى مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح يشتغل بفتوحه بكمال الحال عن الاقوال وهذا أتم وأقرب من الاول لانه في حق القرب باستقلال الروح بالفتوح وأقام رسم العبودية بعود حكم النفس الى محل الافتقار وحظ القرب لايزال يتوفر للروح باقامة رسم العبودية من النفس (وقال الجنيد) ان الله تعالى يقرب من قلوب عباده على قدر قربهم منه فانظر ماذا تقرب من قلبك (وقال) أبو يعقوب السوسي مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب فاذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم * (شعر)

قد تحققتك في السر فناجاك لساني *
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني *
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني *
فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني *

(وقال) ذو النون ما ازداد أحد من الله قربة الا ازداد هيبة (وقال) سهل أدنى مقام من مقامات القرب الحياء (وقال) النصرآباذي باتباع السنة تنال المعرفة وباداء الفرائض تنال القرب وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة والحمد لله وحده

الباب الحادى عشر

فى بيان شرف العلم ووجوب طلبه والقدر الواجب منه

﴿ اعلم ﴾ ان العلم والعمل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما قال الله تعالى (الذِى خلقَ سبعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الارْضِ مثلهُنَّ يتنزَّلُ الامرُ بينهنَّ لتعلمُوا أنَّ اللهَ على كلِّ شىء قدير وأنَّ اللهَ قدْ أحاطَ بكلِّ شىءٍ علماً) وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم ووجوب طلبه لاسيما علم التوحيد وقال تعالى (وماخلقتُ الجنَّ والانس الا ليعبدُون) وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فأعظم بأمرين هما المقصود من خلق الدارين فحق على العبد أن لا يشتغل إلا بهما وان لا يتعب الالهما ثم العلم هو أشرف الجوهرين ولكن لا بد من العبادة مع العلم والا كان العلم هباءً منثورا ﴿ واعلم ﴾ أنه يجب تقديم العلم على العبادة لامرين أحدهما لتصح لك العبادة وتسلم ﴿ والثانى ﴾ هو أن العلم النافع يثمر الخشية والمهابة لله تعالى فى قلب العبد وهما يثمران الطاعة ويحجزان عن المعصية بعون الله تعالى وتوفيقه وليس وراء هذين مقصد للعبد فى عبادة ربه سبحانه وتعالى فعليك بالعلم النافع فيجب عليك أولا أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه

باسمائه وصفات ذاته وما يجب له ومايستحيل عليه فى نعته فربما تعتقد اعتقادا فى صفاته شيئا ممايخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا (ثم) عليك ان تعلم مايلزمك فعله من الواجبات الشرعية لتفعله على ما أمرت به ومايلزمك تركه من المناهى الشرعية لتتركه ﴿ واعلم ﴾ ان العلم الذى طلبه فرض لازم لكل مكلف ثلاثة أنواع ﴿ الاول ﴾ علم التوحيد والذى يتعين عليك منه هو مقدار ماتعرف به اصول الدين وقواعد العقائد كافية فيه ﴿ الثانى ﴾ علم السر وهو مايتعلق بالقلب ومساعيه من مواجبه ومناهيه ﴿ الثالث ﴾ علم العبادات الظاهرة المتعلقة بالابدان والاموال ﴿ ثم ﴾ ان من الله عليك بعلم ماوجب عليك علمه وعمل ماوجب عليك عمله وترك ماوجب عليك تركه فلقد اديت ما أوجبه الله تعالى عليك وصرت من العلماء العاملين * وبالله التوفيق

الباب الثانى عشر

فى بيان معانى الاسماء الحسنى ﴿ اعلم ﴾ ان جملة معانى الاسماء الحسنى ترجع الى ذات وسبع صفات على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة والفلاسفة (ثم) ان الاسم غير التسمية وغير المسمى وهذا هو الحق فحد الاسم انه اللفظ الموضوع للدلالة على المسمى

﴿ واعلم ﴾ ان كمال العبد وسعادته انما هو فى التخلق باخلاق الله تعالى والتحلى بمعانى اسمائه وصفاته بقدر مايتصور فى حقه ولا تظن ان المشاركة بكل وصف يوجب المماثلة هيهات الم تعلم ان الله موجود لافى محل وان الله تعالى حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم فاعل والانسان كذلك أيضاً افترى ان مثبت هذه الاوصاف للانسان يكون مشبها ممثلا هيهات ليس الامر كذلك بل المماثلة عبارة عن المشاركة فى النوع والماهية والخاصية الإلهية انه الموجود الواجب الوجود بذاته الذى بقدرته يوجد كلما فى الامكان وجوده على احسن وجوه النظام والكمال وهذه الخاصية لا يتصور فيها مشاركة ولا مماثلة البتة بل لا يعرفها حقيقة الا الله تعالى وتقدس فالخلق كلهم لم يعرفوا الا احتياج هذا العالم المنظوم المحكم الى صانع حى عالم قادر وهذه المعرفة لها طريقان ﴿ احدهما ﴾ يتعلق بالعالم ومعلومه يحتاج الى مدبر ﴿ والآخر ﴾ يتعلق بالله تعالى ومعلومه اسام مشتقة من صفات غير داخلة فى حقيقة الذات وماهيتها فان قولنا حى عالم قادر معناه شىء مبهم له وصف الحياة والقدرة فما عرف احد الا نفسه أولا ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتتعالى صفات الله تعالى عن أن تشبه صفاتنا فاذا يستحيل ان يعرف الله تعالى بالحقيقة غير الله تعالى بل يستحيل ان يعرف النبوة غير النبى ﴿ واما ﴾ من ليس بنبىّ فلا يعرف من النبوة

الا اسمها فان قيل فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى فنقول نهاية معرفتهم هو أن ينكشف لهم استحالة معرفة حقيقة ذات الله تعالى لغير الله تعالى (وانما) اتساع معرفة العارفين بالله تعالى انما تكون في معرفة اسمائه وصفاته فبقدر ماينكشف لهم من معلوماته وعجايب مقدوراته وبدائع اياته في الدنيا والآخرة يكون تفاوتهم في معرفته سبحانه وتعالى والله اعلم

فصل

اعلم ان جملة معاني اسماء الله تعالى الحسنى ترجع الى عشرة اقسام ﴿الاول﴾ مايدل على الذات فقط كقولك الله ويقرب منه اسم الحق تعالى اذا أريد به الذات من حيث هي واجبة الوجود ﴿الثاني﴾ مايرجع الى الذات مع سلب مثل القدوس والسلام والغني والاحد ونظائرها فان القدوس هو المسلوب عنه كل مايخطر بالبال ويدخل في الوهم والسلام هو المسلوب عنه كل عيب ونقص والغني هو المسلوب عنه كل حاجة والاحد هو المسلوب عنه النظير والقسمة ﴿الثالث﴾ مايرجع الى الذات مع اضافة كالعلي والعظيم والاول والآخر والظاهر والباطن ونظائرها فان العلي هو الذات الذي هو فوق سائر الذوات في الرتبة فهي اضافة والعظيم مايدل على الذات من حيث تجاوز حدود

الادراكات والاول هو السابق على الموجودات والآخر هو الذى اليه مصير الموجودات والظاهر هو الذات بالاضافة الى دليل العقل والباطن هو الذات بالاضافة الى ادراك الحس والوهم ﴿الرابع﴾ مايرجع الى الذات مع سلب واضافة كالملك والعزيز فان الملك هو الذات التى لايحتاج الى شئ ويحتاج اليه كل شىء * والعزيز هو الذى لانظير له وهو مااشتد الحاجة اليه ويصعب نيله والوصول اليه ﴿الخامس﴾ مايرجع الى الذات مع صفة ثبوتية كالحى والعالم والقادر والمريد والسميع والبصير والمتكلم ﴿السادس﴾ مايرجع الى العلم مع اضافة كالحكيم والخبير والشهيد والمحصى فان الحكيم يدل على العلم مضافا الى اشرف المعلومات والخبير يدل على العلم مضافا الى الامور الباطنة والشهيد يدل على العلم مضافا الى مايشاهد والمحصى يدل على العلم الذى يحيط بمعلومات محصورات معدودة التفصيل ﴿السابع﴾ مايرجع الى القدرة مع زيادة اضافة كالقوى والمتين والقهار فان القوة هى تمام القدرة والمتانة شدتها والقهر تأثيرها فى المقدور بالغلبة ﴿الثامن﴾ مايرجع الى الارادة مع فعل واضافة كالرحمن والرحيم والرؤف والودود فان الرحمة ترجع الى الارادة مضافة الى قضاء حاجة المحتاج الضعيف والرأفة شدة الرحمة وهى مبالغة فى الرحمة والودود يرجع الى الارادة مضافا الى الاحسان والانعام وفعل الرحمة يستدعى

محتاجا وفعل الود لا يستدعى ذلك بل بالانعام على سبيل الابتداء
﴿ التاسع ﴾ ما يرجع الى الذات مع صفة اضافية كالخالق والبارى
والمصور والوهاب والرزاق والفتاح والباسط والقابض والخافض
والرافع والمعز والمذل والعدل والمقيت والمغيث والمجيب والواسع
والباعث والمبدى والمعيد والمحى والمميت والمقدم والمؤخر والولى
والبر والتواب والمنتقم والمقسط والجامع والمعطى والمانع والمغنى
والهادى ونظائرها ﴿ العاشر ﴾ ما يرجع الى الدلالة على الفعل مع
اضافة كالمجيد والكريم واللطيف فان المجيد يدل على سعة
الاكرام مع شرف الذات والكريم كذلك واللطيف يدل على
الفعل مع الرفق ولا تخرج هذه الاسامى وغيرها عن مجموع هذه
الاقسام العشرة فقس بما أوردناه على مالم نورده وذلك يدل
على وجه خروج هذه الاسامى عن الترادف مع رجوعها الى هذه
الصفات المشهورة والمحصورة والله تعالى اعلم ﴿ اعلم ﴾ ان معانى اسماء
الله الحسنى مندرجة فى أربع كلمات وهن (الباقيات الصالحات
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) الكلمة الاولى
سبحان الله ومعناها فى كلام العرب التنزيه والسلب فهى مشتملة
على سلب النقص والعيب عن ذات الله تعالى وصفاته فما كان
من اسمائه سلبيا فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو
الطاهر من كل عيب والسلام هو الذى سلم من كل آفة (الكلمة

الثانية) قول الحمد لله وهي مشتملة على اثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته سبحانه وتعالى فما كان من اسمائه متضمنا الاثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير فهو مندرج تحتها انفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه واثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه ووراء مانفيناه واثبتناه شأن عظيم قد غاب عنا وجهلناه فنحققه من جهة الاجمال بقولنا الله أكبر (وهي الكلمة الثالثة) ومعناها انه اجل مما نفيناه ومما اثبتناه وذلك معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك فما كان من اسمائه متضمنا فوق ماعرفناه وادركناه كالاعلى والمتعالى فهو مندرج تحت قولنا الله أكبر فاذا كان في الوجود من هذا شأنه نفينا أن يكون في الموجودين من يشاكله او يناظره فحققنا ذلك بقولنا لا اله إلا الله وهي الكلمة الرابعة اذ الالوهية ترجع الى استحقاق العبودية ولا يستحق العبودية الا من اتصف بجميع ماذكرناه فما كان من أسمائه متضمنا للجميع على الاجمال كالواحد الاحد وذي الجلال والاكرام فهو مندرج تحت قولنا لا اله الا الله وانما استحق العبودية لما وجب له من أوصاف الجمال ونعوت الكمال التي لا يصفها الواصفون ولا يعدها العادون ولو ادرجت الباقيات الصالحات في كلمة على سبيل الاجمال وهي الحمد لله لاندرجت فيها كما ﴿ قال

السيد » الجليل والامام الحفيل على بن أبى طالب رضى الله عنه لوشئت ان أوقر بعيرا من قول الحمدلله افعلت «فان» الحمد لله هو الثناء والثناء يكون باثبات الكمال تارة وسلب النقص أخرى وتارة بالاعتراف بالعجزعن ادراك الادراك وتارة باثبات التفرد بالكمال والتفرد والكمال من أعلى مراتب المدح والكمال وقد اشتملت هذه الكلمة على ماذكرناه فى الباقيات الصالحات «لان» الالف واللام فيها لاستغراق جنس المدح والحمد ماعلمناه وجهلناه ولا خروج للمدح عن شىء مما ذكرناه ولا يستحق الالهية الا من اتصف بجميع ماذكرناه ولايخرج عن هذا الاعتقاد ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا أحد من أهل الملك الا من خذله الله واتبع هواه وكان أمره فرطا وعصى مولاه أولئك قوم قد غمرهم ذل الحجاب وطردوا عن الباب وأبعدوا عن ذلك الجناب وحق لمن حجب فى الدنيا عن اجلاله ومعرفته ان يحجب فى الاخرة عن اكرامه ورؤيته

الباب الثالث عشر

فى الاعتقاد والتمسك بعقيدة صحيحة ومعنى الاعتقاد اتخاذ عقد صورة علم أو ظن فى القلب بوجود المغيبات والعلم الاعتقاد

الجازم الثابت المطابق للواقع ﴿ وقال ﴾ بعض الكبار العلم نور اذا نزل في القلب ينفذ شعاعه الى حيث المعلوم ويتعلق به كما يتعلق نور العين بالمرئي الاعتقاد الصحيح هو الخالي عن التعطيل والالحاد والتشبيه والتجسيم والتكييف والنقض والحلول والاتحاد والاباحة وغير ذلك وان يكون معه التنزيه والعظمة والكبرياء كما كانت الصحابة رضي الله عنهم * ودليله الكتاب والسنه واجماع الامة ثم قال على العبد أن يعلم ان الله تعالى واحد احد فرد صمد في ذاته وصفاته لامثل له في ذاته ولا نظير له في صفاته ولا شريك له في ملكه ولا حدوث في صفاته ولا زوال ولا بداية لقدمه ولا نهاية لبقائه دائم الوجود ولا آخر له قيوم الموجودات لا انقطاع له لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الجلال والجمال لا نهاية لكبريائه ولا غاية لعظمته وجلاله ليس بجسم ولا جسماني ولا بروح ولا روحاني ولا بجوهر محدود ولا تحله الجواهر بل هو خالق الاشياء احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد منزه عن الحركة والانتقال والجهة والمكان * وأنه تعالى قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد قربه من الخلق ليس كقرب الخلق بعضهم من بعض بل هو قرب يليق به تعالى ﴿ سئل ﴾ الجنيد قدس الله تعالى روحه عن القرب فقال قريب لا بالتزاق وبعيد لا بافتراق ولا كيفية لقربه ومعيته كما أنه ليس كمثله شيء

كذلك قربه ومعيته ليس كمعية احد وقربه وأنه تعالى
كان ولم يكن معه شيء وهو الآن على ماهو عليه

فصل

اعلم أن من اجرى الاستواء على العرش على ماينبيء عنه ظاهر اللفظ وهو الاستقرار على العرش فقد التزم التجسيم وان تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على التجسيم أيضا وان قطع باستحالة الاستقرار على العرش فقد تاول الظاهر وهو اعتقاد أهل الحق وكذلك من أجرى النزول على ماينبيء عنه ظاهر اللفظ وهو الحركة والانتقال فقد التزم التجسيم أيضا وأن قطع باستحالة الحركة والانتقال فقد تاول الظاهر وهو اعتقاد أهل الحق ﴿ واعلم ﴾ ان الاعراض عن تأويل المتشابه خوفا من الوقوع في محظور من الاعتقاد يجر الى الشك والايهام واستزلال العوام وتطريق الشبهات الى أصول الدين وتعريض بعض آيات كتاب الله العزيز الى رجم الظنون * والحمد لله وحده وهذه العقيدة الصحيحة السليمة لصاحب قلب سليم سلم من البدعة ومن استيلاء وساوس الشيطان وهواجس النفس وزين بالتقوى وايد بالهدى وهذب بالورع وغذى بالذكر والله تعالى اعلم *

الباب الرابع عشر

فى بيان صفات الله تعالى الصفات الثبوتية سبعة وهى الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وكل صفة من هذه الصفاة لها تعلق الا الحياة فانها ينبوع الكمالات فالعلم يتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل فالواجب هو ذات الله تعالى وصفاته والجائز هو جميع الممكنات والمستحيل هو الذى لا يمكن وجوده والارادة تعلقها تخصيص والتخصيص ترجيح احد الممكنات من العدم الى الوجود على ما يريد أن يبرزه والقدرة تعلقها تاثير والتأثير هو ابراز معدوم أو اعدام موجود فلولا سبق العلم لم يحصل تخصيص الارادة ولولا تخصيص الارادة لم يحصل تأثير القدرة والسمع يتعلق بكل مسموع قديم أو حادث والكلام يتعلق بجميع ما يتعلق به العلم وهذه الصفات كلها قائمة بذات الله تعالى وهى منقسمة الى ما يتعلق بغيره كشفا كالعلم والسمع والبصر والى ما يتعلق بغيره تخصيصا كالارادة والى ما يتعلق بغيره تأثيرا كالقدرة والى ما يتعلق بغيره من غير كشف ولا تأثير كالكلام واعمها تعلقا العلم والكلام وأخصها السمع ومتوسطها البصر والبقاء هو استمرار الوجود وليس هو وصف زائد على مفهوم الذات فالاشعرية يقولون الحق سبحانه وتعالى

حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة مريد بارادة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام (ومذهب) القدرية انه حي بذاته عالم بذاته قادر بذاته مريد بذاته سميع بذاته بصير بذاته متكلم بذاته وهو خطأ (ومذهب) الطبايعية ان النار محرقة بطبعها والماء مرو بطبعه والعيش مشبع بطبعه والافلاك والكواكب مؤثرة بطبعها وقس عليه جميع الاسباب (ومذهب) أهل الحق ان المؤثر هو قدرة الله تعالى وان الاسباب لا أثر لها والله اعلم (واعلم) ان الصفات السبع عند الاشاعرة معان زايدة على مفهوم الذات وهي ثابتة الاعيان والاحكام ومعنى ثبوت الاعيان انها ليست نفس الذات ولا خارجة منها (وقال) غيرهم من المحققين انها نسب واضافات ثابتة الاحكام معدومة الاعيان ومعنى كونها معدومة الاعيان انها ليست زائدة على مفهوم الذات (وقال) غيرهم من السادة اعلم ان الاسماء والصفات نسب واضافات ترجع الى عين واحدة اذ لا كثرة هناك بوجود اعيان زائدة على الذات المقدسة كما زعم من لا علم له بالله تعالى من بعض النظار فلو كانت اعيانا زائدة وماهو الله الابها لكان معلولا لها فلا يخلو ان تكون هي عينه فالشيء لا يكون معلولا لنفسه او لا يكون فالاله لا يكون معلولا لعلة ليست عينه لان ذلك يقتضي افتقاره وافتقار الاله محال فكون الاسماء

والصفات اعيانا زائدة محال فافهم جدا والحمد لله وحده

الباب الخامس عشر

فى بيان حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتأثيرهما (اعلم) ان الاخلاص عند علمائنا إخلاصان إخلاص العمل وإخلاص طلب الاجر وأما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم أمره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق * وهو التقرب الى من دون الله تعالى (واما) اخلاص طالب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الخير وضد هذا الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة سواء اراده من الله تعالى او من الناس لان الاعتبار فى الريا بالمراد لا بالمراد منه (واما) تأثيرهما فهو ان اخلاص العمل يجعل الفعل قربة واخلاص طلب الاجر يجعله مقبولا وافر الاجر (واما) النفاق فانه يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة والرياء يوجب رده (واما) موضع الاخلاص وفى اى طاعة يقع ويجب (فاعلم) ان الاعمال عند بعض العلماء ثلاثة أقسام قسم يقع فيه اخلاصان جميعا وهو العبادة الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذة للعدة (وقال) شيخنا ان كل عمل يحتمل

الصرف الى غير الله تعالى من العبادات الاصلية يقع فيه اخلاص العمل والعبادات الباطنة اكثرها يقع فيها اخلاص العمل (واما) الاخلاص فى طلب الاجر فكان شيخنا يقول اذا اراد العامل من الله تعالى بالعبادات الباطنة نفع الدنيا فهو أيضا رياء قلت فلا يبعد اذا ان يقع فى كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان وكذلك النوافل يجب عليها الاخلاصان جميعا عند الشروع فيها (واما) المباحات المأخوذة للعدة فانه يقع اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ هى لاتصلح بنفسها ان تكون قربة بل هى عدة على القربة وهذا مواضعهما (وأما) وقتهما فهو ان اخلاص العمل يكون مع الفعل يقارنه لامحالة ويتأخر عنه واخلاص طلب الاجر ربما يتأخر عنه وعند بعض العلماء ربما يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ العمل على اخلاص ورياء فقد انقضى الامر ولايمكن استدراكه بعد والله تعالى اعلم

فصل

اعلم انه يجب على العبد ان يتحفظ فى العمل من عشرة أشياء النفاق والرياء والتخليط والمنّ والاذا والندامة والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس (ثم) ذكر شيخنا

رحمه الله تعالى ضد كل خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل لله تعالى وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التقوى وضدا لمن تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة لله تعالى وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف ملامة الناس خشية الله تعالى ﴿ ثم اعلم ﴾ ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمنّ والاذى يحبطان الصدقة فى الوقت وعند بعض المشايخ يذهبان اضعافهما ﴿ واما ﴾ الندامة فانها تحبط العمل فى قولهم جميعا والعجب يذهب اضعاف العمل والحسرة والتهاون يخففان العمل فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة الخطرة وبالله التوفيق *

الباب السادس عشر

فى الرد على من اجاز الصغاير على الانبياء صلى الله عليهم وسلم ﴿ قال ﴾ القاضى عياض رحمه الله تعالى فى كتابه الشفا ﴿ اعلم ﴾ ان المجوزين للصغاير على الانبياء صلى الله عليهم وسلم من الفقها والمحدثين والمتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم

الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع ومالا يقول به فهو مسلم (فكيف) وكلما احتجوا به مما اختلف المفسرون فى معناه وتقابلت الاحتمالات فى مقتضاه وجاءت اقاويل فقهاء السلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ماصح والله تعالى اعلم *

فصل

فيما يجب على الانام من حقوق النبي عليه أفضل الصلاة السلام ﴿اولها﴾ تصديقه فى كل ماجاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان انه رسول الله الى الناس كافة واتباعه فى جميع ما أمر به أونهى عنه وكذلك محبته ومناصحته وتوقيره وبره والصلاة عليه كل ذلك واجب لانه مما جاء به صلى الله عليه وسلم ﴿واعلم﴾ أن الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه من الشيطان وكفايته منه فلا يصل الى ظاهره بشيء من أنواع الاذى ولاالى باطنه بشيء من الوساوس وكذا عصمته عن الجهل بالله تعالى وصفاته أو كونه على حالة تنافى العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا

وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من أمور الشرع واداه عن ربه عز وجل من الوحي قطعا عقلا وشرعا وكذا عصمته من الكذب وخلف القول منذ نبأه الله تعالى وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالته عليه عقلا وأجماعا لمناقضته المعجزة وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وكذا تنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر وملابسة المكروهات تحقيقا بل تنزيه همته الشريفة عن تناول المباحات الا على قصد تبيين اباحتها والاستعانة بها على طاعة ربه عز وجل وكذا عصمته في جميع حالاته من رضى وغضب وجد وهزل وصحة ومرض وكذا استحالة السهو والنسيان والغفلة والغلط عليه في الاخبار والاقوال البلاغية اجماعا لمناقضته المعجزة وجواز السهو عليه في الافعال البلاغية بشرط أن لا يقر عليه بل ينبه عليه على الفور لتظهر فائدة النسيان من معرفة الحكم والاتباع له فيما يشرعه وفرقوا بين السهو في الافعال البلاغية والاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقض المعجزة (واما) السهو في الافعال فغير مناقض المعجزة ولا قادح في النبوة نعم بل حالة النسيان هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم وتقرير شرع (كما قال) عليه الصلاة والسلام انى لست انسى ولكنى انسى لاسن وهذه الحالة

بعيدة عن سمات النقص بل هى زيادة فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة ﴿ وأما ﴾ ماليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من أفعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص من أمور دينه وأذكار قلبه فالذى ذهب اليه جماعة الصوفية وأصحاب علم القلوب استحالة السهو والنسيان والغفلات والفترات عليه فيه جملة وأجاز ذلك الاكثر من طبقات علماء الامة وذلك بما كانه من سياسة الامة ومقاساة الخلق ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور وليس فى هذا شىء يحط من مرتبته أو يناقض معجزته صلى الله عليه وسلم ﴿ واعلم ﴾ أنه يجوز طريان الآلام والاوجاع على ظاهر جسم النبى صلى الله عليه وسلم ليتحقق بشريته ولكن لا يصل شىء من ذلك الى باطنه صلى الله عليه وسلم لتعلقه بمشاهدة ربه عز وجل والانس به ﴿ ثم اعلم ﴾ أن المصير فى جميع ما ذكرنا فى حق جميع الانبياء والملائكة كالمصير فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين

فصل

فى بيان مايجب على النبى صلى الله عليه وسلم وما يحرم عليه وما يباح له وما خص به من الفضائل دون غيره ﴿ فاما ﴾

مايجب عليه فهو التهجد والوتر والضحى والاضحية والمشاورة وتخيير الزوجات والسواك ومصابرة العدو وان كثروا وتغيير المنكر ﴿ واما ﴾ مايحرم عليه دون غيره فهو الخط والشعر والصدقة والزكاة ومد عينيه الى مامتع به غيره والمخادعة فى الحرب ومسك الزوجة الكارهة وفى طلاق الراغبة واكل الكرات والثوم والبصل والاكل متكيا وفيه خلاف والاصح الكراهية لا التحريم ونكاح الحرة الكتابية والامة المسلمة وغيرها والصلاة على المدين على خلاف فيه والاصح انه صلى بعد ذلك ونزعه لامة الحرب قبل القتال (وأما) ما يباح له صلى الله عليه وسلم فهو حكمه لنفسه ولفرعه وشهادته وقبوله أيضا لهما وخمس الخمس وحل الغنائم ومن أرادها لزم زوجها طلاقها وله النكاح بلا مهر لمن شاء ويصح نكاحه بلفظ الهبة ويجوز اخذه طعام المحتاج ويلزم المضطر بذله ويحيى ما شاء من موات ويقضى بعلمه أبدا ويجب على خاطره دفع قاصده بسوء ولا ينتقض وضوءه بالنوم ولا باللمس على الاصح ولا يورث ماله ويلزم الخلية اجابته وينعقد نكاحه بلا ولى ولا شهود وله الزيادة على أربع وعلى تسع فى الاصح وله النكاح فى الاحرام ويصح نكاحه من نفسه وممن شاء ﴿ واما ﴾ ما خص به من الفضائل فهو أن أزواجه اللاتى مات عنهن حرام على غيره قطعا ﴿ وكذا ﴾ اللاتى فارقهن

بعد الدخول فى الاصح وهن أمهات المؤمنين وشرعه صلى الله عليه وسلم ناسخ لما قبله يستمر الى انقضاء الابد وكتابه المعجز المستمر السالم من التبديل والتحريف وهو حجة الله تعالى على عباده وجعلت له الارض مسجدا وطهورا ﴿وأعطى﴾ خمس شفاعات وخص بالشفاعة العظمى وهو أول من يقرع باب الجنة وأمته خير أمة ولا تجتمع على ضلال وهو أول شافع مشفع وأول من تنشق عنه الارض وتصف أمته كالملائكة يوم القيامة وفضلاته طاهرة على الاصح يتبرك بها ويستشفى بها ويرى من ورائه كما يرى امامه ولايحل مناداته من وراء حجرته

وصلاته فى النفل قاعدا فى أجره كصلاته فى الوقوف
ولا يجوز نداؤه باسمه وأعطى جوامع الكلم

فصل

اعلم ان الله تعالى قد حرم أذى النبي صلى الله عليه وسلم فى القران ولعن مؤذيه واجتمعت الامة على قتل منتقصيه وسابه من المسلمين تصريحا كان أو تعريضا ﴿وأما﴾ ماهو فى حقه سب أو نقص ﴿فاعلم﴾ أن من سبه أوعابه أو ألحق به نقصاً فى خلقه أو خلقه أو دينه أو خصلة من خصاله أو نسبه أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أوالازراء عليه

أو التصغير لسانه فهو ساب له وسابه يقتل ﴿ وكذا ﴾ حكم من عيره بما جرى من الابتلاء والمحنة عليه أو غمضه ببعض العوارض البشرية الجائزة عليه وهذا كله باجماع من العلماء من لدن الصحابة الى الآن ﴿ قال ﴾ ابن المنذر رحمه الله تعالى أجمع عوام أهل العلم على أن من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال بذلك مالك والليث واحمد واسحق ومذهب الشافعي وهو مقتضى مذهب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم فلا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله ﴿ قال ﴾ أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة والله اعلم

الباب السابع عشر

في معرفة الخواطر واقسامها ومحاربة الشيطان وقهره والتدبير في دفع شره وهو ان يستعيذ بالله تعالى منه اولا ثم يحاربه بثلاث اشياء ﴿ احدها ﴾ ان تعرف مكائده وحيله ومخادعاته ﴿ والثاني ﴾ ان تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك بها ﴿ والثالث ﴾ ان تديم ذكر الله تعالى بقلبك ولسانك فان ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالاكلة في جنب ابن آدم ﴿ فاما ﴾ معرفة مكائده فانه يستبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها اما

معرفة اقسامها فاعلم ان الخواطر آثار تحدث فى قلب العبد تبعثه على الفعل او الترك وحدوث جميعها فى القلب من الله تعالى اذ هو خالق كل شىء لكنها اربعة اقسام فقسم منها يحدثه الله تعالى فى قلب العبد ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له هو النفس وقسم يحدثه عقب دعوة الشيطان فينسب اليه ويقال له الوسواس وقسم يحدثه الله ويقال له الالهام ثم اعلم أن الخاطر الذى من قبل الله تعالى ابتداء قد يكون خيرا اكراما والزاما للحجة وقد يكون شرا امتحانا والخاطر الذى يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك (والخاطر) الذى يكون من قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء وربما يكون بالخير مكرا منه واستدراجا (والخاطر) الذى يكون من قبل هوى النفس لا يكون الا بالشر وقد يكون بالخير لا لذاته فهذه أنواعها (ثم اعلم) انك محتاج الى ثلاثة فصول فاما (الفصل الاول) قال العلماء رضى الله عنهم أجمعين اذا اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه بأحد الموازين الثلاثة يبين لك حاله (فالاول) هو ان تعرضه على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان كان بالضد اما برخصة او بشبهة فهو شر فان لم يبين لك بهذا الميزان

فاعرضه على الاقتداء بالصالحين فان كان فيه اقتداؤهم فهو خير والا فهو شر وان لم يبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى فان كان ما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية فاعلم انه خير وان كان ما تميل اليه النفس ميل طبع لا ميل رجاء الى الله تعالى فهو شر (واما الفصل الثانى) اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر ابتداء من قبل الشيطان او من قبل النفس او من الله تعالى فانظر فيه من ثلاثة اوجه (احدها) ان وجدته ثابتا راتبا مصمما على حالة واحدة فهو من الله تعالى او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فهو من الشيطان وثانيها ان وجدته عقب ذنب احدثته فهو من الله تعالى عقوبة لك وان لم يكن عقب ذنب كان منك فهو من الشيطان (وثالثها) ان وجدته لا يضعف ولا يقل من ذكر الله تعالى ولا يزول فهو من هوى النفس وان وجدته يضعف من ذكر الله فهو من الشيطان (واما الفصل الثالث) اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى أومن الملك فانظر فى ذلك من ثلاثة أوجه (احدها) ان كان مصمما على حالة واحدة فهو من الله تعالى وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح (والثانى) ان كان عقب اجتهاد منك وطاعة فهو من الله تعالى والا فهو من الملك (والثالث) ان

كان فى الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله تعالى وان كان فى الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك فى الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد فى قول اكثرهم (واما) خاطر الخير الذى يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر يربو عليه فانظر فان وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لامع خشية ومع عجلة لامع تانٍ ومع أمن لامع خوف ومع عمى العاقبة لامع بصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك على ضد ذلك فاعلم انه من الله تعالى او من الملك قلت أنا وكان النشاط خفة فى الانسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشط فى ذلك (واما) التأنى فمحمود الا فى مواضع معدودة (وأما) الخوف فيحتمل ان يكون فى اتمامه واداته على حقه وقبول الله تعالى اياه (واما) بصارة العاقبة فبأن تتبصر وتتيقن انه رشد وخير ويحتمل ان يكون لرؤية الثواب فى العقبى ورجائه فهذه الفصول الثلاثة التى لزمتك معرفتها فارعها فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة فى هذا الامر وبالله التوفيق وهو ولى الهداية *

الباب الثامن عشر

فى بيان معنى آفات اللسان وهى عشرون آفة (اولها) الكلام فيما لا يعنى ثم فضول الكلام ثم الخوض فى الباطل ثم المراء والمجادلة

ثم الخصومة ثم التقعر فى الكلام ثم الفحش والسب ثم اللعن ثم الشعر ثم المزاح ثم السخرية والاستهزاء ثم افشاء سر الغير ثم الوعد الكاذب ثم الكذب فى القول واليمين ثم الغيبة ثم النميمة ثم ذو اللسانين ثم المدح ثم الخطأ فى فحوى الكلام ثم سؤال العوام عما لا يبلغه فهمهم من صفات الله تعالى (فاما حد الكلام) فيما لا يعنى فهو أن يتكلم بما لو سكت عنه لم يأثم ولم يتضرر فى حال ولا مآل وأما فضول الكلام فهو الزيادة على قدر الحاجة فيما يعنى (واما) الخوض فى الباطل فهو الكلام فى المعاصى كحكاية احوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وكحكاية مذاهب أهل الاهواء وكذا حكاية ماجرى بين الصحابة رضى الله عنهم اجمعين على وجه الاستنقاص ببعضهم (واما) المراء فهو الاعتراض على الغير باظهار خلل فى لفظه او معناه او قصده به (واما) المجادلة فهو مراء يتعلق بالمذاهب وتقريرها (واما) الخصومة فهى لجاج فى الكلام باظهار اللدد على قصد الايذاء ومزج الخصومة بكلمات مؤذية لا يحتاج اليها فى نصر الحجة (واما) التقعر فى الكلام فهو تكلف الفصاحة بالتشدق واما الفحش فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة (واما) اللعن فهو ما يكون لجماد أو لحيوان أو لانسان وكل ذلك منهى عنه لان اللعن هو الابعاد عن الله ولا يجوز اللعن الا على من يتصف بصفة تبعده عن الله تعالى والصفات المقتضية

للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق فيجوز لعن كل صنف من
هذه الثلاثة فاما لعن شخص بعينه من هذه الاصناف فلايجوز
الا على من علم موته على الكفر كفرعون وابي جهل وابي لهب
لاحتمال موته على الاسلام (واما) الشعر فحسنه حسن وقبيحه
قبيح كالكلام (واما المزاح) فهو منهى عنه الاعن يسير
لا كذب فيه ولا اذى (واما السخرية) فهى التنبيه على العلوم
والنقائص على وجه يضحك منه ومهما كان مؤذيا حرم والافلا
(واما افشاء السر) فهو حرام ان كان فيه اضرار وان لم يكن فيه
اضرار فهو لوم (واما الوعد) الكاذب فهو من علامات النفاق
وذلك انه اذا كان فى حال الوعد عازما على الخلف اذا اخلف من
غير عذر واما من عزم على الوفاء وطرأ له عذر منعه من الوفاء
فذلك ليس بنفاق ولكن ينبغى ان يحترز من صورة النفاق أيضاً
(واما) الكذب فى القول واليمين فهو من قبائح الذنوب واما
ما رخص فيه من الكذب فاعلم ان الكلام وسيلة الى المقاصد
فكل مقصود محمود يمكن التوسل اليه بالصدق والكذب جميعا
فالكذب فيه حرام وان امكن التوسل اليه بالكذب دون
الصدق فالكذب فيه مباح وان كان تحصيل ذلك المقصود
واجبا فهذا ضابطه (واما) حكم الغيبة فاعلم انها محرمة بالكتاب
والسنة واجماع الامة الاما يستثنى منها وأما حدها فهو أن تذكر

اخاك المسلم فى حال غيبته بمافيه مما يكرهه لو بلغه وسواء ذكره بنقص فى دينه أودنياه اوقوله اوفعله أوخلقه أو خُلقه اوملبسه اومكسبه أو نسبه أوداره اودابته وسواء فى ذلك القول والفعل والغمز والرمز والاشارة والايماء والتعريض والكناية * فكل ذلك حرام (واما) الاسباب الباعثة على الغيبة فمنها مايختص بالعامة ومنها مايختص باهل الدين والخاصة من العلماء فاما مايختص بالعامة فهو الغضب والحقد والحسد وموافقة الرفقاء فى الهزل واللعب والاستهانة والاستحقار والتصنع والمباهاة والترفع على الغير وارادة التبرى من عيب نسب اليه بنسبه الى من فعله والمبادرة بتقبيح حال من يخشى أن يستقبح حاله عند كبير أومحتشم (واما) مايختص بأهل الدين والخاصة من العلماء فهو الغضب لله تعالى على فاعل المنكر والتعجب من فعله والشفقة عليه والرحمة فهذه من اغمض الاسباب واخفاها لان الشيطان يخيل للجهلة من العلماء ان الغضب والتخيل اذا كانت لله تعالى كانت عذرا مرخصا فى ذكر الاسم بالغيبة حاجات مخصوصة لامندوحة عنها فى ذكر الاسم بالغيبة وهى التظلم الى الحكام والاستفتاء والاستعانة على ازالة المنكر والتحذير والنصيحة والتعريف باللقب فهذه ثلاث امور هى المستثناة فى الشرع من الغيبة للضرورة (واما) معالجة مرضها فهو

ان تعلم انك متعرض لسخط الله تعالى بغيبة أخيك المسلم ومحبط لحسناتك بنقلها الى صحائف من استغبته (واما) أركان التوبة منها فهى العلم والندم ولاقلاع والعزم واستحلال من استغبته بذكر مااغتبته به الآن يتمذر عليك فتدعو له (واما) حكم النميمة فاعلم انها محرمة بالكتاب والسنة واجماع الامة واما حدها فهو نقل كلام بعض الناس الى بعض على قصد الافساد وسواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه اوغيرهما واما سببها فهو اما ارادة السوء بالمنقول عنه أو التحبب الى المنقول اليه والخوض فى الباطل (واما) معالجة مرضها فهو ان تكف لسانك عنها حذرا من ضررها واما اركان التوبة منها فهى العلم والندم والاقلاع والعزم وأما ماذا يجب على من نقلت اليه نميمة فهو ستة أمور وهى أن لا يصدقه وأن ينهاه وأن يبغضه فى الله تعالى لانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى وان لا ينم عليه وأن لا يتجسس عن المنقول عنه وأن لا يسيء الظن (واعلم) أن سوء الظن بالمسلم حرام كسوء القول وحده أن تحكم على أخيك المسلم بالسوء بما لم تعلمه (وأما) ذى اللسانين فهو الذى ينقل كلام المتعادين بعضهم الى بعض على جهة الافساد فان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ماهو عليه من العداوة أو وعد كلاهما بان ينصره أو أثنى عليهما فى معاداتهما أو أثنى على

أحدهما وكان اذا خرج من عند يديه فهو ذو لسانين فى ذلك كله
بل ينبغى له أن يسكت أو يثنى على المحق منهما فى حضوره
وغيبته وعند عدوه (وأما) المدح فهو منهى عنه فى بعض المواضع
وفيه ست آفات أربع فى المادح واثنان فى الممدوح فاما التى
فى المادح ﴿ فالاولى ﴾ أنه قد يفرط فى المدح حتى ينتهى الى
الكذب ﴿ وثانيها ﴾ أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد
لا يكون كذلك أو أنه قد لا يكون معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به
مرائيا منافقا ﴿ وثالثها ﴾ أنه قد يقول مالا يتحققه فيكون كاذبا
مزكيا من لم يزكه الله تعالى وهذا هلاك . ﴿ ورابعها ﴾ أنه
قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز لان الله
تعالى يغضب اذا مدح الفاسق ﴿ وأما الممدوح ﴾ فيضره بالمدح
من وجهين أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وعجبا وهما مهلكان
والثانى أنه اذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه
وقل تشمره لامر آخرته ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (قطعت عنق صاحبك) فان سلم المدح عن هذه الآفات
لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين حتى قال
(لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح) وقال لو لم أبعث
لبعثت ياعمر وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه عن صدق

وبصيرة وكانا اجل رتبة من أن يورثهما ذلك كبرا واعجابا بل مدح الانسان قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر الا أن يكون مما لم يورثه ذلك كبرا واعجابا كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر اى لست أقوله تفاخرا كما يقوله الناس بالثناء على أنفسهم وذلك ان افتخاره صلى الله عليه وسلم انما كان بالله تعالى وبقربه لا بكونه مقدما على غيره من ولد آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ واما ﴾ الغفلة عن دقائق الالفاظ فى فحوى الكلام فهو مثل ان يقول الانسان ماشاء الله وشئت او يقول لولا فلان لسرقنا او يقول مطرنا بنوء كذا وكذا او يقول للعنب كرما او نحو ذلك مما نهى عنه من الالفاظ واما سؤال العوام عما لا يبلغه فهمهم من صفات الله تعالى فهو مثل ان يسأل عن بعض صفات الله تعالى او عن كلامه اوعن الحروف هل هى حادثة او قديمة فكل ذلك مذموم سؤالهم عنه لعدم فهمهم عنه لئلا يلتبس عليهم الحق بالباطل والله تعالى اعلم

الباب التاسع عشر

فى البطن وحفظه لانه المعدن ومنبع تهييج الامور فى

الاعضاء من خير وشر فعليك بصيانته عن الحرام وكذا عن الشبهة ثم عن فضول الحلال ان كانت لك همة فى عبادة الله تعالى ﴿ فاما ﴾ الحرام او الشبهة فانما يلزمك التحفظ عنها الثلاثة امور (اولها) حذراً من نار جهنم (والثانى) ان آكل الحرام والشبهة مطرود لا يوافق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل قانب طاهر قلت أليس قد منع الله تعالى الجنب من دخول بيته والمحدث من مس كتابه مع أنهما أثر مباح فكيف بمن هو منغمس فى قذر الحرام والشبهة متى يدعى الى خدمة الله تعالى وذكره الشريف ﴿ كلا فلا يكون ذلك ﴾ والثالث ان آكل الحرام والشبهة محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه وليس له منه الا العناء والكد ﴿ واما ﴾ حكم الحرام والشبهة وحدها فاعلم ان الاولى فى حدها ان ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه فى الشرع أوغلب على ظنك فهو حرام ﴿ واما ﴾ ماتساوت فيه الامارتان فهو شبهة يشبه انه حرام ويشبه أنه حلال ثم الامتناع من الذى هو حرام محض حتم واجب والامتناع من الذى هو شبهة تقوى وورع واما حكمه فاعلم ماهو الاصل فى هذا الكتاب وهو ان هنا شيآن احدها حكم الشرع وظاهره * والثانى حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان تأخذ مما آتاك الله ممن ظاهره صلاح ولا تسأل الا ان يتبين

لك انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع ان لاتأخذ من احد
شيأ حتى تبحث عنه غاية البحث فتتيقن ان لاشبة بحال والا
فترده فان قلت فكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم
ان الورع من الشرع ايضا وكلاهما واحد فى الاصل ولكن
للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز
نقول له حكم الشرع والافضل الاحوط نقول له الورع والله تعالى
اعلم ﴿واما﴾ حد فضول الحلال فاعلم ان احوال المباح فى الجملة
اقسام احدها ان يأخذ العبد مفاخرا مكاثرا مرائيا فهذا يستوجب
على ظاهر فعله اللوم وعلى باطنه عذاب النار لان ذلك القصد
منه معصية وقد وقع الوعيد لمن قصده (القسم الثانى) أن
يأخذ الحلال لشهوة نفسه لاغير فذلك منه شىء يوجب الحبس
والحساب (والقسم الثالث) أن يأخذ من الحلال فى حال
العذر قدرا يستعين به على عبادة ربه سبحانه وتعالى
ويقتصر عليه فذلك منه حسنة وادب ولا
حساب عليه ولا عتاب بل يستوجب به
الاجر والمدح والله تعالى اعلم

الباب العشرون

فى بيان معرفة حيل الشيطان ومخادعاته (قال) رحمه الله

تعالى ورضى عنه اما معرفة الحيل والمخادعات من الشيطان مع ابن آدم فى الطاعات فهى من (سبعة اوجه) احدها انه ينهاه عن الطاعات فان عصمه الله منه أمره بالتسويف فان سلمه الله منه أمره بالعجلة فان نجاه الله منه امره باتمام العمل مرآة فان حفظه الله تعالى منه ادخل عليه العجب فان رأى منة الله تعالى عليه امره بالاجتهاد فى السر وقال له ان الله تعالى سيظهره عليك يريد بذلك جريان الرياء فان اكتفى بعلم الله تعالى نجا منه فان لم يطعه فى شىء من ذلك كله وعجز عنه وقال له لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله تعالى منه وقال له انا عبد وعلى العبد امتثال أمر سيده وسيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد نجا منه بتوفيق الله تعالى والا هلك *

فصل

فى الحذر من النفس قال رحمه الله تعالى ورضى عنه العايق الرابع النفس ثم عليك بالحذر من هذه النفس فانها اضر الاعداء وعلاجها اعسر الاشياء لانها عدو من داخل واللص اذا كان من أهل البيت عزت الحيلة فيه وعظم ضرره ولانها ايضا عدو محبوب والانسان عم عن عيب محبوبه لا يكاد يرا عيبه ولا يبصره ثم الحيلة فى امرها ان يلجمها بلجام التقوى والورع ليحصل لك

فائدة الامتثال والانتهاء واعلم انه لا يذل النفس ويكسر هواها الا ثلاثة اشياء (احدها) منعها عن شهوتها (الثانى) حمل اثقال العبادات عليها (الثالث) الاستعانة بالله تعالى عليها والتضرع اليه والا فلا يخلص من شرها الا به سبحانه وتعالى *

فصل

فى بيان ما يؤآخذ العبد به من أعمال القلب وما لا يؤآخذ به (اعلم) ان ههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجوارح احدها الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم * فاما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان شهوة النفس لانهما لا يدخلان تحت الاختيار أيضا وهما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفى الله لامتى ما حدثت به انفسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التى تهجس فى النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما الهم والعزم فلا يسميان حديث النفس (واما) الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغى ان يفعل فهذا مردد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً والاحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤآخذ به والاضطرارى لا يؤآخذ به (واما) الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤآخذ به إلا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتب له حسنة وان تعوق

الفعل بمائق أو تركه لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختيارى والدليل القاطع فيه (ماروى) عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (اذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار) قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وهذا نص فى انه صار من أهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن انه لايؤاخذ بالنية والهم كلما دخل تحت اختيار القلب فانه مؤاخذ به الا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة واما فوات المراد بعائق فليس بحسنة *

الباب الحادى والعشرون

فى بيان مايجب رعايته من حقوق الله تعالى وهو ضربان (احدهما) فعل الواجبات (والثانى) ترك المحرمات ففعل كل واجب تقوى وترك كل محرم تقوى فمن أتى بخصلة منها فقد وفى نفسه مهما رتب على تركها من شر الدنيا والآخرة مع مايحصل له من نعيم الجنان ورضى الرحمن (واعلم) انه لايتقرب الى الله تعالى الا بطاعته وطاعته فعل واجب اومندوب وترك محرم أومكروه فمن تقواه تقديم ماقدم الله تعالى من الواجبات على المندوبات وتقديم ماقدمه من اجتناب المحارم المحرمات على ترك المكروهات بخلاف مايفعله

الجاهلون الذين يظنون انهم الى الله متقربون وهم منه متباعدون فيضيع احدهم الواجبات حفظا للمندوبات ويرتكب المحرمات تصونا على ترك المكروهات فكم من مقيم على صور الطاعات مع انطواء قلبه على الرياء والغل والحسد والكبر والاعجاب بالعمل والادلال على الله تعالى بالطاعات (والتقوى) قسمان متعلق بالقلوب وهو (قسمان) احدهما واجب كاخلاص العمل والايمان (والثانى) محرم كالرياء وتعظيم الأوثان (والثانى منها) متعلق بالاعضاء الظاهرة كنظر العين وبطش الايدى ومشى الارجل ونطق اللسان * واعلم انه اذا صحت التقوى اثمر الورع والورع ترك مالا باس به خوفا من الوقوع فيما به باس والله تعالى اعلم *

فصل

اعلم أن خيرات الدنيا والآخرة قد جمعت تحت خصلة واحدة وهي التقوى وتأمل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة * ثم اعلم أن الذي يختص به هذا الشأن من امر العبادة (ثلاثة أصول) احدها التوفيق والتأييد أولا حتى تعمل وهو للمتقين كما قال الله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا) والثانى اصلاح العمل واتمام التقصير حتى يتم وهو للمتقين كما قال الله تعالى (يصلح لكم أعمالكم)

(والثالث) قبول العمل اذا تم وهو للمتقين كما قال الله تعالى انما يتقبل الله تعالى من المتقين * ومدار العبادة على هذه الاصول الثلاثة التوفيق والاصلاح والقبول وقد وعد الله تعالى ذلك كله على التقوى وأكرم به المتقى سأل اولم يسأل فالتقوى هى الغاية التى لا متجاز عنها ولا مقصد دونها (ثم اعلم) ان حد التقوى فى قول شيوخنا هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يجعل العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين المعاصى فاذا وطن قلبه على ذلك فحينئذ يوصف بأنه متق ويقال لذلك التوبة والعزم تقوى * ثم اعلم أن منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدع وتقوى عن المعاصى الفرعية ثم الشرور ضربان اصلى وهو ما نهى عنه تأديبا كالمعاصى المحضة وشىء غير اصلى وهو ما نهى عنه تأديبا وهى فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات (فالاولى) تقوى فرض يلزم بتركها العذاب (والثانية) تقوى خير وادب يلزم بتركها الحبس والحساب واللوم فمن أتى بالاولى فهو فى الدرجة الاولى من التقوى وتلك منزلة مستقيم الطاعة ومن أتى بالثانية فهو فى الدرجة العليا من التقوى فاذا جمع العبد بين اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وهو الورع الكامل الذى هو ملاك أمر الدين واما الذى لا بد منه هاهنا فهو مراعاة الاعضاء الخمسة فانهن الاصول

وهى العين والاذن واللسان والبطن والقلب فليحرص عليها بالصيانة لها عن كل مايخاف منه ضررا من حرام وفضول واسراف من حلال فاذا حصلت صيانة هذه الاعضاء فترجو ان تكفى سائر اركانه وتكون قدقمت بحق التقوى بجميع بدنك لله تعالى * واعلم ان علماء الآخرة رضى الله عنهم أجمعين قد ذكروا فيما يحتاج اليه العبد من هذا الامر سبعين خصلة محمودة فى اضدادها المذمومة ثم من الافعال والمساعى الواجبة المحظورة نحو ذلك فنظرنا فى الاصول التى لابد من ذكرها فى علاج القلب ولاغنية عنها البتة فى شأن العبادة فرأينا أربعة أمور وهى آفات المجتهدين وفتن القلوب تعوق وتشين وتفسد (واربعة) فى مقابلتها فيها قوام العباد وانتظام العبادة واصلاح القلوب والآفات الاربع الأول الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر الامل والتأنى فى الامور والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هى الاصول فى علاج القلوب وفسادها فابذل المجهود فى التحرز من هذه الآفات والتحصيل لهذه المناقب تكفى المؤنة وتظفر بالمقصود ان شاء الله تعالى (فاما) طول الامل فانه العائق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنته الذى يوقع الخلق فى جميع البليات * واعلم انه اذا طال املك هاج لك منه أربعة

اشياء احدها ترك الطاعة والكسل بقول سوف أفعل (والثانى) ترك التوبة وتسويفها تقول سوف أتوب (والثالث) يجرك الى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها تقول أى شىء آكل والبس فتهتم لها واقل مافى الباب أنه يشتغل قلبك ويضيع عليك وقتك ويكثر عليك همك (والرابع) القسوة فى القلب والنسيان للآخرة لانك اذا املت العيش الطويل لاتذكر الاخرة بل لاتذكر الموت ولا القبر فاذا يصير فكرك فى الدنيا فيقسو قلبك من ذلك كما قال الله تعالى (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) وانما رقة القلب وصفوه بذكر الموت والقبر واحوال الآخرة (وأما) حد طول الامل فقال العلماء هو ارادة الحياة للوقت المتراخى بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بقيده بالاستثناء بمشية الله تعالى وعلمه فى الذكر أو بشرط اصلاح فى الارادة فاذا ذكرت حياتك بانك تعيش بعد نفس أو ساعة ثانية بالحكم والقطع فانت أمل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشيئة والعلم لله تعالى بان تقول أعيش ان شاء الله تعالى فقد خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه توطين القلب على ذلك والتثبيت للقلب عليه فافهمه راشدا (ثم) الامل ضربان أمل العامة وأمل الخاصة فامل العامة هو ان يريد البقاء

لجمع الدنيا والتمتع بها فهـذه معصية وضدها قصر الامل وأمل الخاصة هو أن يريد البقاء لاتمام عمل خير فيـه خطر * وهو مالا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربما يكون خير معين لايكون للعبد فيه أو فى اتمامه صلاح بل يقع فى انه لايقوم بهذا الخير فاذا ليس للعبد ابتداء فى صلاة أوصوم او غيرهما أن يحكم بان يتمه اذ هو غيب ولا أن يقصد ذلك قطعا بل يقيده بالاستثناء وشرط الصلاح ليتخلص من عيب الامل وضد هذا الامل فيما (قال) العلماء النية المحمودة لان الناوى بالنية المحمودة يكون ممتنعا من الامل فهذا حكمه وأما النية المحمودة فهى الاصل الاصيل وقد ذكروا فى حدها الجامع التام انها ارادة أخذ عمل مبتدأ به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء فان قيل لم جاز الحكم فى الابتداء ووجب التفويض والاستثناء فى الاتمام فيقال لفقد الخطر فى الابتداء اذ هو حال الابتداء ليس بشىء متراخ عنك ولثبوت الخطر فى الاتمام لانه يقع فى وقت متراخ ففيه خطران خطر الوصول لانك لاتدرى هل تصل اليه أم لا (والثانى) خطر الفساد لانك لاتدرى هل لك فى ذلك صـلاح املا فاذا حصلت الارادة على هـذه الشروط تكون حينئذ نية محمودة مخرجة عن حكم الامل وآفاته والله تعالى أعـلم * واعلم ان حصن تقصير الامل هو ذكر هجوم

الموت وأخذه على غفلة وغرة فاحتفظ هذه الجملة فان الحاجة ماسة اليها ودع عنك القيل والقال من غير طائل والله الموفق (وأما) الاستعجال والترق فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموافقة فى المعاصى * واعلم ان أصل العبادة وملاكها الورع والورع أصله النظر البالغ فى كل شىء والبحث التام عند كل شىء هو بصدده من أكل وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا فى الامور غير متأن متثبت متبين لم يقع منه نظر وتوقف فى الامور كما يجب ويسارع الى أكل كل طعام فانه يقع فى الحرام والشبهة والى كل كلام فانه يقع فى الزلل وكذلك فى كل أمر يفوته الورع وأى خير فى عبادة بلا ورع فحق على العبد ان يهتم لازالة هذه الآفة والله الموفق (واما) حد العجلة فهو المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف وضدها الاناة وهى المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاحتياط فى الامور والتأنى فى اتباعها والعمل بها (وأما) التوقف فضده التعسف والفرق بين التوقف والتأنى ان التوقف يكون قبل الدخول فى الامر حتى يؤدى الى كل جزء منه حقه (وأما) الحسد فهو المفسد للطاعات الباعث على الخطيات المورث للتعب والهم فى غير فائدة بل مع كل وزر والموجب عمى القلب وكفى بالحاسد

اضلالا وخسرانا أنه عدو لنعمة الله تعالى ومعاند لارادته وساخط لقضائه (وأما) حد الحسد فهو ارادة زوال نعمة الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها ولكن اردت لنفسك مثلها فهى غبطة فان لم يكن له فيها صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة فهذا هو الفرق بين الخصال (وأما) ضد الحسد فالنصيحة وهى ارادة بقاء نعمة الله تعالى على اخيك المسلم فيما له فيه صلاح فان اشتبه عليك الامر فلا ترد زوال نعمة عن أحد من المسلمين ولا بقاءها الا مقيدا بالتفويض الى الله تعالى لتتخلص من حكم الحسد وتحصل لك فائدة النصيحة (واما) حصن النصيحة المانع من الحسد فهو ذكر ما اوجبه الله من موالاة المسلمين وحصن هذا الحصن هو ذكر ما عظم الله تعالى من حقه ورفع قدره وماله عند الله تعالى من الكرامات فى العقبى ومالك من الفوائد الدينية والدنيوية دنيا وأخرى والله الموفق (واما) الكبر فهو الخصلة المهلكة رأسا اماتسمع قول الله عن ابليس (أبى واستكبر وكان من الكافرين) (واما) حد الكبر فاعلم انه خاطر فى رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباع ماينافى التواضع وكل واحد منهما عام وخاص فالتواضع العام هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن ومافى معناهما والتكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك والتواضع الخاص هو

تمرين النفس على قبول الحق ممن كان والتكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة (واعلم) ان حصن التواضع العام هو أن تذكر مبدأك ومنتهاك وما أنت عليه الآن من ضروب الآفات والاقذار وحصن التواضع الخاص هو ذكر عقوبة العادل عن الحق فهذه جملة كافية لمن استبصر والله تعالى الموفق *

الباب الثانى والعشرون

فى بيان معنى حقيقة حسن الخلق وسوئه اعلم ان السعادة كلها والباقيات الصالحات اجمعها التى تبقى معك اذا غرقت سفينتك فى شيئين (أحدهما) سلامة القلب وطهارته من غير الله تعالى لقوله الا من أتى الله بقلب سليم (والثانى امتلاء القلب بمعرفة الله تعالى التى هى المقصودة من خلق العالم وبعثة الرسل صلى الله عليهم وسلم وحسن الخلق هو الجامع لهما ولا أعلم خصلة تزيد عليه فى الفضل ولذلك امتدح الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب هو التوحيد والمعرفة والعمل الصالح هو طهارة القلب الرافعة لقدر التوحيد والمعرفة ومعنى الرفعة هو حضور القلب وتأثره بهما لينقاد خضوعا

ومسكنة ومهابة فحينئذ يكون قريبا من الله تعالى (فاما) حقيقة حسن الخلق فاعلم ان الانسان صورة باطنة وهى التى بعثت الانبياء صلى الله عليهم وسلم بتقويمها وتزكيتها وكمال اعتدالها وذلك أن تصدر عنها الاخلاق المحمودة بسهولة بلا روية ولا فكر وهذا هو معنى حقيقة حسن الخلق وسؤ الخلق يكون بعكس ذلك (واعلم) ان جملة الاخلاق المحمودة والمذمومة تصدر عن ثلاث صفات هن كالامهات (الصفة الاولى) العقل وقوته واعتداله بالعلم والحكمة وحقيقة الحكمة معرفة الحق من الباطل فى الاعتقادات والصدق من الكذب فى الاقوال والحسن من القبيح فى الافعال (الصفة الثانية) قوة الغضب الدافعة للضرر وهى خلقت لذلك فكما لها واعتدالها ان تكون منقادة للحكمة ان اشارت الحكمة لها بالاسترسال استرسلت او بالانقباض انقبضت كالكلب المعلم (الصفة الثالثة) قوة الشهوة الجالبة للنفع وهى خلقت أيضا مطيعة للعقل فحسنها واعتدالها فى اذعانها للحكمة واعلم ان المطلوب من الاخلاق الاعتدال والوقوف على وسط الامور لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فصار العدل من هذه الصفات الثلاث ركنا رابعا (فاما) مثال الاعتدال فى الصفات فاعلم ان قوة الحكمة لها افراط وتفريط ووسط والوسط هو المحمود المسمى بالحكمة فبحسبها واعتدالها يصدر عنها التدبير

وجودة الذهن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفس (وأما) افراطها فيصدر عنه المكر والخداع والدهاء وشبه ذلك ومن تفريطها يصدر البله والغباوة والحمق والجنون (فاما) الغباوة فهي قلة التجربة والحمق صحة القصد مع فساد السلوك والجنون فسادهما جميعا (وأما) قوة الغضب فلها اعتدال يسمى الشجاعة يصدر عنه الكرم والنجدة وكظم الغيظ والوفاء بالعهد ولها افراط يصدر عنه التكبر والعجب والاستشاطة وشبه ذلك ولها تفريط يصدر عنه المهانة والذلة والجزع والانقباض مع تناول الحق الواجب (وأما) قوة الشهوة فلها اعتدال يسمى العفة يصدر عنه السخاء والصبر والورع والمساعدة وقلة الطمع ولها افراط يصدر عنه الحرص والشره وشبههما ولها تفريط يصدر عنه الحسد والمشاتة والعتب وشبه ذلك فامهات محاسن الاخلاق الحكمة والشجاعة والعفة والعدل المكمل لكل واحدة من الثلاث وما سوى ذلك فروع لهذه الاربعة ولم يبلغ كمال هذه الاربع الا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق *

فصل

في بيان حد التواضع وحقيقته ونهايته وعلامته * وعلى الجملة فالمتواضع متخلق باخلاق الله تعالى وكفى بها شرفا في الآخرة وهو

معنى قوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله (فاما) حد التواضع فهو ضبط الاحوال الاختيارية عن التفريط والافراط فلا تتكبر ولا تتخاسس (وأما) حقيقته فهو الذل والاذعان والانقياد للحق بسهولة والحق يطلق على الله تعالى وعلى أمره (واما) نهايته فهو ان لايحس بالذل اذا مدح ولا يتألم بالذم اذا ذم لعلمه بحكمة الله سبحانه وتعالى وتوحده بالافعال لان العبد لايحس بالذل بين يدى سيده وهذه طريقة الموحدين لان المتواضع يرى لنفسه قدرا فيضعه والموحد لا يرى لنفسه قدرا حتى يضعه فالمتواضع ضابط لافعاله الاختيارية فلا يتكبر ولا يتخاسس وان جرى عليه ذل من غير اختياره وطريقة الاولياء الرضى ووجدان اللذة لانه جرى بقدر الله تعالى وعلمه وارادته فهو لايحس بالذل لقصور نظره على حكم الله تعالى وجميل فعله انما يحس بالذل المتكبر الجاهل الغافل القاصر نظره على فعل الافعال وكلما كان أكثر ذلا كان أكثر كبرا (واما) العلماء بالله تعالى فلا يشهدون لغير الله فعلا ولا يشهدونه فى حكم من الاحكام بل يعرفون أن ذلك علامة كرامتهم *

وقد أشار بعض الائمة رحمهم الله تعالى الى أن المعرفة لاتوجد الا فى قلوب المتواضعين الذين صار الذل صفتهم الذاتية فهم بقدرة الله تعالى ونظره ينقلبون ان رفعوا الى السماء لم يزدادوا فى

نفوسهم كمالا وان خفضوا الى منتهى الخفض لم يجدوا فى أنفسهم نقصا كذلك لانهم مسلوبون الارادة والاختيار لعلمهم ان الكمال المطلق فيما حكم الله تعالى به وقضاه فيهم ولانهم يجدون المزيد من الله تعالى فى أحوالهم بذلك فهو رتب المقربين وأما الصالحون فتواضعهم على قدر معرفتهم بنفسهم وربهم (وأما) علامة التواضع فهو أن لا يأنف من الحق اذا أمر به فان وجد فى نفسه أنفة من ذلك فهو متكبر عن قبول الحق وذلك معصية كبيرة والله تعالى أعلم *

الباب الثالث والعشرون

فى بيان معنى الفكر ومقدماته ولواحقه فمقدماته سماع وتيقظ وذكر ولواحقه العلم لان من سمع تيقظ ومن تيقظ تذكر ومن تذكر تفكر ومن تفكر علم ومن علم عمل ان كان علما يراد للعمل وان كان علما يراد لذاته سعد والسعادة غاية المطلب ﴿أما السماع﴾ فحقيقته الانتفاع بالمسموع من حكمة أو موعظة وما يضاهيهما وشرط الاستماع وهو الاصغاء وهو واجب فى استماع كل علم هو فرض عين مدركة السمع ومستحب فى ماسواه فى العلوم المحمودة ويحرم فيما حرم الشارع من المحرمات ويكره فيما يكره استماعه (وأما اليقظة) فحقيقتها انتباه القلب للخير

﴿ وعلامة الانتباه ﴾ القومة والنهوض عن ورطة الفترة والقومة واجبة على الفور فى الاوامر والنواهى الفورية وهى متعلقة بكل مقام ﴿ وأما التذكر ﴾ فهو تكرار المعارف على القلب لتثبت وترسخ ﴿ وأما التفكر ﴾ فهو أن تجمع بين علمين مناسبين للعلم الذى أنت طالبه بشرط عدم الشك فيهما وفراغ القلب من غيرهما ويحدق النظر فيهما تحديقا بالغا فلم يشعر الا وقد انتقل القلب من الميل الخسيس الى الميل النفيس احضارا لمعرفتين يسمى تذكرا والتذكر يتعلق بالعقد والقول والفعل والترك وهو واجب فيما يجب تذكره ويحرم بتذكر المعاصى ان أدى الى أستجلابها وحصول المعرفة الثالثة المقصود من هاتين المعرفتين يسمى تفكرا والتفكر واجب عند الشك وعند ورود الشبهة وعند علاج الامراض الواجب ازالتها من القلوب ﴿وأما العلم﴾ فيندرج فى خمسة أقسام ﴿الاول﴾ من العلوم الواجبة علم أصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر الثانى علم العبادات المتعلقة بالابدان والاموال (الثالث) علم ما يتعلق بالحواس الخمس اللسان والفرج والبطن والسمع والبصر (الرابع) علم الاخلاق المذمومة الواجب ازالتها من القلوب (الخامس) علم الاخلاق المحمودة الواجبة لله تعالى على القلوب

الباب الرابع والعشرون

في بيان معنى التوبه ويضاف اليها الفرار والانابة والاخبات لانهن من ثمراتها (اما التوبة) فحقيقتها الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الطريق البعيدة الى الطريق القريبة وتنتظم من علم وحال وعمل وكذلك كل مقام فالعلم هو الاصل الذى هو عقد من عقود الايمان بالله تعالى أو لله تعالى والحال ماينشأ عنها من المواجيد والعمل هو ماتنشأه المواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال ويتقدم التوبة واجبان (احدهما) معرفة الذنب المرجوع عنه انه ذنب (الواجب الثانى) انه لايستبد بالتوبة بنفسه لان الله تعالى هو خالقها فى نفسها وميسر أسبابها وهو من الايمان بالله تعالى لتعلقه بالقدرة والثانى من الايمان له لتعلقه باخباره (واما) اركانها فاربعة علم وندم وعزم وترك والقدر الواجب من الندم مايحث على الترك (واما) الفرار فحقيقته الهرب من المعصية الى الطاعة وهذا هو الفرار الواجب المبنى على اصل الايمان ورجوع العبد من الشواغل الملهية الى الله تعالى ومن الحسن الى الاحسن هو أيضا توبة ورجوع وبه كمال السعادة فى الآخرة وهذا هو الفرار الواجب المبنى على كمال الايمان وعلى هذا فلا نهاية لمراتب التوبة ومراقيها وهذا هو الانابة لان حقيقة

الانابة تكرار الرجوع الى الله تعالى وان لم يتقدمه ذنب (واما) الاخبات فهو الاذعان والانقياد للحق بسهولة (واعلم) ان التوبة تصح من كل ذنب دون ذنب والله تعالى اعلم *

الباب الخامس والعشرون

في بيان الصبر ويضاف اليه الرياضة والتهذيب لانهما من ثمراته (اما علمه) فهو تصديق الله تعالى فيما أخبرنا به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك الملهم للخير وان القتال بينهم دائم فمن خذل جند الشيطان ونصر حزب الله أدخله جنته وهذا واجب لانه من الايمان بالله تعالى (واما الحال) الناشىء عن هذا الايمان فهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى والقدر الواجب منه تقويته بالوعد والوعيد الى أن يغلب حزب الله تعالى جند الشيطان الا ان حزب الله هم الغالبون (واما الرياضة) فهو تمرين النفس على الخير ونقلها من الخفيف الى الثقيل باللطف والتدريج الى أن يرتقي الى حالة يصير ما كان عنده من الاحوال والاعمال شاقا سهلا هينا (واما) التهذيب فهو امتحان النفس واختبار أحوالها في دعوى المقامات هل صدقت أو كذبت

وعلامة اعتدال مقام الصبر ان تصدر عنه الاعمال بسهولة بلا مانع ولا منازع * والله تعالى الموفق

الباب السادس والعشرون

فى الخوف * ويضاف اليه الحزن والقبض والاشفاق والخشوع لانهن من أنواعه وكذلك الورع لانه من ثمراته (اما علمه) فهو مطالعة صفات الالوهية وتعلقها بالتقريب والابعاد والاسعاد والاشقاء من غير وسيلة ولا سابقة وهذا الخوف يراد لذاته ويجب اعتقاده لانه من الايمان بالله تعالى ينتفع بهذا الخوف من اخرجته رؤية كثرة الاعمال الى الادلال والامن من مكر الله اذ لا يأمن من مكر الله الا القوم الخاسرون (واما الخوف) المراد لغيره فهو قسمان (احدهما) خوف سلب النعمة وهو يحث على الادب ورؤية المنة (والثانى) خوف العقوبات المرتبة على الجنايات والقدر الواجب منه ما يحث على ترك المحظورات وفعل الواجبات واما حاله فهو تألم القلب وانزعاجه بسبب توقع مكروه او على فائت فان كانا محمودين كان له حكمهما فى الوجوب والاستحباب وان كانا مكروهين كان له حكمهما فى الحظر والكراهة (واما حقيقة القبض) فهو يطرق القلب تارة يعلم سببه فحكمه حكم الحزن وما لم يعلم سببه فهو عقوبة للمريدين بسبب افراطهم فى البسط (واما حقيقة الاشفاق) فهو اتحاد الخوف بالرجاء واعتدالهما (واما حقيقة الخشوع) فهو سكون القلب والجوارح وعدم حركتهما

لما عاين القلب من عظيم اومفزع (واما حقيقة الورع) فهو مجانبة الشيء حذرا من ضرره والله تعالى اعلم *

الباب السابع والعشرون

في بيان الرجاء * ويضاف اليه الرغبة لانها من أنواعه وكذلك البسط لانه من ثمراته (اما عامه) فهو أيضا مطالعة الصفات القديمة التي يصدر عنها كل ماساء وسر ونفع وضر فمن عرف هذا من صفاته خافه ورجاه وهذا هو الرجاء المقصود لذاته لانه لايتوقع بحسنة ولا يندفع بسيئة انما ينشأ عن فضل الله تعالى لمن سبقت له السعادة ويندفع بهذا الرجاء من اخرجه الخوف الى القنوط (واما) الرجاء المراد لغيره فهو مايحث على تكثير الطاعات فان لم يحث على تكثير الطاعات كان تمنيا لان حقيقة الرجاء هو ارتياح القلب وانشراحه لانتظار محبوب تقدمت اسبابه (واما الرغبة) فهي استيلاء هذا الحال على قلب الراجي حتى كأنه يشاهد به المأمول فهي كمال الرجاء ومنتهى حقيقته (وأما البسط) فهو انشراح القلب وانفتاح طريق الهدى له بروح الرجاء *

الباب الثامن والعشرون

في بيان الفقر * ولواحقه التبتل والفناء والتجريد (اما الفقر)

فهو الفقد والاحتياج ولكن الاحتياج على ضربين مطلق ومقيد اما المطلق فهو احتياج العبد الى موجد يوجده والى بقاء بعد الايجاد والى هداية الى موجده وهذا هو الفقر الى الله تعالى لان الله هو موجده ومبقيه وهاديه اليه وهذا الفقر واجب لانه من الايمان بالله ولله (واما الحال) الذى ينشأ عن هذه المعرفة فهو شهود العبد لفقره وحاجته الى الله تعالى على الدوام (واما الاحتياج المقيد) فهو احتياج العبد الى الوسائل التى تقوم بها ذاته ويستعان على تحصيلها بالمال والمال هو المفقود المحتاج اليه فالفقر المطلق يراد لذاته لتعلقه بالله تعالى والمقيد يراد لغيره وهو التبتل والانقطاع الى الله وهما الوسيلة للغنى بالله وهو تعلق القلب به سبحانه وتعالى والغنى بالله تعالى وسيلة الى تجريده عما سوى الله تعالى ولا يجب من التجريد الا اعتقاد تجريد القدم عن الحادث * والله تعالى اعلم

الباب التاسع والعشرون

فى بيان الزهد ويضاف اليه الايثار والفتوة لانهما من اخلاقه وكذلك مقام المراد لانه من مواريثه اما العلم الذى هو سبب الزهد فى الدنيا فهو من الايمان لله تعالى وهو قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴿ وأما الحال﴾ الناشىء

عن هذا العلم فهو انصراف الارادة عن الدنيا لاستعظام ماعند الله وأماسبب الزهد فيما سوى الله تعالى من نعيم الجنة وغيرها فهو اضافة حقارة الوجود الى جلال الله تعالى وكماله وهذا هو الزهد المراد لذاته وهو من الايمان بالله تعالى لتعلقه بالجلال والكمال والزهد الذى قبله مراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره مايحث على الفراغ لاوقات الواجبات والزهد لايتعلق الا بالمباح ومن شرطه ان يكون مقدورا عليه * وأماثمرته فهو الايثار وهو أعلى درجات السخاء لان السخاء هو بذل ما لا يحتاج اليه سمحا لاتكلفا والايثار هو بذل ماهو محتاج اليه سمحا بغير عوض ولاغرض الاالتخلق باخلاق الله سبحانه وتعالى (وأما) الفتوة فهى ترجع الى اخلاق المروءة فمن قام بواجب الشرع وواجب المروءة فهو الفتى ومن شارك ابناء الدنيا فيماهم فيه فلافتوة له ولا مروءة وأمامقام المراد فهو الذى وقف على حقيقة الامر بغير منازع ولا مدافع ولم يشغله عن الله تعالى شىء * والله أعلم

الباب الثلاثون

فى بيان المحاسبة * ولواحقها الاعتصام والاستقامة لانهما منها الثمرة المقصودة أما المحاسبة فحقيقتها تفقد مامضى وما يستقبل

وهى واجبة باجماع الامة أما العلم الحامل عليها فهو الايمان بمحاسبة الله تعالى وهذه المحاسبة توجب الاعتصام والفرق بين الاعتصام والاستقامة ان الاعتصام هو التمسك بكتاب الله تعالى والحفظ لحدوده والاستقامة هي الثبات والاعتدال عن الميل الى طرفى الامر المعتصم به والاستقامة مرادة لذاتها ولغيرها أما كونها مرادة لذاتها فلانها وسيلة الى الدخول فى مقام الجمع من وادى التفرقة * والله تعالى أعلم

الباب الحادى والثلاثون

فى بيان الشكر * ولو احقه السرور لانه من احواله والحكمة لانها من أعماله اما العلم الذى هو سبب الشكر فهو ان تعلم ان النعم كلها من الله تعالى وحده وهذا واجب لانه من الايمان بالله تعالى قال الله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وشكر المنعم واجب وهو من الايمان وأما الحال الناشئ عن هذا العلم فهو الفرح والسرور بانعم الله فهذا الفرح شكر بنفسه لانه مراد لذاته وهو واجب لانه من الايمان بالله تعالى وهو ثمرة الايمان بالله تعالى (وأما) عمل الشكر فهو مراد لذاته ولغيره * اما كونه مراداً لذاته فلان العمل باستعمال النعمة فيما خلقت له من تمام الحكمة (وأما) كونه مراداً لغيره فلحفظ النعم الموجودة والزيادة عليها * وعلى الجملة

فالشكر هو استعمال النعمة فيما خلقت له فمن اعتدلت له أحواله حتى وضع كل شيء موضعه كان حكيما لان الحكمة وضع كل شيء محله علما كان أو عملا * وبالله التوفيق

الباب الثاني والثلاثون

في بيان التوكل * ولواحقه التفويض والتسليم والثقة والرضى لانهن من آدابه * اما العلم الحامل على التوكل فهو ان تعلم ان الله تعالى قائم بنفسه وانه مقيم لغيره ثم تعلم سعة علمه وحكمته وكمال قدرته (واما الحال) الناشيء عن هذا العلم فهو اعتماد القلب على الله تعالى وسكونه وعدم اضطرابه لتعلقه بالله تعالى ولا يجب على من علم التوكل وحاله الا ما يكف عن الاسباب المحظورة والتوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التفويض والتسليم لان غايته طلب جلب النفع ودفع الضر والتفويض والتسليم حقيقتهما الانقياد والاذعان للامر والنهي وترك الاختيار في جملة ما حكم الله تعالى به ﴿واما الثقة﴾ فمعناها الربط على القلب وعدم الانفصام على ماحواه من التصديقات وهي لامة مكملة لجميع المقامات والاحوال (واما الرضى) فانما يكون بعد المقضى به والتفويض والتسليم يكون قبل المقضى به والقدر الواجب من الرضى هو ان يكون راضيا بعقله وان كان

كارها بطبعه لان الكراهية لا تدخل تحت اختيار العبد فمن
كره بعقله شيأ مما امتحن الله تعالى به عباده فى الدنيا
والآخرة اوشكا بلسانه اثم وخرج عن
واجب الرضى وبالله التوفيق *

الباب الثالث والثلاثون

فى بيان النية * ويضاف اليها القصد والعزم والارادة لانهن من توابعها (فاما النية) فهى الوسيلة بعد الايمان الى السعادة العظمى فى الاولى والعقبى * فاذا عرفت هذا وجب عليك فهم حقيقتها او تحصينها مما يشوبها من الحظوظ الدنيوية وجوبا وعن الاغراض والاعواض الاخروية استحبابا (فاما) النية فهى عبارة عن تمييز الاغراض بعضها عن بعض واما القصد فهو جمع الهمة نحو الغرض المطلوب والعزم هو تقوية القصد وتنشيطه والارادة تصرف الموانع المثبطة لانتهاض القدرة وتتوجه نحوها (فاما) النية الخالصة فهى التى تحصل الحركة بعدها بباعث واحد *

الباب الرابع والثلاثون

فى بيان الصدق * ويضاف اليه الانفصال والاتصال والتحقيق والتفريد لانهن من علاماته (اما الصدق) فى حق الله تعالى فهو وصف ذاتى راجع الى معنى كلامه (واما الصدق) فى وصف

العبد فهو استواء السر والعلانية والظاهر والباطن وبالصدق يتحقق جميع المقامات والاحوال حتى ان الاخلاص مع جلالته يفتقر الى الصدق والصدق لا يفتقر الى شيء لان حقيقة الاخلاص في العبادة هو ارادة الله تعالى بالطاعة فقد يراد الله تعالى بالصلاة مثلا ولكنه غافل من حضور القلب فيها والصدق هو ارادة الله تعالى بالعبادة مع حضوره مع الله تعالى فكل صادق مخلص وليس كل مخلص صادقا * وهذا معنى الانفصال والاتصال لانه انفصل عن غير الله تعالى واتصل بالحضور بالله تعالى (واما التحقيق) فهو تمييز المقامات والاحوال بعضها من بعض وتخليصها من الاغيار والشوائب (واما التفريد) فهو وقوف العبد مع الله تعالى بلا علم ولا حال لشهوده تفرد الله تعالى بايجاد كل موجود وشمول قدرته كل مقدور *

الباب الخامس والثلاثون

في بيان الرضى * قال الحارث الرضى سكون القلب تحت جريان الحكم وقال ذو النون الرضى سرور القلب بمر القضاء ﴿ وقال رسول ﴾ الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وقال عليه السلام ان الله بحكمته جعل الروح في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ﴿وقال﴾

الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل الى القلوب فاذا باشر القلب حقيقة العلم اداه الى الرضا وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فانهما حالان لا يفارقان العبد فى الدنيا والآخرة لانه فى الجنة لا يستغنى عن الرضا والمحبة ﴿وقال﴾ ابن عطاء الرضا سكون القلب الى قديم اختيار الله تعالى للعبد انه اختار له الافضل فيرضى له وهو ترك السخط وقال أبو تراب ليس ينال الرضا من الله من للدنيا فى قلبه مقدار ﴿وقال﴾ سرىّ خمس من أخلاق المقربين الرضا عن الله تعالى فيما تحب وتكره والحيلة بالتحبب اليه والحياء من الله تعالى والانس به والوحشة فيما سواه ﴿وقال﴾ الفضيل الرضا أن لا يتمنى فوق منزلته شيأ ﴿وقال﴾ ابن سمعون الرضى بالحق والرضى له والرضا عنه الرضى به مدبرا ومختارا والرضى عنه قاسما ومعطيا والرضى له الها وربا سئل أبو سعيد هل يجوز ان يكون راضيا ساخطا قال نعم يجوز ان يكون راضيا عن ربه ساخطا على نفسه وعلى كل قاطع يقطعه عن الله تعالى ﴿وقال بعضهم﴾ للحسن بن على رضى الله عنهما ان اباذر يقول الفقر أحب الى من الغناء والسقم أحب الى من الصحة فقال رحم الله اباذر أما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن انه فى غير الحالة التى اختار الله *وقال على عليه السلام من جلس على بساط السوآل لم يرض عن

الله في كل حال ﴿ وقال ﴾ الشبلي بين يدى الجنيد لاحول ولاقوة الا بالله قال قولك هذا اذا ضيق صدر فقال صدقت قال ضيق الصدر ترك الرضى بالقضاء وهذا قاله الجنيد تنبيها منه على أصل الرضى وذلك لان الرضى يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب من نور اليقين فاذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتح عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله تعالى فينتزع السخط والضجر لان انشراح القلب يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بوقوع الرضى عند المحب الصادق لان المحب يرى ان الفعل من المحبوب مراده ﴿ كما قيل ﴾ وكلما يفعل المحبوب محبوب فالقوم يكرهون خدمة الاغيار ويابون مخالطتهم أيضا فان من لايحب طريقهم ربما استضر بالنظر اليهم اكثر مما ينتفع بهم ﴿ ورد في الخبر ﴾ المؤمن مرآة المؤمن فأى وقت ظهر من أحدهم اثر التفرقة نافروه

لان التفرقة تظهر بظهور النفوس وظهور النفوس من
تضييع حق الوقت فأى وقت ظهرت نفس الفقير
علموا خروجه من دائرة الجمعية وحكموا له
بتضييع حكم الوقت واهمال السياسة
وحسن الرعاية فيعاد بالمناقشة
الى دائرة الجمعية *

الباب السادس والثلاثون

في بيان النهي عن الغيبة قال الله عزوجل (أيحب أحدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا) وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقم الرجل فقال بعض القوم ماأعجز فلانا فقال أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه * وقيل اوحى الله تعالى الى موسى ابن عمران عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر رجل يدخل الجنة * ومن مات مصرا عليها فهوأول من يدخل النار * وقيل دعى ابراهيم بن ادهم الى دعوة فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم بالغيبة فقال ابراهيم انما فعل بي هذا نفسي حيث حضرت موضعا يغتاب فيه الناس فخرج ولم ياكل ثلاثة أيام * وقيل مثل الذي يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمى به حسناته شرقا وغربا * وقيل يؤتى العبد يوم القيامة كتابه فلا يرى فيه حسنة فيقول اين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقال ذهب عملك باغتيابك الناس من اغتيب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه (وقيل) يعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال هذا بما اغتابك الناس وانت لم تشعر * وقيل للحسن البصري أن فلانا اغتابك فبعث اليه طبقا فيه حلوى وقال بلغني انك اهديت

الى حسناتك فكافأتك (وعن الجنيد) قال كنت ببغداد فى مكان انتظر جنازة اصلى عليها فلقيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان اجمل به فلما انصرفت الى منزلى وكان لى شىء من الورد بالليل فلما قضيته ونمت رأيت ذلك الفقير جاؤا به على خوان ممدود وقالوا الى كل لحمه فقد اغتبته فكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبته انما قلت فى نفسى فقيل ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله

فأصبحت ولم ازل اتردد حتى رأيته يلتقط من الماء أوراقا

من البقل مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال

يا أبا القاسم تعود فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك *

الباب السابع والثلاثون

فى بيان الفتوة * الفتى من تخلا عن تدبير نفسه وماله وولده ووهب الكل لمن له الكل بل ليس له ما يهب فانها ذهبت فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم وتخلق بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآيه ما ترك العدل والاحسان من طاعة الله تعالى شيأ الا جمعه وما ترك الفحشاء والمنكر من معصية الله تعالى شيأ الا جمعه فتوة العامة بالاموال وفتوة الخاصة بالاموال والافعال وفتوة خاص الخواص بهما

وبالاحوال وفتوة الانبياء بهما وبالاسرار وهو الذى ليس فى
باطنه دعوى ولا فى ظاهره تصنع ومرآة وسره الذى بينه وبين
الله تعالى لا يطلع عليه صدره فكيف الخلق ومن شأن الفتى
النظر الى الخلق بعين الرضى والى نفسه بعين السخط ومعرفة
حقوق من هو فوقه ومثله ودونه ولا يتعرض لاخوانه بزلة أو
حقرة أو كذب وينظر الى الخلق كانهم أولياء غير مستقبح
منهج الا ماخالف الشرع مع أن ذلك ينسبه الى الشيطان ذنبا
لا الى أخيه المسلم فكيف الى الله عز وجل مع انه يغيره بيده فان
لم يستطع فبقلبه والاياس من الخلق وترك السؤال والتعريض
وكتمان الفقر واظهار الغنى وترك الدعوى وكتمان المعنى واحتمال
الاذى وان يؤثر مراد غيره على هواه خلقا وفعلا وان لا يزال
فى حاجة غيره ويعطى بلا امتنان ولا يطالب احدا بواجب
حقه ويطالب نفسه بحقوق الناس ويرى الفضل لهم ويلزم نفسه
التقصير فى جميع ما يأتى به ولا يستكثر ما يأتى به ومن شأن
الفتى ترك كل ماللنفس فيه حظ ويستوى عنده المدح والذم من
العامة ومن شأنه الصدق والوفاء والسخاء والحياء وحسن الخلق
وكرم النفس وملاطفة الاخوان ومجانبة سماع القبيح من الاصدقاء
وكرم العهد بالوفاء والتباعد عن الحقد والحسد والغش ومن شأنه
الحب والبغض فى الله والتوسعة على الاخوان من ماله وجاهه ان

امكنه وترك الامتنان عليهم بذلك وصحبة الاخيار ومجانبة الاشرار ويكون خصما على نفسه لربه ولا يكون له خصما غيرها فيجتهد فى كسر هواها لانه قيل الفتى من كسر الاصنام وهى صنم الانسان * ومن شأن الفتى أن لا ينافر فقيرا لفقره ولا يعارض غنيا لغنائه ويعرض عن الكونين ويستوى عنده المقيم والطارى ومن يعرف ومن لا يعرف ولا يميز بين الولى والكافر من جهة الاكل ولا يدخر ولا يعتذر ويظهر النعمة ويسر المحبة * واذا كان فى عشرة فلا يتغير ان كان ما أتى به عشيره اقل أو اكثر وان لا يحمر وجه أحد فيما لم ينبه به الشرع اليه ولا يربح على صديق وما خرج عنه لا يرجع فيه وان اعطى شكر وان منع صبر بل ان اعطى آثر وان منع شكر * الفتوة ان لا يشتغل بالخلق عن الحق وفتوة العارف بمعروفه وفتوة غيره بمعتاده ومألوفه *

فصل

فى السخاء * السخاء تقديم حظوظ الاخوان على حظك مطلقا دنيويا واخرويا والمبادرة الى الاعطاء قبل السؤال وترك الامتنان بما اعطى وتعجيله وتصغيره وتستيره بل بذل النفس والروح والمال على الخلق على غاية الحياء ان يكره ان يرى ذل السؤال فى وجوه المسلمين وسخاء النفس عما فى ايدى الناس اكبر من سخائها بالبذل

ومرؤة القناعة والرضى أكبر من مرؤة العطاء واكبر من ذلك كله السخاء بالحكمة *

الباب الثامن والثلاثون

فى بيان مكارم الاخلاق * قال تعالى ﴿خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ معناه تعفو عن من ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعرض عمن جهل عليك وتحسن الى من أساء اليك فكان صلى الله عليه وسلم مبعوثاً بمكارم الاخلاق يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومن السخاء افشاء السلام واطعام الطعام وصلة الارحام والصلاة بالليل والناس نيام المكارم اجتناب المحارم * مكارم الاخلاق من اعمال أهل الجنة قول لطيف يتبعه فعل شريف * مكافأة المحسن باكثر من احسانه

صاحب مكارم الاخلاق هو الذى لا يحوجك ان تسأله
ولا يزال يعتذر ضد اللئيم الذى لا يزال يفتخر والتغافل
عن زلل الاخوان والمسارعة الى قضاء حوائجهم
وطرح الدنيا لمن يحتاج اليها *

﴿ الباب التاسع والثلاثون ﴾

فى بيان القناعة * قال الله تعالى (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قال كثير من المفسرين الحياة

الطيبة فى الدنيا القناعة والقناعة موهبة من الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى * وعنه عليه الصلاة والسلام من اراد صاحبا فالله يكفيه * ومن أراد مونسا فالقرآن يكفيه ومن أراد كنزا فالقناعة تكفيه ومن اراد واعظا فالموت يكفيه ومن لم يكفه هذه الاربع فالنار تكفيه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا واحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واقل من الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب (وقيل) فى قوله تعالى ليرزقنهم الله رزقا حسنا يعنى القناعة * وقال وهب ان العز والغناء خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا فيها (وفى الزبور القانع غنى وان كان جائعا * وفى التوراة (قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم * ترك الحسد فظهرت مروته تعب قليلا فاستراح طويلا (وقيل) وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع (العز فى الطاعة والذل فى المعصية والهيبة فى قيام الليل والحكمة فى البطن الخالى والغنى فى القناعة (وقال) بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقيل من تبعت عيناه الى ما فى ايدى الناس طال حزنه * وقيل ان أبا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه نعلق الثياب فى

جدران الكروم فقال لا تغرز الوتد فى جدران الناس فقال نعلقه
فى الشجر فقال لا لانه يكسر الاغصان فقال نبسطه
على الحشيش فقال لا لأنه علف الدواب (ثم)
ولى بظهره للشمس و القميص على ظهره
حتى جف جانبه ثم قلبه حتى جف
الجانب الآخر *

الباب الاربعون

فى بيان السائل * من سأل وعنده قوت يومه فقد قطع الطريق على الضعفاء والمساكين (من) كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا وهى راغمة (ومن) كانت نيته طلب [illegible] عينيه وشتت شمله وامره ولا [illegible] (ومن جعل الهموم) هما واحدا [illegible] تشعبت عليه الهموم لم يبال الله [illegible] (جميع) الدنيا من أولها الى آخرها [illegible] لك القصير مع قليل يصيبك [illegible] الله له فيه ووسعه عليه * من [illegible] من النوال (من) احتجت [illegible] حرا فلا تلزم